خريف المسرح

ص15

سعاد عبدالرحيم

«شيخة» مدينة تونس بين شخصيتين

ص8

الحلقة الغائبة في لقاءات المصالحة الفلسطينية

ص6، 3

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2018/07/22

09 ذو القعدة 1439

السنة 41 العدد 11056

Sunday 22/07/2018

41st Year, Issue 11056

الاحتجاجات تقوّي خيار العراقيين في كسر الهيمنة الإيرانية

فشل الحل الأمني

❑ **بغداد** – لم يكن خافيا أن الشعارات التي رفعها الآلاف من العراقيين في مختلف تظاهراتهم خلال الأسبوعين الماضيين كانت تصب في خانة مهاجمة الأحزاب الدينية الحاكمة وتطالب إيران برفع يدها عن القرار السياسي في العراق.

وردد المتظاهرون شعارات تطالب الإيرانيين بمغادرة العراق. ويقول شهود عيان إن الشعارات المنددة بالدور الإيراني تكررت في مختلف المحافظات التي عاشت موجة الاحتجاج الأخيرة، وهي محافظات يغلب عليها الطابع الشيعي، وكانت مفتوحة بشكل كامل أمام الحضور الإيراني، ما يعني أن هذه المطالب ناجمة عن غضب حقيقي من الدور الإيراني، اقتصاديا واجتماعيا وأمنيا.

ويعتقد مراقبون محليون أن موجة الاحتجاجات المنددة بإيران والأحزاب المرتبطة بها تصب لفائدة الخيار الوطني العراقي الذي يحث على تخفيف الهيمنة الإيرانية وإقامة علاقات متوازنة مع مختلف القوى الإقليمية، وخاصة مع العمق العربي.

وأشار هؤلاء إلى أن إيران كشفت من خلال أزمة الكهرباء طبيعة علاقتها بالعراق، فهي تريد عراقا تابعا تستفيد منه ولا تدعمه على تجاوز الأزمات بينما بادرت دول عربية مثل الكويت للمساعدة بشكل سريع.

وأعلنت وزارة الكهرباء في الحكومة العراقية، الجمعة، أنّ الكويت قررت تزويد محطات الكهرباء المتوقفة في البلاد بالوقود لتشغيلها.

لكن غموض أفق الاحتجاجات جعل التعاطي الإقليمي والدولي يميل إلى التريث وعدم المجازفة. وإذا كانت الكويت تسعى لخفض التوتر على الحدود وتحذر من خطوات غير محسوبة من الميليشيات الموالية لإيران، فإن دولا عربية مثل السعودية مالت إلى التريث، وهو ما قد يكون وراء تأجيل زيارة وزير الكهرباء العراقي لها.

ويعزو المراقبون التريث العربي، وهو خيار يشمل دولا أخرى بينها الولايات المتحدة، إلى الرغبة في استجلاء الغموض الذي يحيط بالاحتجاجات وتطورات الوضع العراقي، خاصة ما تعلق بتشكيل الحكومة.

ولا يبدو أن الأحزاب الحاكمة قد استوعبت رسالة الاحتجاجات، وهو ما كشفت عنه تحركات بعض القيادات السياسية وتصريحاتها، حيث يستمر أسلوبها القديم في الرهان على المحاصصة الطائفية مثل تجدد الدعوة لتشكيل حكومة أغلبية شيعية.

وحث عمار الحكيم رئيس تيار الحكمة، ونوري المالكي زعيم ائتلاف دولة القانون، السبت، على ضرورة إفساح المجال لمنهج الأغلبية الوطنية كونه يمثل حلا واقعيا للكثير من مشكلات النظام السياسي في العراق.

خارطة غريفيث تشترط التهدئة لإنجاح التفاوض

صالح البيضاني

❑ **عدن** – كشفت مصادر دبلوماسية لـ"العرب" أن خطة المبعوث الأممي إلى اليمن مارتن غريفيث تقوم على حث فرقاء الأزمة على التهدئة في الجبهات من أجل فسح المجال أمام المفاوضات، متوقعة أن تجد الخطة معارضة من الحكومة اليمنية ما لم تتضمن تعهدات لإجبار الحوثيين على الالتزام بها.

ويستأنف المبعوث الأممي جهوده الرامية للتوصل إلى تفاهمات أولية بين الحكومة اليمنية والمتمردين الحوثيين تقود في نهاية المطاف إلى عقد جولة جديدة من مشاورات السلام اليمنية. ويصل، الأحد، إلى الرياض في مستهل زيارة جديدة للمنطقة يتلقى خلالها الردود المكتوبة على خطته من قبل الحكومة اليمنية والحوثيين.

وكشفت مصادر دبلوماسية لـ"العرب" عن الخطوط العريضة التي تضمنتها خارطة غريفيث التي قدمها للحكومة والحوثيين وطلب منهم الرد عليها بشكل رسمي.

وقالت إن 80 بالمئة من الأفكار التي قدمها المبعوث الأممي تتمحور حول وضع الحديدة وميناءها وطبيعة الجهات التي ستشرف على الميناء والقوات التي ستنتشر داخل المدينة بموجب الاتفاق.

كما تتضمن الخطة وضع حلول ومعالجات لقضية مرتبات الموظفين في المناطق التي لا تزال خاضعة لسيطرة الحوثيين وآلية توريد الأموال للبنك المركزي اليمني في تلك المناطق، إضافة إلى الاتفاق على معالجات إنسانية سريعة تتعلق باستئناف العمل في مطار صنعاء الدولي وتسهيل وصول المساعدات الإنسانية إلى كافة مناطق اليمن والشروع في عملية واسعة لإطلاق السجناء السياسيين وتبادل الأسرى.

وأوضحت المصادر أن جهود غريفيث تتجه نحو تهيئة الأجواء لتفعيل المسار السياسي في مرحلة لاحقة، من خلال عرض أفكار ومقترحات عامة ما زال يجري النقاش حولها في الأوساط السياسية اليمنية وفي المحافل الدولية قبيل صياغتها كرؤية شاملة للحل في اليمن.

وأضافت أن غريفيث سيبني رؤيته النهائية لحل الأزمة في اليمن من خلال مواقف الفرقاء اليمنيين، قبل عرض الخطة على مجلس الأمن الدولي بهدف حشد التأييد الدولي لها.

وفي هذا السياق أطلع المبعوث الأممي إلى اليمن، الجمعة، وزير الخارجية الأميركية مايك بومبيو على تفاصيل خارطة التسوية السياسية في اليمن، والتي يطمح إلى إقناع الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي بها.

وقالت المتحدثة باسم الخارجية الأميركية، هيذر نويرت، في بيان صحافي "إن غريفيث عرض على بومبيو خلال لقائهما في واشنطن، معلومات محدّثة عن مباحثات المبعوث الأممي مع جميع الأطراف بشأن النزاع في اليمن".

ووفقا لنويرت فقد أعرب الوزير الأميركي عن أمله في أن تتمكن جميع الأطراف من التوصل إلى اتفاق سياسي شامل يحقق السلام والازدهار والأمن لليمن.

وكان غريفيث قد عرض خارطة للسلام في اليمن على اجتماع الاتحاد الأوروبي الذي عقد في لوكسمبورغ في الخامس والعشرين من يونيو الماضي.

وقلل القيادي البارز في حزب المؤتمر وعضو اللجنة العامة في الحزب فهد دهشوش في تصريح لـ"العرب" من فرص نجاح غريفيث في تحقيق أي اختراق سياسي في الأمد القريب.

وتوقع دهشوش أن تستغرق جهود المبعوث الأممي الكثير من الوقت قبل التوصل إلى أي نتيجة حقيقية ومرضية، نتيجة لانتهاجه ذات الأساليب التي تعامل بها المبعوثان السابقان جمال بنعمر وإسماعيل ولد الشيخ أحمد في بداية عملهما في اليمن.

وقال دهشوش إنه كان يفترض على غريفيث أن يبدأ مهمته في اليمن من حيث انتهت جهود سابقيه، لكن محاولته اتخاذ مسار مختلف ستزيد من مدة الحرب قبل أن يتوصل إلى نتائج متأخرة حول طبيعة الحوثيين وتنصلهم من تعهداتهم وعدم استعدادهم التخلي عن السلاح أو الانسحاب من المدن والانخراط في عملية سلام جادة.

ويرى الصحافي اليمني عصام السفياني أنه لا توجد مؤشرات على نجاح جهود المبعوث الأممي في الخروج بتسوية توقف العمليات العسكرية وتحديدا بعد الوصول إلى أطراف مدينة الحديدة، مشيرا إلى أن ميليشيات الحوثي حددت موقفها بوضوح من خلال آخر ظهور لزعيمها عبدالملك الحوثي الذي رفض حتى مقترح تسليم ميناء الحديدة.

أنشطة الانفصاليين تزيد من الضغوط على إيران قبل سريان العقوبات الأميركية

● مقتل 11 من الحرس الثوري في اشتباك مع مسلحين أكراد ● الأزمات الداخلية تدفع السلطات لمراجعة تدخلاتها الإقليمية

❑ **طهران** – قبل أشهر قليلة من سريان العقوبات الأميركية، تعيش إيران على وقع أزمات داخلية متعددة ستزيد من الضغوط على السلطات التي تعجز عن تقديم الحلول وتكتفي بتفسير كل ذلك بنظرية المؤامرة.

وبالتوازي مع الاحتجاجات الاجتماعية، بدأت مجموعات انفصالية تنشط في الشرق والغرب بتحدي السلطات وتوجيه ضربات مؤلمة للقوات الإيرانية، كان آخرها هجوم أودى بحياة 11 عنصرا من الحرس الثوري على الحدود مع العراق، وذلك في أحدث اشتباك دموي في المنطقة التي تنشط فيها جماعات مسلحة من المعارضة الكردية.

ونقلت وكالة تسنيم شبه الرسمية الإيرانية للأنباء عن بيان للحرس الثوري قوله إن العديد من "الإرهابيين" المهاجمين قتلوا أيضا في المعركة التي شهدت كذلك تفجير مستودع للذخيرة.

وقال حسين خوش إقبال المسؤول الأمني المحلي للتلفزيون الرسمي، إن 11 عضوا من متطوعي قوات الباسيج التابعة للحرس الثوري قتلوا في اشتباك خلال الليل في منطقة ماريفان، وألقى بمسؤولية مقتلهم على مسلحين من حزب الحياة الحرة الكردستاني.

وينشط حزب الحياة الحرة الكردستاني في المنطقة الحدودية إلى جانب جماعات مسلحة كردية أخرى مقرها شمال العراق.

وقال الحرس الثوري هذا الشهر إنه قتل ثلاثة متشددين في عملية أمنية قرب الحدود مع العراق. كما وردت أنباء عن مقتل تسعة متشددين على يد الحرس الثوري الشهر الماضي في منطقة أخرى على الحدود.

ومنذ أيام لقي ضابط في حرس الحدود الإيراني، الأربعاء، حتفه في اشتباكات مع مسلحين بشتون جنوب شرقي البلاد، فيما كان ثلاثة من عناصر التعبئة الإيرانية لقوا حتفهم وأصيب آخرون في مواجهات مع مسلحين في المحافظة نفسها قبل أيام.

ويقول متابعون للشأن الإيراني إن تنوع الهجمات على الحدود يكشف عن تراجع القبضة الحديدية التي كان المحافظون المتشددون يمسكون بها الوضع في البلاد، وإن الشارع الإيراني لم يعد يخاف من هذه القبضة، لافتين إلى أن المجموعات الانفصالية المسلحة تستثمر هذا التراجع للمطالبة بحقوقها.

ويشير هؤلاء إلى أن السلطات قصرت تعاطيها مع مطالب المجموعات العرقية على القوة، وهو ما حال دون تحسين شروط العيش في هذه المناطق المهمّشة والمغضوب عليها لاعتبارات مذهبية أو عرقية.

وفشلت إيران، خاصة بعد ثورة الخميني في 1979، في التعاطي مع مطالب الأكراد في بناء حكم ذاتي ومراعاة حقوقهم الثقافية والاجتماعية، وسعت إلى التنسيق مع تركيا لمواجهتهم، لكن ذلك شجع المسلحين على تصعيد عملياتهم ضد قوات الأمن.

ويعتقد مصطفى هجري، رئيس الحزب الديمقراطي الكردي الإيراني بي.دي.كا.آي، أن ثورة الخميني بدلا من أن تتجه نحو إقامة نظام ديمقراطي لكل الإيرانيين توجهت نحو الجانب الديني الطائفي والفارسي الإقصائي لباقي المكونات منذ 1979.

وقال إن حزبه فقد الأمل في النظام الحالي مما اضطره في بعض الأحيان للاشتباك مع القوات الإيرانية وقتل عدد منهم في الأشهر الأخيرة كوسيلة للدفاع عن النفس والحقوق.

ويقدر عدد الأكراد في إيران بين 6 و9 ملايين شخص، ويمثلون حوالي 9 بالمئة من مجموع عدد السكان في إيران.

ويرى محللون أن السلطات الإيرانية ستجد نفسها مجبرة على مراجعة سياستها الخارجية لتستطيع أن تواجه مشكلات الداخل، مشيرين إلى أن الإنفاق الكبير على تدخلاتها في ملفات إقليمية مثل سوريا ولبنان واليمن حال دون رصد استثمارات لتطوير مناطق الأقليات المهمّشة وساعد على تغذية نزعات الانفصال.

ويلفت هؤلاء إلى أن بدء العقوبات الأميركية في نوفمبر سيقلص هامش التحرك لدى السلطات ليس فقط في تمويل ميليشيات خارجية، ولكن لإقامة مشاريع ولو محدودة لامتصاص غضب الشارع الإيراني.

تعويم بشّار الأسد!

خيرالله خيرالله

» ص5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

مشاورات سياسية لتطويق أزمة الحزب الحاكم في تونس

الرئيس التونسي يلتقي رئيس الحكومة ونواب حزب نداء تونس

استفحلت أزمة الحزب الحاكم في تونس بعد اشتداد الصراع داخل حركة نداء تونس بين المدير التنفيذي للحركة حافظ قائد السبسي (نجل الرئيس) ويوسف الشاهد رئيس الحكومة (القيادي في ذات الحزب)، مما استدعى تدخل الرئيس التونسي الذي يتحرّك في الآونة الأخيرة على أكثر من جبهة لتطويق الخلافات.

الأزمة تربك تونس

❑ **تونس** – يتحرك الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي على أكثر من صعيد لاحتواء الأزمة الداخلية لحزب نداء تونس الحاكم، بعد أن توسّعت الأزمة من انشقاقات نواب عن الحركة إلى خلافات علنية بين رئيس الحكومة يوسف الشاهد المنتمي إلى النداء ونجل الرئيس حافظ قائد السبسي المدير التنفيذي للحزب.

ويعيش حزب نداء تونس صراعا داخليا قويا بين جناحه البرلماني المتمسك بالشاهد لمواصلة قيادة المرحلة التوافقية، والإدارة التنفيذية للحزب بقيادة حافظ قائد السبسي، الباحث عن بديل جديد. واستدعت هذه الأزمة تدخل الرئيس التونسي باعتباره رئيس الحزب أيضا.

> الصراع الدائر بين المدير التنفيذي للحزب حافظ قايد السبسي ورئيس الحكومة يوسف الشاهد، مرده الرغبة في السيطرة على الآلة الانتخابية للحزب حتى يترشح باسمها لانتخابات 2019

وفي الوقت الذي استقبل فيه الجمعة الماضي بقصر قرطاج رئيس الحكومة، فقد وجّه الرئيس التونسي دعوة أيضا إلى كل أعضاء الكتلة البرلمانية لحركة النداء للاجتماع في قصر قرطاج الثلاثاء القادم.

كما التقى السبسي مؤخرا 5 نواب من النداء هم شاكر العيادي ولمياء مليح ورضا شرف الدين والمنجي الحرباوي ولطفي النابلي في مناسبتين، وهم من المحسوبين على شق المدير التنفيذي للحزب.

ويشير مراقبون إلى أن السبسي يحاول تطويق الخلافات الداخلية للحزب التي عمقت الأزمة السياسية في البلاد رغم تصعيده الأخير ضد الشاهد، حين دعاه إلى الاستقالة إذا استمرت الأزمة في البلاد أو طلب تجديد الثقة من البرلمان، ليسحب بذلك دعمه لرئيس الحكومة. واشتدت خلافات حزب نداء تونس الذي يتولى فيه حافظ قائد السبسي منصب المدير التنفيذي للحزب تنديدا بإدارة الحكومة للأزمة الاقتصادية.

واتهم الحزب في بيان له في مايو الماضي حكومة الشاهد بالفشل، وقال إن "الحكومة الحالية تحوّلت إلى عنوان أزمة سياسية ولم تعد حكومة وحدة وطنية." فيما اعتبر حافظ قائد السبسي أن حكومة يوسف الشاهد "لم تعد تمثل حزبه". وكان رد الشاهد باتهام نجل الرئيس بتدمير الحزب الحاكم وتصدير أزمته لمؤسسات الدولة.

ويشير مراقبون إلى أن الرئيس التونسي يحاول إنقاذ صورة حزبه مع اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية المقرر إجراؤها عام 2019، خاصة وأن أزمة النداء أثرت على شعبية الحزب التي كشفتها نتائج أول انتخابات محلية بعد ثورة يناير التي كانت لصالح حزب النهضة الإسلامي شريك النداء في الحكم.

واعتبر هشام الحاجي، الباحث التونسي في تصريحات صحافية، أن الأزمة التي تعيشها حركة نداء تونس مرتبطة بالاستحقاق الانتخابي المقبل. وقال إن "الحركة تأسّست في 2014 لأهداف انتخابية بحتة للأسف ولا تستطيع تجاوز ظروف النشأة لتؤسس لبرامج سياسية تستبطن قدرة على تجاوز هذه الوضعية".

وفسّر الحاجي الصراع الدائر بين المدير التنفيذي للحزب حافظ قائد السبسي ورئيس الحكومة يوسف الشاهد بالرغبة في السيطرة على الآلة الانتخابية للحزب حتى يترشح باسمها لانتخابات 2019.

واستنتج مراقبون أن جهود الرئيس التونسي لتطويق أزمة النداء مردها مواجهة الأزمة داخل الحزب، حيث تحاول شخصيات منشقة سابقا العودة إلى الحزب ووجدت في الصراع المعلن بين الرجلين المنفذ لهذه العودة.

وفي المقابل دخلت حركة النهضة على الخط وأعلنت دعمها للشاهد، وهو ما رآه نواب في النداء بمثابة مناورة تدعم حظوظ الشاهد في البقاء على رأس الحكومة، فيما يدير بها الأخير ظهره لحزبه نداء تونس.

ويجمع مطلعون على الشأن التونسي على أن الاقتراع الرئاسي المقبل يؤجج الصراعات السياسية، بما في ذلك الأزمة المندلعة في صفوف نداء تونس. واستنكرت أحزاب معارضة تونسية حياد الأزمة في البلاد عن مسارها الحقيقي من أزمة اقتصادية إلى أزمة سياسية بسبب صراع محموم على المنصب الرئاسي القادم.

وطالبت هذه الأحزاب بضرورة قدوم رئيس الحكومة إلى البرلمان وطلب تجديد الثقة في حكومته.

وقال النائب عن الكتلة الديمقراطية غازي الشواشي، إنّ أكثر من 60 نائبا بالبرلمان قد أمضوا على العريضة للمطالبة بقدوم رئيس الحكومة إلى البرلمان وعَرض تجديد الثقة في حكومته. وبيّن في تصريح لوكالة الأنباء الرسمية السبت، أنّ هذه العريضة السادسة التي يتم تداولها بين النواب منذ بداية يوليو الجاري.

وهذه العريضة هي بمثابة دعوة وليست لائحة لوم، وهي مبادرة تقدّمت بها المعارضة (الجبهة الشعبية والكتلة الديمقراطيّة) لاقتناعها بضرورة إيجاد حل يمنع استمرار الأزمة السياسيّة الخانقة التي تمرّ بها البلاد وبالنظر إلى أنّ مجلس نواب الشعب هو السلطة الأصلية التي بإمكانها منح الثقة وسحبها في إطار ممارسة صلاحياته.

ولفت الشواشي إلى أنّ الهدف من هذه الدعوة هو "مطالبة رئيس الحكومة ورئيس البلاد بتحمّل مسؤوليتهما إزاء الأزمة التي تمرّ بها تونس وتفعيل الآليات الدستورية".

واعتبر أنّ استمرار الأزمة السياسية يعمق الأزمة الاقتصادية ويزيد حالة الاحتقان الاجتماعي الذي سيؤدّي إلى حالة من الانفلات وعدم الاستقرار على جميع المستويات خاصة منها الأمنيّة، كما يعرقل مسار الانتقال الديمقراطي.

وقال إنّ رئيس الحكومة رفض دعوة النواب للمثول أمام البرلمان لطلب تجديد الثقة في حكومته من جهة كما رفض الحضور خلال جلسة حوار لاستعراض أوضاع البلاد من جهة أخرى رغم أنّها تتنزّل في إطار ممارسة البرلمان لصلاحياته الرقابيّة وفي ظل ما يفرضه النظام الداخلي.

وتابع الشواشي "رئيس البلاد يرفض كذلك الحضور إلى البرلمان والاستماع لمداخلات النواب رغم أنّ هذا الإجراء يفرضه الفصل 151 من النظام الداخلي للبرلمان والذي ينصّ على حضور رئيس البلاد لعرض طلبه مفصّلا ومعللا إلى جانب حضور رئيس الحكومة وكافة أعضاء حكومته".

وتواجه الحكومة الحالية التي استلمت مهامها قبل عامين خلافات مع عدد من أحزاب الائتلاف الحكومي والاتحاد العام التونسي للشغل على خلفية الأزمة الاقتصادية والإصلاحات التي شملت عدة قطاعات.

المغرب يجدد رفضه إقامة مراكز لجوء فوق أراضيه

محمد بن امحمد العلوي

❑ **الرباط** – جدّد المغرب رفضه إقامة مراكز إيواء المهاجرين غير الشرعيين المنحدرين من بلدان أفريقيا جنوب الصحراء على أراضيه. وتضغط دول الاتحاد الأوروبي في الآونة الأخيرة باتجاه توفير ملاجئ آمنة لمهاجرين أفارقة في دول شمال أفريقيا كالمغرب وتونس وليبيا بهدف كبح منسوب الهجرة نحو أوروبا.

ونقلت صحيفة الغارديان البريطانية أن المجلس الأوروبي يدعم بقوة فكرة تنصيب ملاجئ خاصة بالمهاجرين الذين يستقرون في شمال أفريقيا، موردة في قصة لها أن "هذا الإجراء من شأنه أن يحدّ من تحرك المهاجرين الذين باتوا يصلون إلى أوروبا بالآلاف، كما سيوفر لهم الحماية الضرورية، خاصة بالنسبة للأطفال والنساء".

ورغم انخفاض عدد المهاجرين الذين وصلوا إلى أوروبا عبر البحر المتوسط إلى النصف في الأشهر الستة الأولى من العام الجاري، وفق ما ذكرته منظمة الهجرة الدولية، إلا أن دول الاتحاد ظلت تضغط على دول شمال أفريقيا من أجل تشكيل منصّات آمنة في عدد من الموانئ الأفريقية المطلة على أوروبا.

ويقترح الاتحاد الأوروبي إقامة ملاجئ للمهاجرين الأفارقة في عدد من موانئ شمال وغرب أفريقيا لتوقيف تدفق المهاجرين على دول مثل اليونان وإسبانيا وإيطاليا، والعمل على إعادة المهاجرين نحو بلدانهم الأصلية.

وأشار محمد الزهراوي، أستاذ العلوم السياسية بمراكش لـ"العرب"، إلى أن "إشكالية المهاجرين الأفارقة باتت تهدد أمن واستقرار أفريقيا"، لافتا إلى أن "المغرب باعتباره شريكا استراتيجيا لأوروبا حريص على مواجهة هذه الظاهرة وتقليص آثارها على الفضاء الأوروبي".

واستدرك بقوله "الطرف الأوروبي في الآونة الأخيرة يبحث عن شراكة جديدة مع المغرب تعمل على تطويق الهجرة غير النظامية، لكن الملفت في مقترح أوروبا الساعي إلى تشييد ملاجئ للمهاجرين على الأراضي المغربية، أنه جاء بخلفية استعمارية بعيدة عن منطق الشراكة والتعاون، وهو الأمر الذي دفع المغرب إلى رفضه جملة وتفصيلا".

وأدى عجز التشريعات الأوروبية الجديدة عن كبح جماح المهاجرين من التدفق إلى الفضاء الأوروبي إلى دعوة دول شمال أفريقيا إلى التنسيق والتعاون لمواجهة هذه الظاهرة التي تقضّ مضجع المسؤولين الأوروبيين على مستوى الأمني والاجتماعي والاقتصادي.

وأبدى المجلس الأوروبي استياءه من رفض كل من المغرب وتونس إقامة محطات إنزال ورقابة للمهاجرين الأفارقة المتدفقين على أوروبا.

وسبق أن أعلن المغرب بشكل رسمي رفضه فكرة إقامة مراكز لإيواء المهاجرين الأفارقة كبديل عن المقترح الإيطالي القاضي بتوزيع المهاجرين الذين يصلون إلى السواحل الأوروبية على الدول الأوروبية. وقال ناصر بروطية، وزير الخارجية المغربي، إن "مقترح الأوروبيين توفير ملاجئ للمهاجرين في المغرب يبقى حلا سهلا، وله نتائج عكسية".

وشرح صبري الحو، الخبير في القانون الدولي والهجرة موقف المغرب لـ"العرب"، ورأى أنه "موقف ينسجم مع مبادئ القانون الدولي لحقوق الإنسان القائمة على مبدأ توفير الحماية وحرية التنقل وحرية مكان الإقامة للأفراد".

لكن لا يحجب موقف المغرب الرافض لاستضافة ملاجئ للاجئين المرحّلين من أوروبا جهوده المكثفة لتطويق هذه الظاهرة، حيث ينخرط مع دول الاتحاد الأوروبي في اتفاقيات ثنائية لمواجهة هذه الظاهرة، في حين ترى الدول الأوروبية أن مقاربة المغرب لمواجهة مأزق الهجرة تمثل نموذجا يحتذى به بعد أن تمكنت الرباط في السنوات الأخيرة من تحجيم الهجرة غير الشرعية نحو أوروبا انطلاقا من أراضيها.

واعتبر الزهراوي أن قبول المغرب هذا المقترح من شأنه أن ينعكس سلبا على أمن واستقرار المملكة، وأن يفرض على المغرب القيام بدور "دركي أوروبا" بصفة مباشرة، بالإضافة إلى التكلفة المالية والاجتماعية المفترضة.

ويعتقد أن محاربة الهجرة غير النظامية تتطلب انخراط كافة الدول الأوروبية وتنسيق الجهود مع المغرب وفق مقاربة شمولية. وشرح الزهراوي ذلك بقوله "تعامل وتعاون المغرب مع أوروبا يجب أن يكونا وفق منطق رابح/رابح وأن يشملا بالإضافة إلى ملف الهجرة باقي الملفات الأخرى مثل الاقتصاد والشراكات التجارية والوحدة الترابية".

ملف الهجرة يثقل كاهل الجميع

وكانت إسبانيا، الدولة الأوروبية الأكثر تضررا من الهجرة غير الشرعية، قد دعت الاتحاد الأوروبي إلى التفكير في عقد اتفاق مع المغرب على شاكلة الاتفاق الأوروبي التركي حول الهجرة. واعتبر وزير الأمن الإسباني أن هذا الاتفاق كانت له نتائج إيجابية، حيث تراجع عدد الوافدين على اليونان بنسبة 77 بالمئة خلال العام الماضي، مشيدا بجهود المغرب في مكافحة الهجرة غير الشرعية.

وقال المسؤول الإسباني إن المغرب يعمل بنجاعة للقضاء على هذه الظاهرة لكن نقص الإمكانيات المالية الكافية للحصول على الوسائل الفنية المتقدمة التي تسمح بالسيطرة على الهجرة غير الشرعية بشكل أكثر كفاءة، يدفعه إلى طلب المساعدة.

وكشفت منظمة الهجرة الدولية التابعة للأمم المتحدة أن عدد المهاجرين الواصلين بحرا إلى إسبانيا، عبر الطريق الغربية للبحر المتوسط (أغلبيتهم من المغرب) ما بين يناير ويوليو 2018، تجاوز عدد الواصلين إلى إيطاليا خلال الفترة نفسها، حيث وصل حوالي 18016 مهاجرا إلى السواحل الإسبانية عبر البوابة الغربية للمتوسط، مقابل وصول 17827 مهاجرا إلى إيطاليا انطلاقا من ليبيا (البوابة المتوسطية للمتوسط)، فيما وصل 14678 مهاجرا عبر البوابة الشرقية للمتوسط إلى السواحل اليونانية.

وتوقع المتحدث باسم منظمة الهجرة الدولية التابعة للأمم المتحدة جويل ميلمان، أن تكون إسبانيا الطريق الأكثر سلوكا للمهاجرين الأفارقة وللأشخاص الذين يستخدمون أفريقيا نقطة انطلاق نحو أوروبا.

> المغرب يعمل بنجاعة للقضاء على ظاهرة الهجرة غير الشرعية لكن تنقصه الإمكانيات المالية الكافية للحصول على الوسائل الفنية المتقدمة التي تسمح بالسيطرة على هذه الظاهرة

انتصارات متوقعة لقوة مجموعة الساحل

❑ **باريس** – أكدت وزيرة الجيوش الفرنسية فلورانس بارلي أن القوة المشتركة للدول الخمس في منطقة الساحل ستحقق انتصاراتها الأولى قريبا على الجهاديين بعد بدايات صعبة، وذلك خلال قيامها بزيارة للمنطقة، الخميس والجمعة الماضيين.

وأشارت إلى أن قمة نواكشوط الأخيرة التي شارك فيها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون أتاحت عرض دفع الهبات المسجلة (400 مليون يورو) وبدء تسليم هبة بقيمة مئة مليون يورو، تعهدت بها السعودية.

وقالت "استغرق ذلك بعض الوقت لأنه كان لا بد من تحديد حاجات مجموعة الساحل وهو عمل يتطلب وقتا إذ لا بد من التواصل بين قادة أركان الدول الخمس وإقرار اللوائح". وتابعت بقولها "تم تسليم اللوائح إلى السعودية وبات من الممكن البدء بالطلبات وهو ما يتطلب أيضا وقتا إذ يجب إنتاج بعض المواد غير المتوافرة في مخزون الصناعيين".

ولفتت إلى أن "مجموعة الساحل الآن في مرحلة التجهيز بالمعدات والمواكبة.. وتم التحقق من فعالية العمل المشترك للقوة.. وهذه الجيوش تتحلى بالشجاعة لأن تجهيزاتها متوسطة".

ورأت أن العمليات الأولى للقوة على الأرض ليست محدودة وأنه لا يجب أن نقلل من أهمية حجم التقدم الذي تم تحقيقه. وبينت أن فترة 18 شهرا مدة لا يستهان بها وخصوصا أنه من الصعب تنظيم عمل خمسة جيوش معا.

وأوضحت أنه تم إعداد نظام للقيادة وأنه كان علينا الابتكار. وقالت "الآن نحن بحاجة إلى تجهيزات والأشهر الأخيرة كانت صعبة لجمع الهبات". ولفتت إلى أن "القسم الأكبر من المعدات سيصل خلال الأشهر المقبلة".

وأضافت "العمليات تزداد أهمية وستحقق القوة انتصارات قريبا وسيتعين على دول مجموعة الخمس تعزيزها لإثبات أنه يتم تنفيذ الوعود".

وختمت فلورانس بارلي بقولها أن "مفهوم العملية هو التركيز على منطقة معينة ثم التقدم بشكل منهجي لإعادة فرض الأمان والثقة وحياة أكثر طبيعية. وبمجرد تحقيق ذلك من المهم أن تتولى القوات المحلية فرض الأمن وإعادة عمل المؤسسات والمدارس وغيرها".

غارات إسرائيلية أثناء سريان اتفاق التهدئة في غزة

وقف الطائرات الورقية الحارقة ضمن شروط وقف إطلاق النار

تعرض موقع تابع لحركة حماس في قطاع غزة إلى قصف جوّي إسرائيلي، بعد ساعات من بدء سريان اتفاق تهدئة أبرمته الفصائل الفلسطينية مع إسرائيل بوساطة مصرية وأممية. وأكد مسؤول إسرائيلي أن اتفاق وقف إطلاق النار يتضمن وقف إطلاق الطائرات الورقية والبالونات الحارقة.

هدوء حذر

❑ **غزة** – عكّر قصف إسرائيلي على موقع لحركة حماس، صباح السبت، أجواء التهدئة التي تبدو صامدة إجمالا في قطاع غزة. وتم الاتفاق على تهدئة بين الفصائل الفلسطينية والدولة العبرية إثر تصعيد كبير تسبب بمقتل أربعة فلسطينيين وجندي إسرائيلي.

وقصف الجيش الإسرائيلي بأربع قذائف مدفعية موقعا لحركة حماس قرب الحدود بين إسرائيل وغزة، بعد هدوء حذر استمر ساعات في القطاع بموجب اتفاق تم التوصل إليه فجر السبت بوساطة من مصر والأمم المتحدة.

وقال الجيش الإسرائيلي في بيان السبت، إن "دبابة استهدفت موقعا عسكريا لحماس ردا على تسلل عدد من المشتبه بهم إلى إسرائيل من شمال غزة ثم عادوا إلى القطاع .

وذكر مصدر فلسطيني أن إسرائيل قصفت بأربع قذائف موقع "رصد" لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، موضحا أن القصف سبّب أضرارا مادية لكنه لم يسفر عن إصابات.

وتم التوصل إلى التهدئة بوساطة قامت بها مصر والمبعوث الخاص للأمم المتحدة نيكولاي ملادينوف منتصف ليلة الجمعة.

وقال الناطق باسم حركة حماس فوزي برهوم إن "جهودا مصرية وأممية أثمرت في التوصل إلى الحالة السابقة من التهدئة بين الاحتلال والفصائل الفلسطينية"، من دون إعطاء المزيد من التفاصيل.

لكنّ مصدرا فلسطينيا مطلعا على مفاوضات التهدئة في غزة أوضح أن التهدئة التي تم التوصل إليها تركز على "وقف كافة أشكال التصعيد العسكري وفي مقدمتها العدوان الإسرائيلي بأشكاله، ووقف إطلاق أي صواريخ أو قذائف من المقاومة".

وأكدت حماس أنها مع الفصائل "ملتزمة بالتهدئة طالما التزم بها الاحتلال"، بينما رفض الجيش الإسرائيلي ومكتب رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو تأكيد التوصل إلى الهدنة. وقالت متحدثة عسكرية لوكالة فرانس برس، إن "كل ما يمكننا قوله هو أنه لم تقع حوادث أو هجمات إسرائيلية في قطاع غزة منذ الموجة الأخيرة من الغارات الجوية ليلة الجمعة".

> التهدئة تركز على وقف كافة أشكال التصعيد العسكري وفي مقدمتها العدوان الإسرائيلي بأشكاله، ووقف إطلاق أي صواريخ أو قذائف من المقاومة

وردا على سؤال حول ما إذا كانت التهدئة تشمل وقف الطائرات الورقية والبالونات الهوائية الحارقة، قال المسؤول الفلسطيني إنه "لا علاقة لهذه الأدوات النضالية البدائية التي يستخدمها المواطنون في مسيرات العودة بالتصعيد العسكري".

لكنّ مسؤولا إسرائيليا أعلن، في وقت لاحق من السبت، أن وقف إطلاق النار الذي تم التوصل إليه مع الفصائل الفلسطينية برعاية مصرية يشمل وقف الطائرات الورقية والبالونات الحارقة.

وقال المسؤول، مفضلا عدم نشر اسمه في بيان أرسلته الحكومة الإسرائيلية إلى وكالات أنباء، إن "حماس تكبّدت أمس (الجمعة) ضربة قوية وطلبت من خلال الطرف المصري وقف إطلاق النار والتزمت بموجبه بالكف عن الحرائق وتنفيذ العمليات على السياج الحدودي".

وأضاف البيان أن "الطرف المصري يكفل بذلك أمامنا". وتابع المسؤول الإسرائيلي "في أي حال من الأحوال، فإن الأفعال على الأرض هي التي ستقرر ماذا سيحدث لاحقا، وإن خرقت حماس تعهداتها، فإنها ستدفع ثمنا أبهظ بكثير".

ويعتبر ذلك أول إعلان رسمي إسرائيلي بوجود وقف لإطلاق النار.

ولم يصدر عن حماس حتى اللحظة ما يؤكد وقف إطلاق الطائرات الورقية والبالونات الحارقة، فيما لم يصدر عن الطرف المصري ما يؤكد التزامه بضمان ذلك.

وكان فلسطينيون شرعوا قبل أكثر من 3 أشهر بإطلاق طائرات ورقية وبالونات حارقة من قطاع غزة، باتجاه المستوطنات المحاذية للقطاع، أدت إلى اندلاع حرائق بالآلاف من الدونمات الزراعية والحقول وخسائر بالملايين من الدولارات.

وقالت وسائل إعلام إسرائيلية في الأسابيع الماضية، إن الجيش الإسرائيلي لم يجد تقنيات تمكنه من وقف الطائرات الورقية والبالونات.

وقتل أربعة فلسطينيين بينهم ثلاثة من ناشطي كتائب عزالدين القسام الجناح العسكري لحماس، الجمعة، في القصف المدفعي الإسرائيلي الذي تبعته سلسلة غارات جوية استهدفت خصوصا مواقع لحركة حماس.

وقالت إسرائيل إن صواريخ أُطلقت من غزة على أراضيها. لكن لم يصدر أي بيان من أي جهة فلسطينية بشأن هذه الهجمات.

وأعلن الجيش الإسرائيلي أنه استهدف 60 موقعا لحماس، بما في ذلك مواقع لتصنيع الأسلحة ومستودع للطائرات دون طيار وغرفة عمليات عسكرية. وتفاهم التهدئة هو الثاني منذ أسبوع لوقف إطلاق النار بين حماس وإسرائيل. وقتل شاب فلسطيني برصاص الجيش الإسرائيلي وأصيب نحو 220 آخرين في احتجاجات الجمعة السابعة عشرة لـ"مسيرات العودة وكسر الحصار"، قرب السياج الحدودي شرق مدينة غزة.

وحثت الأمم المتحدة جميع الأطراف على "التراجع عن حافة الهاوية" بعد شهور من تزايد التوتر. وكان الجندي الذي قتل بالرصاص أول إسرائيلي يقتل قرب حدود قطاع غزة برصاص أطلق من القطاع، منذ حرب عام 2014.

زيادة أسعار الغاز الطبيعي في مصر

❑ **القاهرة** – أقرت الحكومة المصرية رفع أسعار الغاز الطبيعي المستخدم في المنازل والنشاط التجاري إلى ما بين 1.75 جنيه و3 جنيهات، بحسب قرار تم نشره في الجريدة الرسمية، السبت. والقرار الجديد الذي أصدره رئيس الوزراء مصطفى كمال مدبولي، يأتي ضمن مسلسل ارتفاع أسعار المواد الاستهلاكية الذي تعيش على وقعه مصر وأسفر عن حالة احتقان اجتماعي.

وتتراوح نسب الزيادة الجديدة في أسعار الغاز الطبيعي ما بين 30 بالمئة و75 بالمئة.

وأوضح القرار أن رفع أسعار الغاز الطبيعي يأتي ضمن إجراءات ترشيد دعم المنتجات البترولية والغاز الطبيعي. كما بين القرار أن الزيادة الجديدة سيبدأ سريانها اعتبارا من مطلع أغسطس القادم. وتصدر فواتير استهلاك الغاز الطبيعي في مصر على أساس شهري.

وإقرار زيادة أسعار الغاز الطبيعي في مصر تأتي بعد مرور نحو عام ونصف من برنامج قرض من صندوق النقد، مدته 3 سنوات بقيمة 12 مليار دولار وقعته مصر أواخر 2016.

ويتضمن برنامج قرض صندوق النقد إجراءات تقشفية قاسية ضمن حزمة إصلاحات مؤلمة من بينها زيادة الضرائب وخفض الدعم. وتحاول الحكومة من خلال هذه الإصلاحات جذب المستثمرين الأجانب من جديد وتحقيق انتعاشة اقتصادية بعد الخسائر الذي سجلها القطاع منذ العام 2011.

وارتفع معدل التضخم السنوي في مصر إلى قرابة 14 بالمئة خلال يونيو بزيادة قدرها 2.9 بالمئة عن الشهر السابق، بحسب الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء.

وتأتي عودة معدل التضخم إلى الارتفاع بعد قرارات الحكومة بزيادة أسعار الكهرباء والمياه والمحروقات في يونيو الماضي، كجزء من الإصلاحات التي تطبقها مصر.

والثلاثاء الماضي، أعلنت وزارة البترول والثروة المعدنية المصرية إضافة 180 مليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي و1500 برميل من المكثفات يوميا بعد وضع البئر التنموية الجديدة "نيدوكو جنوب غرب – 3" على خارطة الإنتاج بحقل نورس للغاز الطبيعي في منطقة دلتا النيل شمالي البلاد.

وفي 5 يوليو، توقع وزير البترول طارق الملا أن يرتفع إنتاج بلاده من الغاز الطبيعي إلى 6.75 مليار قدم مكعبة يوميا بنهاية العام الجاري، مقابل 6 مليارات قدم مكعبة يوميا حاليا.

وتؤكد الوزارة مرارا أن البلاد ماضية في طريقها لتحقيق الاكتفاء الذاتي من الغاز الطبيعي نهاية 2018 وتحقيق فائض من الغاز خلال 2019. وكان الملا قد أكد في يونيو الماضي أن مصر ستتوقف عن استيراد الغاز المسال مع نهاية العام الجاري.

خروج المعارضة من القنيطرة تزامنا مع تقدم النظام السوري

❑ **دمشق** – يتم الاستعداد لإجلاء مجموعة ثانية من مقاتلي المعارضة وعائلاتهم إلى شمال سوريا بموجب اتفاق أبرمته معهم روسيا. ويتزامن ذلك مع إعلان الجيش السوري سيطرته على عدد من القرى في جنوب غرب البلاد إذ أصبح أقرب إلى حدود هضبة الجولان.

ووصل المئات من المقاتلين والمدنيين، السبت، إلى الأراضي التي تسيطر عليها فصائل المعارضة في شمال غرب سوريا، بعد إجلائهم من محافظة القنيطرة في جنوب سوريا. كما ذكرت وكالة الأنباء السورية الرسمية (سانا) أنه يجري، السبت، الإعداد في منطقة القنيطرة لإجلاء دفعة ثانية من المقاتلين مع عائلاتهم.

وتم إجلاء الدفعة الأولى من المقاتلين من محافظة القنيطرة التي تضم هضبة الجولان التي تحتلها إسرائيل. وقال المرصد السوري لحقوق الإنسان إن "الدفعة الأولى التي تنقل 2800 شخص من مقاتلين ومدنيين وصلت صباحا إلى معبر مورك" في ريف حماة الشمالي، الذي يربط بين المناطق الخاضعة لقوات النظام وتلك الخاضعة للفصائل المسلحة المعارضة.

ووفق تقارير صحافية وصلت نحو خمسين حافلة تنقل مقاتلين وعائلاتهم. وأوضحت نفس المصادر أيضا أن المقاتلين كانوا يحملون رشاشات فردية وتناولوا طعاما قدم إليهم، قبل أن يستقل الجميع مع النساء والأطفال حافلات أخرى استأجرتها منظمة غير حكومية محلية لنقلهم إلى مخيمات استقبال مؤقتة في محافظتي إدلب (شمال غرب) أو حلب (شمال).

وذكر مدير المرصد رامي عبدالرحمن أن "أكثر من نصفهم أطفال ونساء"، مضيفا أنه "من المتوقع أن تستمر عملية الإجلاء وأن تكون هناك دفعة ثانية لإجلاء رافضي اتفاق القنيطرة". وأعلن التلفزيون السوري ومقاتلون من المعارضة، السبت، أن الجيش السوري وحلفاءه حققا تقدما في جنوب غرب البلاد وأصبحا أقرب إلى حدود هضبة الجولان. ويتقدم الجيش بدعم جوي روسي على مشارف محافظة القنيطرة بعد حملة بدأها الشهر الماضي وأخرجت مقاتلي المعارضة من محافظة درعا المجاورة.

وأعاد الهجوم سيطرة الحكومة السورية على قطاع من جنوب غرب البلاد، في منطقة استراتيجية على حدود الأردن وإسرائيل.

ويأتي إعلان الجيش عن سيطرته على عدد من القرى في منطقة بين المحافظتين في يوم من المتوقع فيه إجلاء مجموعة ثانية من مقاتلي المعارضة وعائلاتهم إلى شمال سوريا.

ويحكم الجيش سيطرته على سلسلة مرتفعات مهمة تطل على الحدود مع الجزء الذي تحتله إسرائيل من الجولان، وهي نقاط منحت مقاتلي المعارضة الإسلامية في الأساس والذين كانوا يسيطرون عليها يوما ما وضعا قويا في المنطقة الحدودية الحساسة.

ويقول مقاتلو المعارضة إن اتفاقا، تفاوض بشأنه ضباط روس مع المعارضة في منطقة القنيطرة الأسبوع الماضي، يسمح بالعبور الآمن للمقاتلين الرافضين للعودة إلى سيادة الدولة كما يمنح من يختارون البقاء ضمانات روسية بعدم حدوث تعديات من جانب الجيش.

ويسمح هذا الاتفاق أيضا بعودة وحدات الجيش السوري، التي كانت موجودة قبل تفجر الصراع عام 2011، إلى مناطق تمركزها بالقرب من المنطقة منزوعة السلاح المتفق عليها عام 1974 مع إسرائيل والواقعة على الحدود مع الجزء المحتل من هضبة الجولان.

عبور آمن للمقاتلين وعائلاتهم

ويريد الجيش السوري السيطرة على محافظة القنيطرة بالكامل في حين تساور إسرائيل مخاوف عميقة بشأن وجود مقاتلين تدعمهم إيران في المنطقة التي يطلق عليها مثلث الموت.

وأشارت إسرائيل إلى أنها لن تعرقل وجود الجيش السوري في القنيطرة طالما ظل بعيدا عن المنطقة منزوعة السلاح. وقالت إنها ستواصل تصعيد الهجمات على حدودها وفي أنحاء أخرى من سوريا تعتقد بأن قوات تدعمها إيران تتمركز فيها.

وتوقع مصدر في المعارضة تنفيذ بقية مراحل الاتفاق الأخرى في الأيام المقبلة، ومن ذلك تسليم الأسلحة ودخول الشرطة العسكرية الروسية إلى البعض من القرى.

ولجأ عشرات الآلاف من الأشخاص إلى منطقة الحدود منذ أن بدأ الجيش السوري بدعم روسي حملة قصف جوي قبل شهر وصفتها المعارضة بأنها سياسة أرض محروقة.

وقال المرصد السوري لحقوق الإنسان كذلك إن ستة مدنيين على الأقل قتلوا، السبت، بغارات جوية شنها الطيران الروسي، مستهدفا مواقع لـ"جيش خالد بن الوليد" المبايع لتنظيم الدولة الإسلامية في جنوب سوريا.

ولا يزال التنظيم يسيطر على جيب صغير في ريف درعا الجنوبي الغربي في جنوب البلاد، ورفض الدخول في أي اتفاق مع النظام.

وأوضح المرصد، من جهة ثانية، أن معارك السبت في هذه المنطقة أوقعت 13 قتيلا في صفوف القوات الموالية للنظام بينهم ثمانية قتلوا في انفجار سيارة مفخخة.

وقتل 26 مدنيا في قصف جوي عنيف استهدف، الجمعة، الجيب الخاضع لسيطرة الجهاديين، وفق ما أفاد المرصد الذي أكد أيضا أن القصف السوري والروسي كان لا يزال متواصلا، السبت.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن

Al-Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان

Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

سامحونا.. نحن قتلة

في ذروة الاحتجاجات المتصاعدة في العراق، خرج هادي العامري، قائد منظمة بدر وإحدى أبرز أذرع إيران في العراق وأشدها بطشا، بخطاب زاد من حرارة الوضع الملتهب. وتقدم العامري، الذي انتقل من العمل العسكري كقائد لإحدى أبرز ميليشيات الحشد الشعبي، إلى العمل السياسي من خلال تحالف الفتح الذي حلّ في المركز الثاني في الانتخابات البرلمانية العراقية، في خطابه، "معتذرا" للعراقيين عن توفير الحياة الكريمة لهم. وقال العامري إن "الشعب العراقي قدم رسالتين قويتين خلال فترة قصيرة، الأولى بمقاطعة الانتخابات التي جرت في 12 مايو 2018، والثانية تمثلت بالمظاهرات التي انطلقت جنوب العراق.. نحن قصّرنا بحق الشعب ولا بد من الاعتراف بتقصيرنا". تصريحات العامري، الذي يتطلع للوصول إلى منصب رئيس الوزراء، كان من الممكن أن يأخذها العراقيون على محمل الجد وتهدّئ قليلا من حدة غضبهم إلا أن الأمر على العكس تماما، فالخطاب المضلل للعامري رفع أكثر من أصوات المحتجين الغاضبين من النظام بكل أطيافه والرافضين لأي وجود لإيران ومواليها في العراق.

فاروق يوسف
كاتب عراقي

❏ في لحظة نادرة من تاريخ العراق السياسي تقدّم زعيم ميليشيا بدر هادي العامري بالاعتذار للشعب العراقي. لم يكن ذلك الاعتذار بسبب عمليات القتل والنهب التي مارستها الميليشيا التي دخل العامري نفسه العراق من إيران زعيما لها.

فمنذ أن فتحت الولايات المتحدة الحدود العراقية عام 2003 أمام كل ما يمكن أن تقدّمه إيران من مساهمات فذة في تدمير ذلك البلد المنكوب الذي تعرضت دولته للتحطيم وتم حل جيشه الوطني حرصت تلك الميليشيا على تصفية الأطباء والمهندسين والمفكرين وضبّاط الجيش السابق الكبار وطياريه متّبعة قوائم أعدتها إيران انتقاما من العراقيين الذين هزموها في حرب الثماني سنوات التي لم تنته بعد بالنسبة إليها.

وإذا ما كان هناك معسكران للصقور والحمائم يتوزع بينهما الزعماء الشيعة في العراق فإن العامري لا يحسب على معسكر الصقور فحسب، بل وأيضا يمكن اعتباره الصقر الأشدّ وحشية وافتراسا وهمجية في مجال تصفية خصومه الذين يتحركون في نطاق دائرة نزعته الطائفية المريضة.

العامري الذي لم يكف عن التصريح بأنه واحد من جنود خامنئي لا يعنيه في شيء مصير العراق ونوع الحياة التي يعيشها العراقيون. فمَن عاش مثله سنوات طويلة خادما في الحرس الثوري الإيراني لا يمكنه أن يبالي إذا ما تعرّض العراقيون للقتل والخطف والقهر والإذلال أو إذا وقع العراق تحت هيمنة دولة أخرى. وهل يعتبر هذا الجندي الإيراني إيران دولة أخرى؟ سؤال قد لا يزعجه.

طلب العامري من الشعب العراقي أن يسامحه لأنه فاسد. أن يسامحهم لأنهم فاسدون. أسمّي الأشياء هنا بأسمائها وهو ما لم يقله الزعيم الفعلي لميليشيا الحشد الشعبي. لأنه فاسد وليس لأنه قاتل. لأنهم فاسدون وليسوا حفنة من القتلة.

لعبة هي أشد إذلالا للشعب العراقي مما لو بقي تلميذ قاسم سليماني وتابعه المخلص صامتا. القتل من وجهة نظر خادم خامنئي هو ليس ذنبا يتطلب أن يقوم صاحبه بالاعتراف، طلبا للصفح أو سعيا وراء الحصول على عقاب مخفف.

لقد جرت كل عمليات القتل التي شهدها العراق على أساس الهوية الطائفية من وجهة نظره أيضا في إطار حرب عادلة، كان الهدف منها إنجاز ما لم تستطع إيران إنجازه في سنوات حربها ضد العراق.

> إذا ما كان هناك معسكران للصقور والحمائم يتوزع بينهما الزعماء الشيعة في العراق، فإن العامري لا يحسب على معسكر الصقور فحسب، بل وأيضا يمكن اعتباره الصقر الأشد وحشية وافتراسا وهمجية في مجال تصفية خصومه

القتل فعل لا يستحق صاحبه أن يقوم فاعله بالاعتذار. فهو يقوم بمهمته المقدسة وهي مهمة لا يقوى المكلف بها أن يرفض القيام بها، ذلك لأن ذلك الرفض يُخرجه من الخط الذي وضع نفسه في خدمته. خط الإمام الخميني الذي أوصى أتباعه بالاستمرار في إقامة المسيرات الجنائزية.

كانت جنائز العراقيين تحقيقا لنبوءة الزعيم الديني الذي شرع أبواب القتل أمام أتباعه من أجل أن تعلو راية الجمهورية الإسلامية في إيران. ولكن مَن يملك القدرة على مطالبة رجل مسلح بالاعتراف بالقتل؟

أعداد القتلة في العراق لا تُحصى. كلهم مطلقو السراح، بل إن عددا كبيرا منهم قد تسلّم مناصب كبيرة في الدولة العراقية وصار يقابل زعامات العالم باعتباره ممثلا منتخبا للشعب القتيل.

كما أن لا أحد في العراق يقوى على أن يجرّ لغما مثل هادي العامري إلى المحكمة. أين تقع تلك المحكمة؟ السجون العراقية، العلنية والسرية على حد سواء، غاصة بالمعتقلات والمعتقلين الذين لم يروا قاض ينظر في قضاياهم التي تم تلخيصها بالمادة أربعة إرهاب.

إنهم إرهابيون وإن لم يقتلوا أحدا. أما هادي العامري الذي مارس القتل علنا فهو ليس إرهابيا.

"ليس كل من يَقتل مدنيا سلميا هو إرهابي"، ذلك هو القانون الذي يفض النزاع حول معنى الإرهاب في العراق. القتلة من أمثال العامري هم الذين يشرعون القوانين.

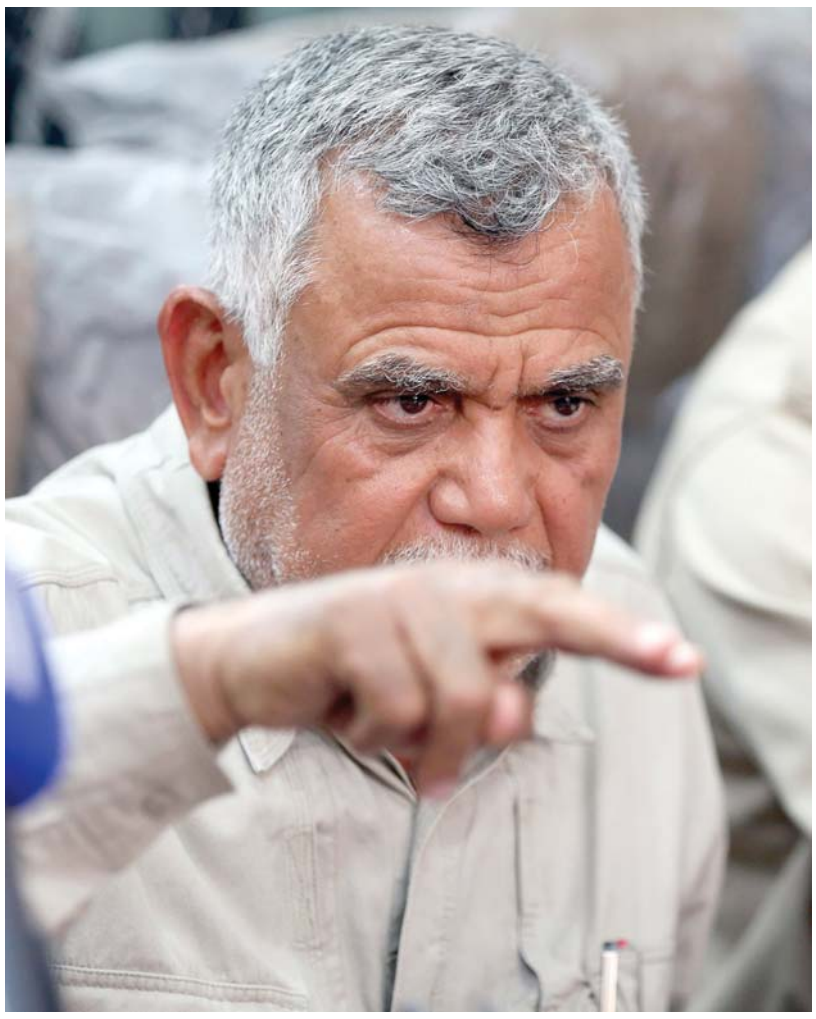

واحد من جنود خامنئي لا يعنيه في شيء مصير العراق

لذلك فإن الفساد هو الآخر ليس تهمة يستحق صاحبها أن يُجر إلى المحاكم. يكفي أن يُعلنها على الملأ لكي يكون شجاعا وتحمله الجماهير المنكوبة على الأكتاف إلى مجلس النواب باعتباره بطلا منقذا.

ليس من الصعب الاستنتاج أن رجلا أمّيا مثل العامري هو شخص فقير الخيال. ولأنه لا يحترم أحدا سوى أسياده في طهران وقم، فإنه لا يحتاج خيالا لكي يبدو محقا في ما يقدمه من تفسير لذلك الخراب الذي ضرب العراق بسبب وجوده وسواه على رأس السلطة هناك.

يمكن تلخيص اعتذار العامري من الشعب العراقي كونه لغما وضعه رجل إيران في طريق زملائه القتلة والفاسدين ولم يكن في ذهنه إلا أن يستعمل الشعب العراقي في حرب من نوع جديدة. فالرجل لم يقل إنه سيتوقف عن القتل بل دعا إلى فساد أقل.

منصات التواصل الاجتماعي تنافس الحملات التقليدية في انتخابات باكستان

الناخبون الشباب يواجهون المرشحين الأقوياء عبر هواتفهم الذكية

أصبح قطع الإنترنت أول خطوة تقوم بها بعض الحكومات في حال ظهرت بوادر تحرك شعبي عريض أو اندلعت احتجاجات ولم تنفع معها سياسة القمع التقليدي. ومرد ذلك الدور الذي أصبحت تلعبه السوشيال ميديا في مثل هذه المناسبات، كما خلال الانتخابات. ويتطلع الشباب الباكستاني، وهو مقبل على انتخابات برلمانية الأسبوع المقبل، إلى منصات وسائل التواصل الاجتماعي في محاولة لإحداث تغيير، حتى وإن كان بسيطا مقارنة بكم الفساد والممارسات الدكتاتورية في البلاد، إلا أنهم يؤمنون بأن الخطوة الأولى يمكن أن تنتهي حتى بعد زمن إلى قفزة هائلة.

❏ إسلام أباد – حاصرت مجموعة من الشباب شخص فيه بالجيلين الثالث والرابع من الإنترنت، بحسب السلطات.

وتشكل الانتخابات البرلمانية في باكستان الأسبوع المقبل ثاني عملية انتقال ديمقراطي للسلطة على التوالي في بلد يتسم بكثرة الانقلابات، ومع ذلك، يبدو أن الاعتقاد بتعزيز الديمقراطية في البلاد ضعيف، إلا أن هناك أملا بأن تحقق تحركات الشباب التغيير المنشود حتى وإن كان على المدى الطويل.

واستُخدمت منصتا يوتيوب وفيسبوك لإرباك أساليب التصويت التقليدية. وتتم مواجهة الأقوياء بشكل مباشر بمقاطع فيديو. وبعدها، تعرض القنوات التلفزيونية الكثيرة جدا الفيديوهات وتعطيها بذلك مستوى أكبر من المشاهدة. ويرى سروار باري المحلل في شبكة من أجل انتخابات حرة وعادلة، وهي تحالف منظمات من المجتمع المدني، أن الشعبية التي تحظى بها هذه الفيديوهات تُظهر الاستياء المتزايد لدى الشباب الباكستانيين.

ويعتبر أن السياسيين المستهدفين بهذه الفيديوهات "لن يحصلوا على الأقل على أصوات الشباب"، الأمر الذي قد يكون له تأثير كبير، نظرا إلى حجمهم في مجموع الناخبين.

وحوالي 46 مليونا من المسجلين للانتخابات التشريعية التي ستُجرى في 25 يوليو، لا تتجاوز أعمارهم 35 عاما، أي قرابة نصف الناخبين الذين يبلغ عددهم 106 ملايين شخص.

وسيقترع للمرة الأولى قرابة 17.5 مليون ناخب تتراوح أعمارهم بين 18 و25 عاما. ويتوقع المحلل باري أن تكون المشاركة "كثيفة".

وتمكن بطل الكريكيت السابق عمران خان، الذي يعتبر حزبه "حركة الإنصاف الباكستانية" أحد الأحزاب الأوفر حظا في الانتخابات، من حشد هذه الشريحة من الناخبين في الانتخابات السابقة عام 2013. لكن حتى هو لم يفلت من التصوير بعد التقاط مشاهد له وهو يتسلل هاربا من شباب أحاطوا به في كاراتشي (جنوب). وحصل الأمر نفسه مع رئيس الوزراء المنتهية ولايته شاهد خاقان عباسي الذي اضطر للتراجع عن زيارة مدينة كاهوتا، قرب إسلام أباد بسبب حشد كان يهتف "احترموا الناخبين".

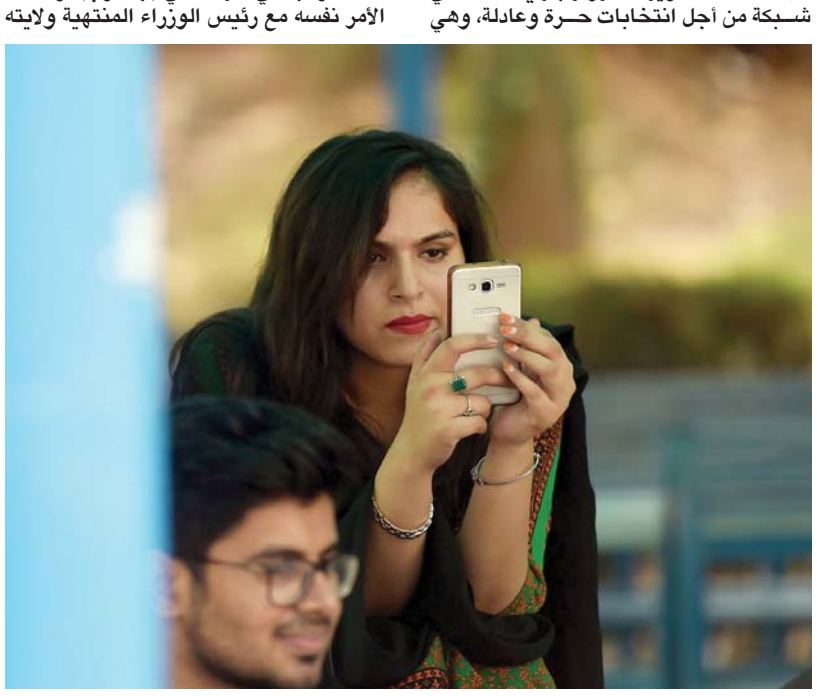

ثورة ناعمة

ورأى شهزاد أحمد، مدير منظمة بايتس فور أول، وهي مركز أبحاث متخصص في الأمن الرقمي وحرية التعبير، أن "الشبكات الاجتماعية أصبحت أداة لتعزيز الديمقراطية". وخلصت دراسة حديثة أجرتها مؤسسة آسيا، إلى أن هذه الشبكات تدفع بالشباب خصوصا إلى الالتزام في العملية الديمقراطية.

وتقول مهام خان، وهي طالبة تبلغ 21 عاما، "بشكل عام، الشباب يستخدمون الشبكات الاجتماعية مثلما حدث في مصر"، في إشارة إلى التظاهرات التي نُظمت في القاهرة عام 2011 عبر الإنترنت وأدت إلى سقوط الرئيس حسني مبارك.

وتعتبر أن البث الحيّ عبر يوتيوب وفيسبوك ومستخدمي هذين الموقعين يلعبون دورا مشابها قليلا في باكستان: يجب أن يحدثوا "ثورة اجتماعية ناعمة". مع ذلك، من الصعب التنبؤ بنتيجة تصويت الشباب نتيجة حجم الاختلافات الاجتماعية والاقتصادية والعقائدية بين السكان.

ويطالب القسم الأكبر منهم بالحصول على فرص عمل وبتعليم أفضل. وأشار عدد من استطلاعات الرأي إلى أن هذه الفئة من الناخبين قد تصوت بشكل كبير لحزب عمران خان، حركة الإنصاف الباكستانية، والذي اتخذ من محاربة الفساد الشعار الأساسي لحملته. ويقول الطالب رافع خان جابون (23 عاما)، "أريد في أول مشاركة لي في الانتخابات، أن يأتي صوتي بالتغيير".

تكميم أفواه

هناك مزاعم واسعة الانتشار بأن الجيش بصدد التلاعب بالانتخابات، ويقول صحافيون ووسائل إعلام إنهم يتعرضون لعملية تكميم أفواه، في حين يتعرض سياسيون لترهيب وأعمال عنف دموية. وهناك جماعة مسموح لها بالمنافسة في الانتخابات الباكستانية يقودها رجل دين، تم رصد مكافأة بقيمة 10 ملايين دولار لمن يأتي برأسه؛ لوقوفه وراء الهجوم الدامي في مدينة بومباي الهندية في عام 2008.

أما الشخص الآخر الذي يروج لنفسه فهو رجل دين متطرف، تسبب أتباعه في إغلاق طريق رئيسي في العاصمة إسلام أباد لعدة أسابيع العام الماضي جراء احتشادهم تأييدا لقوانين مثيرة للجدل تتعلق بالتجديف (الإساءة للمقدسات).

وقالت اللجنة المستقلة لحقوق الإنسان في باكستان هذا الأسبوع إن الانتخابات ستكون "الأكثر قذارة.. وستشهد مشاركة هي الأكثر كثافة". وقال المتحدث باسم اللجنة آي.أيه رحمن في العاصمة إسلام أباد "تساورنا شكوك جدية في إجراء انتخابات حرة ونزيهة".

وأضاف ألطاف خان أن العشرات من المراقبين الدوليين من الاتحاد الأوروبي والكومنولث، وصلوا بالفعل إلى باكستان لمراقبة الانتخابات إلى جانب مراقبين محليين.

> ناخبون باكستانيون غاضبون باتوا يحاسبون ممثليهم بشكل مباشر مشهد غير مألوف يكسر الجمود في مجتمع يفوز في انتخاباته منذ عقود مالكو الأراضي الإقطاعيون وأعيان القرى والزعماء الدينيون من دون معارضة كبيرة

ولا تزال الأحزاب السياسية غير مقتنعة بأن الانتخابات ستكون نزيهة، ويشكو معظمها من أنها تتعرض للخداع، وتتم عرقلتها حين إجرء حملاتها الانتخابية من قبل الجيش بشكل مباشر أو غير مباشر.

وقال حزب رئيس الوزراء السابق نواز شريف "يمكننا أن نرى بوضوح محاولات للتلاعب بالانتخابات، ولن نقبل النتائج إذا وقعت عمليات تزوير في يوم الاقتراع . وكان قد تمت إزاحة شريف من منصب رئيس الوزراء من قبل المحكمة العليا في البلاد العام الماضي، على خلفية ادعاءات بفساد عائلته ناتجة عن أوراق بنما المسربة في عام 2016. وهو الآن يقضي حكما بالسجن لمدة 10 سنوات مع ابنته إثر إدانته من قبل محكمة أخرى في وقت سابق من هذا الشهر.

لكن هذا لم يؤثر سلبا على شعبية شريف بسبب الانطباع السائد بأن الجنرالات الأقوياء ورجال القضاء الحازم يتآمرون من أجل تحييده وإبعاده عن الساحة السياسية. وقال المحلل السياسي عرفان شهزاد "شريف قد يكون تحت مطرقة القانون، لكنه لا يزال أقوى شخص على المستوى السياسي". وأضاف "الكثيرون يعتقدون أن الرجال الذين لديهم أحذية طويلة هم وراء الإطاحة به" في إشارة إلى الجيش القوي في البلاد.

تعويم بشّار الأسد!

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ هل للنظام القائم مكان في المعادلة السورية الجديدة التي أطرافها روسيا وإسرائيل والولايات المتحدة؟ من الواضح أن بشار الأسد قرر الانضمام إلى الثلاثي الذي قرر رسم مستقبل سوريا وذلك حماية لنفسه ولضمان البقاء في دمشق، علما أن مصير الرجل سيتحدد في ضوء القدرة على التزام الشروط الإسرائيلية.

في مقدّم هذه الشروط الخروج الإيراني من الأراضي السورية كلها وليس من الجنوب السوري فقط. فوق ذلك، سيكون عليه التزام اتفاق فك الاشتباك في الجولان الذي وقع في العام 1974 التزاما حرفيا.

كان ملفتا الهجوم الذي شنّه الإعلام التابع للنظام السوري على علي أكبر ولايتي مستشار "المرشد" الإيراني علي خامنئي.

> روسيا مع إسرائيل والولايات المتحدة وضعت الخطوط العريضة لتسوية في سوريا. من الواضح أن فلاديمير بوتين ودونالد ترامب استطاعا التفاهم على الخطوط العريضة هذه في قمتهما الأخيرة في هلسنكي. تظل الحلقتان الضائعتان بشار الأسد نفسه وإيران

كان سبب الهجوم قول ولايتي إنّ إيران حالت دون سقوط النظام السوري. هذا الكلام أكثر من صحيح. لولا إيران لكانت صفحة بشار الأسد طويت منذ فترة طويلة. لعبت إيران الدور المحوري، مباشرة وعبر ميليشياتها المذهبية، مثل "حزب الله"، في إبقاء رئيس النظام في دمشق وذلك بين العامين 2011 و2015. عندما وجدت أنّها عاجزة عن متابعة مهمتها، ذهب الجنرال قاسم سليماني قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري" الإيراني إلى موسكو. استنجد بالروس مباشرة بعد تقدّم المعارضة في اتجاه دمشق من جهة وفي اتجاه الساحل السوري من جهة أخرى.

كان للتدخل الروسي المباشر عبر سلاح الجو، الذي تمركز في قاعدة حميميم قرب اللاذقية، في أواخر أيلول – سبتمبر 2015، الدور الأكبر في جعل بشار قادرا على البقاء في دمشق. من الأسرار التي لا تزال غير معلنة الشروط التي وضعها الرئيس فلاديمير بوتين على بشار نفسه وعلى الإيرانيين في مقابل تدخل سلاح الجو الروسي في كل أنحاء سوريا بهدف وحيد هو منع انتصار الشعب السوري على جلاّده.

ليس مستغربا أن يتصرف بوتين بالطريقة التي تصرّف بها في ضوء التطلعات الروسية القديمة إلى موطئ ثابت في المياه الدافئة. المستغرب أن تعتقد إيران أن روسيا جمعية خيرية وأنّها ستكون قادرة على الاستفادة من تدخل قاذفات "سوخوي" لتحقيق مآرب خاصة بها في سوريا. لم تأخذ إيران في الإعتبار أن روسيا لم تكن لتتمكن من حماية بشار الأسد في دمشق من دون التنسيق الكامل مع إسرائيل.

عندما تبيّن أن هناك تناقضا كليا بين إيران وإسرائيل في سوريا، صار على بشار الأسد الاختيار. في الواقع، كان هناك دائما، في الماضي، تكامل بين إيران وإسرائيل ما دام هناك التزام من النظام السوري لجهة احترام كل الاتفاقات المتعلقة بالجولان.

ما حققته روسيا في الأشهر القليلة الماضية ليس سهلا. استطاعت تفادي حرب مباشرة إسرائيلية – إيرانية في سوريا. كان يمكن لهذه الحرب أن تمتد إلى لبنان في حال إصرار إيران على أن يفتح "حزب الله" جبهة الجنوب.

أقنعت روسيا إسرائيل بمتابعة ضرباتها لكل المواقع العسكرية الإيرانية في سوريا ولكن من دون الذهاب إلى حرب شاملة. في المقابل، لم تستطع روسيا إقناع إيران كليا بأن لا خيار آخر لديها غير الانسحاب من الأراضي السورية، خصوصا أنّ مهمة بقاء بشار الأسد في دمشق لتنفيذ مهمات معيّنة صارت مهمّة إسرائيلية.

كان على رئيس النظام السوري أن يختار في نهاية المطاف. حاول تفادي هذه الخطوة وتأخيرها قدر الإمكان، خصوصا أنّ عواطفه إيرانية وإعجابه بـ"حزب الله"، الذي فعل كل ما فعله بلبنان واللبنانيين، لا حدود له. هذا الإعجاب المنقطع النظير بالميليشيا المذهبية التابعة لإيران في لبنان موجود منذ ما قبل خلافة بشار الأسد لوالده في مثل هذه الأيّام قبل ثمانية عشر عاما...

من بين ما يدعو إلى التأكيد أن بشّار الأسد سعى إلى استرضاء إيران، قدر الإمكان طبعا، المؤتمر الصحافي الذي عقده وزير خارجيته وليد المعلم قبل بضعة أسابيع وأعطى فيه "شرعية" للوجود العسكري الإيراني في سوريا.

لم يكتف المعلم، وهو شخص مغلوب على أمره، بذلك. انتقد أيضا الجهود الروسية الهادفة إلى إعداد دستور سوري جديد. كذلك، نفى وجود اتفاق روسي – إسرائيلي في شأن الجنوب السوري. وقد تبيّن مع مرور الوقت أن هذا الإتفاق روسي– أميركي – إسرائيلي ولم يجد بشار الأسد بدّا من الانضمام إليه.

بأمان طالما يد النظام السوري بيد الروس

لم يعد سرّا أن هناك دورا إسرائيليا علنيا في تعويم بشّار الأسد. السؤال هل يستطيع رئيس النظام السوري تنفيذ المطلوب من الأطراف الثلاثة المصرّة على العودة إلى اتفاق فكّ الاشتباك للعام 1974؟

هناك كلام كثير عن تفاهمات في العمق. في أساس هذه التفاهمات دور لبشار الأسد يقوم على إعادة تأهيله انطلاقا من الجولان. تتذكر إسرائيل جيدا أن النظام السوري لم يطلق رصاصة واحدة في الجولان منذ توقيع اتفاق فكّ الاشتباك في العام 1974.

لا شيء يمنع إذا، من منطلق هذه التجربة التي عمرها أقل بقليل من نصف قرن، من العودة إليها. هذا هو المنطق الإسرائيلي الذي يحظى حاليا بمباركة روسية وأميركية. إنّه منطق متماسك يدعمه قول إسحاق رابين لياسر عرفات في آخر لقاء عقد بينهما عند معبر إريتز "لو تعرفت إليك قبل توقيع اتفاق أوسلو (في خريف العام 1993)، لما كنت وقعت معك أيّ اتفاق. أنت لم تحترم يوما توقيعك، في حين احترم حافظ الأسد بدقة متناهية كلّ الاتفاقات التي عقدناها معه، بما في ذلك الاتفاقات الشفهية".

عقد هذا اللقاء قبل أيام من اغتيال رابين في تل أبيب في الرابع من تشرين الثاني – نوفمبر 1995 وقد اعتبر ياسر عرفات كلام رئيس الوزراء الإسرائيلي دليلا على "وطنيته" وطلب من أحد مساعديه تسريبه إلى وسائل الإعلام!

لدى البحث في مستقبل سوريا في ضوء الإصرار على العودة إلى اتفاق فك الاشتباك، تظهر أوّلا المشكلة الكامنة في أنّ بشار الأسد ليس حافظ الأسد. الأهمّ من ذلك أن سوريا التي عرفناها تغيّرت جذريا منذ العام 2011. فوق ذلك كلّه ما الذي ستفعله إيران التي استثمرت كلّ هذه المليارات من الدولارات في "سوريا الأسد"؟ هل تعتبر أن كل هذا الاستثمار كان رهانا على حلم يقظة اسمه "الهلال الفارسي".

وضعت روسيا مع إسرائيل والولايات المتحدة الخطوط العريضة لتسوية في سوريا. من الواضح أن فلاديمير بوتين ودونالد ترامب استطاعا التفاهم على الخطوط العريضة هذه في قمتهما الأخيرة في هلسنكي. تظل الحلقتان الضائعتان بشار الأسد نفسه وإيران. قوّة الخطوط العريضة في أنّ الروسي يعرف بشار جيدا. يعرف نقاط ضعفه وأنّه لم يعد يمتلك غير الاعتماد على فلاديمير بوتين. أمّا إيران، فلا يزال يصعب عليها الرضوخ لما قرره الروسي والأميركي والإسرائيلي في وقت يعرف حكامها جيّدا ما هي النتائج التي ستترتب على الخروج من سوريا وما تعنيه هذه النتائج في طهران نفسها. تعرف طهران أن انهيار النظام السوري بدأ لحظة الاضطرار إلى الخروج من لبنان في نيسان – أبريل 2005 وأن لحظة بداية سقوط نظام الملالي تبدأ لحظة الخروج الإيراني من سوريا...

إدلب معقل المعارضة الأخير، ماذا ينتظرها

رانيا رضوان مصطفى
كاتبة سورية

❑ تتوجه الأنظار صوبَ إدلب، المحافظة التي تمّ فيها تجميع معارضي النظام، الرافضين للتسويات معه، ومن مناطق سورية مختلفة. تمت تسوية الوضع في الجنوب بضرب فصائل المعارضة عبر "المصالحة" والعمل تحت المظلة الروسية، أو بالتهجير، وإعادة النظام إلى معبر نصيب والحدود مع إسرائيل، وبما يرضي كلا من الأردن وإسرائيل، وكذلك الحليف الأميركي.

أما مناطق شرق الفرات، التي يسيطر عليها حزب الاتحاد الديمقراطي وقوات سوريا الديمقراطية، فقد بدأت مؤسسات النظام المدنية بالعودة إليها بالتوافق مع الاتحاد الديمقراطي، وفُتحت مكاتب له في المحافظات السورية، ويبدو أن واشنطن راغبة في الانسحاب من سوريا، إذا ما تحقق لها شرط انسحاب الميليشيات الإيرانية، بعد تأمين حدود إسرائيل في الجنوب.

تخلّى حزب الاتحاد الديمقراطي عن مشروعه الفيدرالي لصالح لامركزية إدارية موسّعة، وهو الحل الذي ترتضيه مختلف الأطراف للمنطقة، والذي اقترحه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على نظيره الأميركي دونالد ترامب وفق ما سمّي بـ"نموذج شمال العراق"، ولاقى قبولا أميركيا.

إدلب هي المنطقة المتبقّية التي يتوجب على موسكو ترتيب أمورها بالتوافق مع شريكها الضامن التركي لاتفاق خفض التصعيد في أستانة. ويأتي إكمال تهجير سكان قريتي كفرية والفوعة المواليتين للنظام وإيران في هذا الإطار، أي جعل المنطقة معقلا خالصا للمعارضة وتحت السيطرة التركية.

تمّت عملية تهجير القريتين بإشراف هيئة تحرير الشام وبطلب تركي، بعد التوافق مع روسيا على ذلك. ولا يبدو أن إيران سعيدة بهذا الإجلاء، رغم أن اتفاق التهجير ليس جديدا بل هو استكمال لاتفاق تهجير البلدات الأربع، الذي تم بين إيران وهيئة تحرير الشام/جبهة النصرة برعاية قطرية.

لكن إيران كانت تضغط على النظام لفتح معركة إدلب، وبالتالي كانت والنظام يحتاجان إلى منطقتي كفرية والفوعة كنقطتي ارتكاز للسيطرة على المنطقة، الأمر الذي حسمه الروس والأتراك لصالح بقاء المنطقة تحت السيطرة التركية.

هناك تحليلات كثيرة ترى أن مصير إدلب قد يكون مشابها لمصير الغوطة ودرعا، أي سيطرة النظام والتهجير، وهو حل مستبعد في الوقت الحالي لأسباب عديدة؛ فقد تكون لدى النظام وإيران رغبة في ذلك، لكن التوافق الروسي التركي على خلفية العلاقات والمصالح المتبادلة قبل أستانة وبعدها يحول دون التفكير في اقتحام إدلب.

موقف إيران بات ضعيفا، بسبب زيادة العقوبات الاقتصادية عليها، وحالة الغليان الشعبي في الداخل والرفض الدولي لتواجدها في سوريا، وهي تماطل في تنفيذ الطلب الروسي والأميركي– الإسرائيلي بالانسحاب من سوريا، لكنها تعمل أيضا على تقديم تنازلات لروسيا تتعلق باستثمارات واسعة على أراضيها من أجل إخراجها من مأزقها. وبالتالي مصير ميليشياتها في سوريا يصبح أكثر فأكثر بيد الروس. وأوعزت موسكو بالفعل إلى النظام السوري بحل القوى الرديفة في اللاذقية وحماة ودمشق والتي كانت تتقاضى رواتب من إيران.

تركيا ليس من مصلحتها إشعال جبهة إدلب، فقبل كل شيء، هي وريف حلب وعفرين باتت مناطق نفوذ لها، بالتوافق مع روسيا، عبر سيطرة فصائل درع الفرات وغصن الزيتون التابعة لها، إضافة إلى فصائل إدلب، وبعد أن سلّمت حلب ثم الغوطة والقلمون إلى روسيا والنظام، وسلّمتهما الأجزاء الشرقية من إدلب حتى مطار أبوالظهور لتأمين الطريق الدولي. كذلك فإن تركيا لا يمكنها تحمّل عبء نزوح إضافي باتجاه حدودها، قد يتجاوز المليوني سوري.

تريد روسيا السيطرة على كامل سوريا. وتسعى لتشكيل مجلس عسكري موحد يعمل مع قوات النظام، ويتبع لها، يضمّ الفيلق الخامس المكوَّن من القوّات الرَّديفة ومقاتلي المعارضة الذين قبلوا المصالحة، وربما قوات سوريا الديمقراطية وقوّات النمر، لكن سيطرتها على إدلب لا تأتي عبر النظام بل عبر الحليف التركي، الداعم والمسيطر على فصائل إدلب، بما فيها هيئة تحرير الشام.

ليس لإدلب أهمية اقتصادية واستراتيجية بالنسبة لروسيا؛ فهي ليست سوى منطقة تجميع لفصائل المعارضة الرافضة للتسوية معها ولكنّها تقبل بالنفوذ التركي، وبالتالي روسيا تلتف على تلك الفصائل عبر التوافق العالي المستوى مع تركيا، لإخضاع تلك الفصائل إلى الحل الذي يعيد إنتاج النظام.

وتركيا ستجبر الفصائل على أن تَحضُرَ أستانة 10 في سوتشي أواخر الشهر الجاري، بشرط أن لا تخضع إدلب لأي تهديد من قوات النظام وإيران، الأمر الذي سيدمّر جوهر اتفاق أستانة، حسب تعبير الرئيس التركي رجب طيب أردوغان.

بات من المتفق عليه دوليا استبعادُ سيناريو التقسيم، وأن سوريا هي منطقة نفوذ روسية. فبقاء إدلب خارج سيطرة النظام يوحي بإمكانية التقسيم؛ لكن العلاقات الروسية التركية، ولا سيما حجم التبادلات التجارية الكبير والموقف من حلف شمال الأطلسي، تجعل روسيا هي من سيفرض الحل الذي يُبقي النظام مع بعض التغييرات العسكرية والأمنية، ومع إمكانية إعطاء المعارضة التابعة لتركية حصصا محدودة في التسوية الأخيرة.

استمرار تواجد هيئة تحرير الشام في إدلب، وسيطرتها عليها، يشكّل عقبة أمام أي تسوية ممكنة تخصّ المنطقة، فهي تنظيم إرهابي حسب التصنيف الدولي.

أمام تركيا تنفيذ المهمة الأصعب نسبيا، وهي إنهاء تواجد الهيئة في إدلب، عبر حلها، وربما اندماج عناصرها بفصائل معتدلة، وبالتأكيد طرد الجهاديين والشرعيين الأجانب وتصفية العناصر الرافضة لهذا الحلّ.

في هذا الإطار يمكن قراءة مسلسل الاغتيالات التي تجتاح إدلب منذ أشهر لقياديين في فصائل مختلفة، من ضمنها هيئة أحرار الشام ولا نستبعد أن تطال هذه الاغتيالات قياديين كبارا فيها، ومنهم الجولاني لإعلان إنهاء التنظيم، على غرار ما حصل مع زعيم تنظيم القاعدة في العراق أبومصعب الزرقاوي.

روسيا محور أي حديث عن سوريا

كل طرف لا يأمن للآخر.. الحلقة الغائبة في لقاءات المصالحة الفلسطينية

الضغوط القوية والتنازلات المتبادلة والرؤية الواضحة عوامل أساسية لوقف الانقسام

تقترب الفصائل الفلسطينية من عقد لقاء في القاهرة خلال الأيام المقبلة لاستئناف حوارات المصالحة، بعدما تلقت مصر ردودا إيجابية من حركتي فتح وحماس تشجعها على توجيه دعوة رسمية لهما وباقي الفصائل المعنية للعودة إلى الطاولة مرة أخرى.

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

❑ **القاهرة** - دفعت نُذر الحرب التي لاحت في سماء غزة مؤخرا إلى تدخل جهات إقليمية ودولية لإقناع إسرائيل وحركة حماس بعدم الانزلاق إلى حرب جديدة، يمكن أن تؤدي إلى تداعيات وخيمة. ولا يعني وقف المناوشات أن شبح الحرب سيظل بعيدا، فقد درج الطرفان على المتاجرة بها للخروج من بعض الأزمات السياسية، وبينها رفض إسرائيل للمصالحة، ومحاولة حماس التملص من التزاماتها.

ويمثل لقاء المصالحة بين الفصائل الفلسطينية، الذي من المرتقب عقده في القاهرة قريبا، حلقة جديدة في سلسلة طويلة من الحوارات التي عقدتها القوى الفلسطينية، أغلبها عقد في القاهرة، وبعضها استضافته السعودية وقطر ولبنان. وفي جميع الاجتماعات بدا الفلسطينيون متفاهمين، لكن النتائج النهائية أوحت بأنهم اتفقوا على ألا يتفقوا.

لم يحدث المضي في أي اتفاق فلسطيني حتى النهاية. بل تحوّل كل اتفاق إلى غاية في حد ذاته لدى معظمهم، وما أن ينقضي الهدف تعود الفصائل إلى سيرتها الأولى. تتغلب المصالح الحركية على الوطنية، وتتقدم التوجهات الأيديولوجية على الولاءات الفلسطينية. يكشف كل طرف عن مناورات تدفعه إلى الميل ناحية قوى يعلم أنها تريد القفز على القضية لتحقيق أهداف قد تُلحق بها أضرارا استراتيجية.

ملت الكثير من القوى الوطنية هذه اللعبة، ومنهم من طالب مصر باعتبارها الدولة الوسيط في لقاءات المصالحة، العدول عن التكتيكات السابقة التي ترى في جمع حركتي فتح وحماس في مكان واحد هدفا كبيرا يتعاظم كلما زادت الفصائل التي تجلس حول الطاولة.

رغبة واحدة وأهداف شتى

انطلقت بعض دعوات المصالحة، أحيانا، من دوافع سياسية آنية، تهمّ مصر أو غيرها من الدول التي رغبت في الدخول على خطوطها. وانطلقت أحيانا أخرى مدفوعة بأغراض تتطلع إليها قوى دولية أملا في تمهيد التربة الفلسطينية أمام طبخة للتسوية السياسية، وتعطلت أيضا لعدم وصول الدوافع والأغراض إلى مرامي كليهما.

وتشير المعلومات التي حصلت عليها "العرب" إلى أن الجولة المنتظرة لإتمام المصالحة الفلسطينية في القاهرة قريبا تسير على الوتيرة نفسها. لم تتغير الأدبيات. ولم تدخل عليها تعديلات جوهرية، حيث تبدو الورقة المصرية أو المقترحات التي ستجتمع عليها الفصائل حصيلة لقاءات منفصلة واستطلاع رأي وجس نبض. حدثت عمليات تبادل وتوافق، وتقديم وتأخير، وحذف وإضافة، لتصبح في النهاية مقدمة لحوار عميق ودقيق.

تأتي الجولة الجديدة منطلقة من رغبة واحدة لدى جميع الأطراف، ربما تختلف الأهداف، لكنها تجتمع حول تخفيف الأضرار التي يمثلها الاستمرار في الطريق الحالي، وهي تحمل خسائر كبيرة للمتحاورين الفلسطينيين والوسيط المصري.

بدأت حركة فتح تخسر من رصيدها في الشارع. وتنهش الخلافات الداخلية في جسدها. وأخفقت لعبة التحدي التي تبناها الرئيس محمود عباس لمواجهة صفقة القرن التي تريدها الولايات المتحدة، في أن تعيد إليه بريقه السياسي المتراجع، بحكم المرض وافتقاد الرشد في التعامل مع غزة، وأوصله انتقامه من حماس إلى فرض عقوبات على الشعب الفلسطيني في القطاع. ناهيك عن تردي علاقته بإسرائيل التي أمعنت في إذلاله سياسيا. لذلك بدت العودة إلى المصالحة كطوق نجاة للسلطة وفتح من كل هذه المحن.

في المقابل، دخلت حماس مرحلة خطيرة من التردي لأنّ رهانها على إضعاف السلطة لم تجن من ورائه المكاسب التي تنتظرها. كما أن مناورتها بورقة التوظيف السياسي لبعض القوى الإقليمية مثل قطر وتركيا وإيران، جلبت عليها محنا كثيرة.

وفشل تودد حماس الخفي لواشنطن واستعدادها للتفاهم مع إسرائيل على هدنة مسلحة طويلة المدى في تمرير صفقة القرن فلسطينيا وعربيا، لذلك وجدت في العودة إلى المصالحة قارب نجاة.

سعت القاهرة إلى حض فتح وحماس للمجيء إليها. والتقت كل طرف على انفراد والوقوف على رأيه لتقريب المسافات. وصلت إلى ورقة (مقترحات) جديدة- قديمة، لكن الإعلان عن تفاصيلها قبل أيام منحها زخما مضاعفا، وأوحت بالجدية والتصميم على تحريك الموقف الذي يؤدي انسداده إلى تمكين قوى إقليمية ودولية من تغيير قواعد اللعبة التي خبرتها مصر وتعاملت مع مفرداتها.

خلافات وتراشقات ومناوشات بين الفصائل، تقود إلى الجلوس حول الطاولة، وأخذ ورد قد ينتهيان بالفشل أو النجاح. في الحالتين تتمسك القاهرة بالقبض على مفاصل مهمة في القضية الفلسطينية، باعتبار أنها تعد محورا مهما في الأمن القومي المصري. تخشى مصر فرض صفقة القرن من قبل الرئيس الأميركي دونالد ترامب، فعمدت إلى سد بعض الثغرات السياسية والاقتصادية التي تستند عليها.

تزامنت الدعوة الأخيرة للقاء الفصائل في القاهرة مع تقديرات جديدة ترى فيها مصر تحولا نوعيا في مركز القضية التي تشغلها منذ العشرات من السنين. رأت أن استثمار بعض القوى في البعد الإنساني خطر داهم على مصالحها، يقود إلى عزل قطاع غزة عن الضفة الغربية تماما ما يحمّلها عبئا سيخلّف وراءه روافد قد يصعب التصدي لها.

ختامها إدارة الظهر للاتفاق

قدمت القاهرة تنازلات بشأن التعامل مع معبر رفح، وضاعفت من وتيرة فتحه بعدما كان شبه مغلق. تفاعلت مع خطة إنشاء منطقة للتجارة الحرة مع غزة لتخفيف أزماتها الاقتصادية. وغضّت الطرف عن الكثير من ألاعيب حماس أملا في تدجينها بدلا من لفظها ومنحها مبررات الانحياز لمحور قطر وتركيا.

أفضى التعامل المصري بواقعية شديدة مع الحركة إلى اتهام القاهرة بدعم حماس على حساب فتح. وهو تطور، إن صح، يعد تحولا كبيرا بحكم العلاقة التاريخية التي تربط القاهرة بحركة فتح، وتبني حماس لأفكار إسلامية تناهض المصالح المصرية.

قُدمت في هذا السياق تنازلات عديدة، مع ذلك لا تأمن حماس للقاهرة، والعكس صحيح. لكن حسابات المصالح اقتضت اللقاء عند نقطة واحدة. نقطة فرضت الحوار والتنسيق والتعاون، أمنيا وسياسيا واقتصاديا. وكل طرف يعلم أن الطرف الآخر لا يأمن جانبه.

مطلوب طقوس جديدة

يخرج عدم التفاؤل بنتائج الجولة الجديدة للمصالحة، من رحم عدم وجود ضغوط قاهرة على أي من أطراف المعادلة الرئيسية، أي فتح وحماس. فالأجواء السلبية التي تدفع كل منهما إلى الجلوس على الطاولة لا تمثل ضغطا يجبرهما على القبول بمصالحة استراتيجية، لأن الكثير من القيادات المتصدّرة للمشهد في الحركتين تعلم أن المصالحة ستكبدها خسائر جسيمة. بالتالي، فالمدخل الصحيح يجب أن يتضمن طقوسا جديدة تأتي عن طريقين.

الأول: قوة الاقتناع بأهمية القبول بمصالحة وطنية، لأن القضية الفلسطينية دخلت مراحل متأخرة من التدهور وفقدان ما حققته طوال العقود الماضية، وجميع الفصائل خاسرة في المستقبل القريب، حتى ولو حققت مكاسب حاليا. ويحيل عدم وجود هذه القناعة لدى فتح وحماس إلى الخيار الثاني، وهو اللجوء إلى قوة ضاغطة تفرض على الطرفين المثول لنداء المصالحة دون مناورات تعيد التفاهمات إلى المربع الصفر بعدما ينتهي هدفها.

درجت القاهرة، ومعها دول عربية فاعلة، على رمي الكرة في ملعب الفلسطينيين، على طريقة "نقبل ما يقبلونه ونرفض ما يرفضونه". ربما تكون العبارة جيدة ومقبولة عند مواجهة المصير النهائي للقضية، أي على طاولة التفاوض مع إسرائيل وفي حضور وسطاء دوليين، لكن في مرحلة لم الشمل تصبح هذه العبارة من قبيل إبراء الذمة، وهي أيضا لا تخلو من ذلك في حالة تقرير المصير، لكنها تظل مفهومة ومقبولة نسبيا.

تحتاج الفصائل الفلسطينية إلى جملة من الحوافز أو العقوبات، أو الاثنين معا، بما يمثل ضغطا حقيقيا، يدفعها إلى التجاوب مع المصالحة، بلا هروب من الاستحقاقات العملية عندما يأتي أوانها.

تتزامن مع هذا المحدد رغبة حقيقية لتقديم تنازلات متبادلة، من جانب فتح وحماس. في ظل التوازن النسبي بينهما، من حيث القوة والضعف، ومن الضروري أن يتخلى كل طرف عن جزء مما يعتقد أنه مكاسب يصعب التفريط فيها، وأن التشبث بما يرى أنه ثوابت ربما يتحول إلى نكبة على رأس الجميع.

تبقى النقطة المركزية في المصالحة المتعلقة بتبني برنامج وطني يحمل رؤية واضحة لمصير القضية الفلسطينية وسط التعقيدات الراهنة.

> التوجهات الأيديولوجية تتقدم على الولاءات الفلسطينية. ويكشف كل طرف عن مناورات تدفعه إلى الميل ناحية قوى يعلم أنها تريد القفز على القضية لتحقيق أهداف قد تُلحق بها أضرارا استراتيجية

في كل المراحل السابقة من الحوارات والاجتماعات والاتفاقات، لم نر برنامجا وطنيا شاملا. كل طرف يحاول تطبيق رؤيته الأيديولوجية على قضية لم تعد تحتمل القسمة، فما بالنا إذا كانت أصلا الرؤية السياسية غائبة؟ وهو ما يفسر عدم قدرة أي من الحركتين على هزيمة الأخرى.

تخلصت جميع حركات التحرر التي حققت نجاحات فعلية في العالم من أزمة الازدواجية، لوجود أكثر من حركة قائدة. في الحالة الفلسطينية لا يزال هذا الداء مستمرا لأجل غير مسمى. لذلك يصبح التفاهم على برنامج وطني واضح نقطة البداية للمصالحة، بعد أن تحولت إلى هدف، وغابت الأهداف التي تنطوي عليها المرحلة اللاحقة.

الحرب التجارية والخلافات حول إيران تخيمان على اجتماع مجموعة العشرين

لقاء بوينس آيرس فصل جديد في مسار التصعيد بين ترامب والصين والاتحاد الأوروبي

❑ **بوينس آيرس** - يلتقي وزراء مالية دول مجموعة العشرين وحكام مصارفها المركزية، السبت والأحد في بوينس آيرس، في اجتماع تخيم عليه أجواء توترات تجارية حادة بين الولايات المتحدة وسائر الدول وخلافات حول إيران، وتداعيات قمتي بروكسل (قمة الناتو في 11 يوليو) وتلتها قمة هلسنكي التي جمعت الرئيس الأميركي دونالد ترامب ونظيره الروسي فلاديمير بوتين، وقد سبقتهما قمة مجموعة السبع (مطلع يونيو). وقد أثارت القمم الثلاث، وما صدر خلالها من مواقف وتصريحات للرئيس الأميركي، جدلا دوليا، وسط توقعات بأن يسير لقاء مجموعة العشرين على نفس الوتيرة.

ويخيّم على الاجتماع موضوع الحرب التجارية، التي أشعل ترامب، فتيلها. وهو الأول للمجموعة التي تأسست عام 1999، بعد فرض ترامب رسوما جمركية إضافية على منتجات دول في المجموعة. واستهدفت الرسوم الأميركية دولا في الاتحاد الأوروبي، إضافة إلى كندا، المكسيك والصين، وهو ما ردت عليه هذه الدول بالمثل عبر فرض ضرائب إضافية.

وكعادته، استبق الرئيس الأميركي اجتماع بوينس آيرس بتغريدة مثيرة للجدل، حيث غرّد، الجمعة، متّهما الصين والاتحاد الأوروبي بـ"التلاعب بعملتيهما وخفض معدلات الفائدة". ولم يسلم أيضا الأميركيون من انتقادات ترامب، حيث انتقد الرئيس الأميركي الاحتياطي الفيدرالي الأميركي لرفعه معدلات الفائدة، معتبرا أن ذلك يضعف "القدرات التنافسية الكبيرة" للولايات المتحدة. وأعلن ترامب أنه مستعد لفرض رسوم جمركية على مجمل الواردات الصينية التي بلغت قيمتها عام 2017 نحو 500 مليار دولار. وركزت الحمائية الأميركية في وجه المنتجات الصينية حتى الآن على الفولاذ والألومنيوم، احتجاجا على المساعدات والقروض التي تقدمها بكين لتنشيط الصادرات.

اجتماع على وقع طبول حرب من نوع آخر

وقال ترامب في هذا الصدد "لست أقوم بذلك لغايات سياسية بل لما هو في مصلحة بلادنا"، متّهما الصين بأنها تستغل الولايات المتحدة منذ زمن طويل عبر ممارسات "غير قانونية" و"سرقة الملكية الفكرية". وتتهم بكين واشنطن بأنها تريد التسبب بـ"أسوأ حرب تجارية في تاريخ الاقتصاد"، وردت بفرض ضرائب جديدة على المنتجات الأميركية. وقال مسؤول كبير في وزارة الخزانة الأميركية، إن الوزير ستيفن منوتشين الذي أوفد إلى الأرجنتين السبت والأحد، "سيردّ على المخاوف بشأن السياسة التجارية".

وأبقى صندوق النقد الدولي هذا الأسبوع على تقديراته للنمو العالمي بنسبة 3.9 بالمئة لعامي 2018 و2019 لكن مديرته العامة كريستين لاغارد أشارت إلى أن هذه الأرقام قد تشكل سقفا. واعتبر كبير الاقتصاديين في صندوق النقد الدولي موريس أوبستفلد، أن التوترات التجارية تشكل "التهديد الأكبر على المدى القريب للنمو العالمي". لا سيما أن السياسة الحمائية للبيت الأبيض لا تؤثر فقط على بكين بل على شركائها الرئيسيين مثل الاتحاد الأوروبي وكندا والمكسيك.

ويتوجه رئيس المفوضية الأوروبية جان كلود يونكر الأربعاء، إلى واشنطن حيث سيلتقي الرئيس الأميركي في محاولة لتهدئة التوترات مع الولايات المتحدة، فيما حذرت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل من أن أوروبا "مستعدة" للردّ في حال فرضت الولايات المتحدة المزيد من الرسوم على وارداتها من السيارات الأوروبية، الأمر الذي يشكل قلقا بالنسبة لمصنعي السيارات الألمان.

ومن بين المسائل التي توتّر العلاقات بين الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة أيضا، رفض الأوروبيين طلب واشنطن عزل إيران اقتصاديا، وقد تبنوا آلية قضائية تعرف باسم "قانون العرقلة" تتيح حماية الشركات الأوروبية الموجودة في هذا البلد من العقوبات الأميركية. وسيدخل قانون العرقلة حيّز التنفيذ في السادس من أغسطس، وهو تاريخ بدء تنفيذ الشريحة الأولى من العقوبات الأميركية.

وبموجب مبدأ عالمية القانون الأميركي لتطبيقه خارج حدود الدولة، تنوي واشنطن فرض عقوبات على شركات وأفراد يقيمون علاقات تجارية مع إيران. وقد قرر عدد من الشركات الأوروبية مثل مجموعة توتال النفطية، الانسحاب من إيران إذا لم يتم إعفاؤها من العقوبات الأميركية.

القيصر بوتين يتحصّن بأجهزته السرية

رجل الـ«كيه.جي.بي» يستلهم التجربة الاستخباراتية السوفييتية

تزامنا مع التغيّرات الجيواستراتيجية التي يعيش على وقعها العالم، خاصة عقب مخرجات قمة هلسنكي بين رئيسي روسيا فلاديمير بوتين ونظيره الأميركي دونالد ترامب، والتي أثيرت فيها من جديد قضية التجسّس أو التدخّل في الانتخابات الأميركية لفائدة ترامب على حساب هيلاري كلينتون، فقد أعادت العديد من المنصات الإعلامية الدولية فتح صفحات تاريخ بوتين أو كما يسمّى بـ"القيصر الجديد" وكيفية بسط نفوذه على روسيا أوّلا ولعب أدوار دولية من جهة ثانية عبر سيطرته على أجهزة الاستخبارات خاصة بإعادة "كيه.جي.بي".

موسكو – نجح فلاديمير بوتين منذ تسلّمه مقاليد السلطة في عام 2000 إثر تنحي أول رئيس للاتحاد الروسي بوريس يلتسين عن الحكم في آخر يوم من عام 1999 في رسم صورة تبدو مغايرة عن أسلافه الذين حكموا البلاد خاصة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي في العام 1989، إلى درجة أن الرجل الحالم بإعادة أمجاد الإمبراطورية السوفييتية تمكّن من إعادة البريق للمعسكر الشرقي بنجاحه خاصة في ضمّ الرئيس الأميركي دونالد ترامب إلى صفّه عقب قمة هلسنكي.

ورغم نجاح بوتين أيضا في كسر تلك الصورة النمطية لروسيا القيصرية، إلا أنه وفق كل المراقبين يستلهم كل ممارسات الزعماء السوفييت وخاصة منها الاستخباراتية، وهنا لا يختلف عاقلان في أن رجل الـ"كيه. جي.بي" تمكّن عبر استحواذه على أجهزة الأمن الفيدرالي من تصفية كل الخصوم في الداخل ليجد بالنهاية عدد كبير من المسؤولين والإداريين الروس أنفسهم في السجون بتهم الفساد، أو بعض العلماء بتهم متفاوتة تبقى على رأسها تهم مساعدة أوكرانيا.

وأصبح بوتين منذ ترؤسه روسيا في عام 2000 هو الذي يتخذ القرارات ويحدد الوجهات ويقوم بلعب الدور القديم لـ"المكتب السياسي"، التي كان لأجهزة الأمن الفيدرالي دور كبير فيها.

ولم يأت تمكن بوتين من بسط قبضته على الاستخبارات من فراغ أو بصفة اعتباطية، إذ أن الأجهزة السرية الروسية في مختلف مراحلها منذ فترة القياصرة الروس، وصولا إلى الحقبة الحالية، ومرورا بالفترة السوفييتية وجهازها الشهير الـ"كيه.جي.بي"، هي من بين الأكثر شهرة في العالم وهو ما جعل الفرنسي أندريه كوزوفوا، المختص في العالم الروسي عامة والحقبة السوفييتية خاصة، يقدّم كتابا تحت عنوان "الأجهزة السرية السوفييتية" ويحدد الفترة الزمنية التي درسها من "القياصرة إلى فلاديمير بوتين".

أندري سوداتوف

ثقة فلاديمير بوتين في جهاز الأمن الفيدرالي كانت في بعض الأحيان في غير محلها، إذ فشلت الوكالة في التنبؤ بالاحتجاجات الضخمة التي ضربت موسكو في العام 2011

وعاد المؤلف في كتابه إلى قضايا شهيرة في مسار الأجهزة السرية الروسية مثل "يد موسكو" و"الجواسيس الخمسة في كامبريدج" و"ضربة المظلة البلغارية" و"وخزة تروتسكي" و"إعدام روزنبرغ" و"قتل ألكسندر ليتفينكو بالسم". وأدت كل هذه القضايا المهمة في محطات التاريخ السرّي الروسي، وفق الكاتب، إلى أن ينهل منها بوتين كل الممارسات والسلوكيات.

وجعلت قوة بوتين وسطوته على مراكز النفوذ في روسيا منه حديث العالم، حيث نشرت مجلة "فورين أفيرز" الأميركية تقريرا لأندري سوداتوف كشف فيه عن جهاز المخابرات السري الذي كان يعتمد عليه بوتين في مهماته الصعبة.

ويقول أندري سوداتوف، وهو خبير أمني روسي، إنه وعلى إثر احتجاجات لم تكن حاشدة أو ذات طابع سياسي إلا أنها كانت منسقة بشكل جيّد ضربت تسع بلدات بالعاصمة موسكو بسبب الروائح الكريهة المتأتية من مراكز النفايات تم استدعاء مسؤول من منطقة سيرباخوف، ألكسندر شيستون إلى الكرملين.

ويضيف أن شيشتون التقى مع إيفان تكاتشيف، وهو جنرال من جهاز الأمن الفيدرالي، أي وكالة الاستخبارات الروسية القوية وسليلة جهاز الشرطة السرية في العهد السوفييتي، "كيه.جي.بي". ويؤكّد أن شيشتون كان متخوفا من الاجتماع، فقرر تسجيل المحادثة بشكل سري، لينشرها لاحقا على موقع يوتيوب. وكشف سوداتوف أن التسجيل المذكور هدد فيه تكاتشيف شيستون، بقوله له "ستُسحق إذا لم تستقل، ستكون في السجن. مثل كثيرين قبلك، أنت لا تفهم، إنها عملية 'تطهير' كبيرة".

وأكد الكاتب أن شيشتون ألمح إلى أن تكاتشيف كان يتلقى الأوامر من الكرملين، بذكر أسماء العديد من المسؤولين الكبار الذين تم سجنهم بالفعل، بمن في ذلك جنرال من وزارة الداخلية إضافة إلى اثنين من المحافظين، حتى أن تكاتشيف يلمح في حديثه إلى أن أندريه فوروبيوف، محافظ منطقة موسكو والرئيس السابق للحزب الحاكم "روسيا المتحدة"، يمكن أن يكون الهدف التالي.

ويوضح سوداتوف أن محاولة جهاز الأمن الفيدرالي إسكات صوت شيستون لم تكن حادثة منعزلة، بل هي مواصلة لسلسلة نهج الرئيس بوتين القائم على الترهيب والقمع الانتقائي الذي يديره الكرملين وينفذه جهاز الأمن الفيدرالي. وكانت هذه الحلقة مثالا كاشفا لنوع حكم القيصر الجديد القائم على جهاز الأمن الفيدرالي الذي طوره على مدى السنوات الثلاث الماضية، والدور الذي تضطلع به أجهزة الاستخبارات من ضمنه.

الأمن الفيدرالي لسحق أعداء الكرملين

يتمتع أعضاء جهاز الأمن الفيدرالي بمكانة "النبلاء الجدد"، منذ صعود بوتين إلى سدة السلطة في العام 2000. وتموّل الوكالة بسخاء، وحصّنت من الرقابة وأعطيت لها صلاحيات واسعة وحرة في التصرف ضد "أعداء" الكرملين. ووفرت وكالة الأمن الفيدرالي الموارد البشرية للجنرالات والكولونيلات لشغل مناصب مهمة داخل الدولة وشركاتها الكبرى. ويؤكد سوداتوف أن جهاز الأمن الفيدرالي أصبح في فترة وجيزة من الزمن هو النخبة الحقيقية التي تقود البلاد.

ويستشهد بأن بوتين عمد خلال سنوات حكمه الأولى إلى التخلص من لامركزية أجهزة الاستخبارات الروسية التي حدثت في التسعينات، وهي مهمة شملت إلى حد كبير تركيز السلطة داخل جهاز الأمن الفيدرالي، والسماح لأفراده بجمع الثروة والنفوذ السياسي. وأمل بوتين بأن يقوم ذلك بتحويل أجهزة الاستخبارات إلى شيء يشبه طبقة جديدة واحدة موالية للكرملين، لها مصلحة في استقرار النظام وقادرة على أن تكون بمثابة ضابط لطموحات الأوليغارشية القوية في روسيا.

ورغم كل هذا النفوذ واستخدامه لغرفة العمليات السرية لجهاز الأمن الفيدرالي، يعتقد الكثير من الروس أن فلاديمير بوتين هو المخلّص الذي أنقذهم من الانهيار الاقتصادي والفساد، والقائد الذي استعاد لهم أمجاد روسيا السابقة، ولكن لا يؤيد الجميع هذه الرؤية، فهناك من يرى أن بوتين لم يفعل سوى ركوب موجة شرعنة الفساد واستعمال السياسة العسكرية والاستخباراتية لتوطيد سيطرته الشخصية على السلطة باللعب على حنين الروس للماضي أو إلهائهم بتحدّي "العدو الغربي".

وأوهم بوتين، وفق الدارسين للتطور العجيب في روسيا، الجميع بشكل سريع بأنه الضامن لمستقبل روسيا غير كاشف عن أجهزته السرية التي ساهمت في ضبط رجال الأعمال وإقصائهم من اللعبة السياسية وسجن من قاومه منهم، مثل رئيس مجموعة يوكوس النفطية ميخائيل خودوركوفسكي الذي أطلق سراحه سنة 2013 بعدما أمضى عشر سنوات خلف القضبان.

ولترسيخ هذه الصورة لدى الروس، عمل الكرملين بتوصيات مباشرة من بوتين وبتنفيذ من إدارة الأمن الفيدرالي على ضبط الشبكات التلفزيونية التي كانت تتمتع بحرية تعبير موروثة من التسعينات، لأنها لم تكن تنال رضاه، فتحولت كل الشبكات التلفزيونية تقريبا إلى خدمته وفي خدمة "القيصر الجديد".

ولتوطيد علاقته بالروس، اتبع رجل المخابرات الذي لم يتخلص من إرثه في الـ"كيه. جي.بي" على تطوير "عبادة" الشخصية من حوله ويعتني بصورته، فيظهر وهو يمارس الجودو أو عاري الصدر يمتطي حصانا، أو يقود طائرة قاذفة للمياه لإخماد حريق. وللمحافظة على صورته المنتشرة بين الروس، أحاط بوتين نفسه بأجهزته السرية، فعلاوة على جهاز الأمن الفيدرالي، تمكن من ضم الدائرة الفيدرالية لمكافحة المخدرات وجهاز الأمن الرئاسي إلى صفّه رغم علمه الكبير بأن كل هذه الأجهزة تتجادل وتتقاتل، وتتجسّس على بعضها بعضا وتسجن وحداتها عناصر من الأخرى في سباق التنافس على الغنائم.

هنا، يُبيّن سوداتوف أنه بالرغم من السيطرة على جهازه السرّي، فإن ثقة بوتين في جهاز الأمن الفيدرالي كانت في بعض الأحيان في غير محلها، إذ فشلت الوكالة في التنبؤ بالاحتجاجات الضخمة التي ضربت موسكو في العام 2011، ثم بمجرد اندلاع الاحتجاجات، كانت عاجزة عن الاستجابة لاستخدام المتظاهرين لوسائل الإعلام الاجتماعية في التعبئة والتنظيم. حيث أرسلت موسكو فريقا من جهاز الأمن الفيدرالي إلى هناك لمساعدة حليفها الرئيس فيكتور يانوكوفيتش.

ويضيف أن الأهمية الكبرى التي كانت بالنسبة للكرملين، هي ملف أوكرانيا، الدولة الأكثر أهمية بين جميع الجمهوريات السوفييتية السابقة، وكان إبقاؤها ضمن مدار النفوذ الروسي أمرا بالغ الأهمية. ولكن فشل ضباط جهاز الأمن الفيدرالي في مساعدة يانوكوفيتش على البقاء في السلطة كما فشلوا حتى في رؤيته وهو يفقد أعصابه ورباطة جأشه، وأخذوا بالمفاجأة عندما فر من العاصمة في فبراير من العام 2014.

درس أوكرانيا للتخلّص من القدامى

كان فشل بوتين في ملف أوكرانيا بمثابة الفخ الذي وقع فيه ولم يعد بوسعه الخروج منه إلا بتغيير مخططه الاستخباراتي، حيث يشير سوداتوف إلى أنه عمد في عام 2015 إلى التخلص من الأصدقاء القدامى الذين كانوا مؤيدين ومستفيدين من الدور الموسع للأجهزة السرية.

وأكد أنه أطاح بحليفه السابق فلاديمير ياكونين، وهو ضابط سابق في الـ"كيه. جي.بي"، من منصبه كرئيس لصناعة السكك الحديدية التي تملكها وتحتكرها الدولة في روسيا. ثم في العام 2016، تعامل مع الثنائي إيفانوف، فقام بإقالة فيكتور وبحل الدائرة الفيدرالية لمكافحة المخدرات في مايو، ثم قام بتخفيض رتبة سيرجي، رئيس موظفيه، في أغسطس.

كما أجبر على التوقّف أيضا عن استخدام جهاز الأمن الفيدرالي كقاعدة للتعيين بالمناصب المهمة في الحكومة والاقتصاد. ولم يكن الهدف من هذه التغييرات جعل أجهزة الاستخبارات أقل أهمية، بل للحد من استقلاليتها. ليظهر بوتين وكأنه في وضع التخلي عن فكرة ترسيخ نظام حكم مستقر بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، ليلعب النبلاء الجدد (مسؤولو جهاز الأمن الفيدرالي) دورا حاسما. وبدلا من ذلك، كان يوضح أن ما يحتاجه هو أداة، صرفة وبسيطة، لحماية نظامه فحسب.

وينبئ نموذج بوتين الجديد بعدم وجود متّسع كبير للتنافس والعداوات بين الوكالات والأجهزة. فقد أصبح جميع البيروقراطيين في روسيا، من الوزراء إلى جنرالات جهاز الأمن الفيدرالي إلى المسؤولين الإقليميين، يواجهون الآن المستقبل غير المؤكد نفسه.

وكل هذا، يحتّم بالضرورة أن تصبح النخب في البلاد تحت السيطرة، حيث يخاف الجميع من القيام بخطوة غير مصرح بها. ويبدو بوتين مستعدا للتضحية حتى بالقدرة على التخطيط للمدى الطويل ولذلك لا أحد يتجرأ من البيروقراطيين الخائفين، أو حتى الجواسيس، على التخطيط للمستقبل. ويعتبر الكثير من المراقبين أن بوتين

سيطرة تامة

ورغم قوته وسيطرته المطلقة على أجهزة الاستخبارات إلا أنه غير مستعد لفهم أن المشكلة الرئيسية في النموذج السوفييتي عادة ما كانت متمحورة في وكالات جمع المعلومات، بما في ذلك جهاز المخابرات السوفييتية "كيه.جي.بي".

ومن المفارقات أن بوتين لم يفهم هذه مشكلة أبدا. رغم أنه لاحظ مسبقا أجهزته السرية وهي تخفق وتخذله في لحظات الأزمات، كما حدث أثناء احتجاجات موسكو. ولكنه يعرّض نفسه، وفق سوداتوف، بأسلوبه في إصلاح هذه الأجهزة إلى عواقب ربما تكون أكثر كارثية.

رغم كل الإرهاصات في تعامله مع أجهزته السرية، فإن كل الرهانات التي نجح فيها بوتين لأكثر من عقدين تقوي احتمالات ديمومة نظامه بفضل عدم وجود انقسامات كبرى في الرأي العام بشأن دعمه في الوقت الحالي. وبالإضافة إلى كل هذا، فإن سيطرة بوتين المباشرة على الجهاز الأمني تجعل من أي تغيير أمرا مستبعدا إلى حد كبير، في وقت تبدو فيه احتمالات حدوث انقلاب في الكرملين أو أي أزمة أخرى غير متوقعة ضئيلة بنفس القدر، مما يجعل التعامل مع موسكو يتطلب تفكيرا استراتيجيا طويل الأمد.

جهاز الأمن الفيدرالي

وكالة الاستخبارات الروسية القوية وسليلة جهاز الشرطة السرية في العهد السوفييتي "كيه.جي.بي". يتمتع أعضاء جهاز الأمن الفيدرالي بمكانة "النبلاء الجدد"، منذ صعود بوتين إلى سدة السلطة في العام 2000. وتموّل الوكالة بسخاء وحصّنت من الرقابة وأعطيت لها صلاحيات واسعة.

امرأة تخضعها النهضة لاختبار تلميع صورتها الحداثية

سعاد عبدالرحيم

«شيخة» مدينة تونس بين شخصيتين

الحبيب مباركي

❏ لا حديث يمرّر هذه الأيام في الخزائن الضيقة والحوارات النقدية للقادمين إلى كواليس السياسة سوى ما أفرزته الانتخابات البلدية المحلية وصدعت به صناديق الاقتراع في الحاضرة الكبرى تونس. ليخرج إلى العلن اسم "الشيخة" هذه المرة على غير ما جرَت عليه العادات واتفقت عليه الأعراف.

يعرّفها البعض بسليلة حركة النهضة، فيما تواصل هي تمنّعها وتعرّف نفسها بالمستقلة سياسيا، رافضة نعتها بالإسلامية. خالفت السائد والعادي لدى كل المنتسبين للتنظيمات الإسلامية بخيارها عدم ارتداء الحجاب. توجهاتها، بحسب منطوقها الخارج للعلن، تكمن في مساندتها لكل مبادرة لها علاقة بمبدأ المواطنة وتوحيد صفوف الشعب التونسي.

> الحياة السياسية والحزبية تعتبر عبدالرحيم حديثة العهد بها، فلم تدخلها إلا بعد الثورة التونسية في عام 2011، حيث أصبحت في هذا العام عضوا في المكتب التنفيذي لحركة النهضة. وما لبثت أن ترشحت للانتخابات في عام 2011 كرئيسة قائمة النهضة في دائرة تونس الثانية الانتخابية، وفازت بمقعد في المجلس الوطني التأسيسي المكلف بصياغة دستور جديد للبلاد

إنها سعاد عبدالرحيم "شيخة" مدينة تونس. أصيلة قرية المطوية من ضواحي مدينة قابس. والمولودة بمدينة صفاقس عام 1964. درست بمعهد خزندار في مدينة باردو، وحصلت على شهادة الباكالوريا لتلتحق بعد ذلك بكلية الصيدلة بالمنستير في السنة الدراسية 1983–1984 وانتخبت نائبة للطلبة في المجلس العلمي.

بدأت عبدالرحيم نشاطها الطلابي في الكلية وأصبحت عضو المكتب التنفيذي للاتحاد العام التونسي للطلبة. تقر بعض المصادر بأنه بينما كانت تحاول تهدئة خلاف عنيف بين الطلبة، ألقي عليها القبض وسجنت في 1985 لمدة 15 يوما بسبب نشاطها الطلابي، أجبرت حينها على مغادرة دراستها قبل أن تعود إلى الكلية من جديد.

ورقة للاستقطاب السياسي

بعد قرار حل نقابة الاتحاد العام التونسي للطلبة، كثفت عبدالرحيم من نشاطها الحقوقي الذي أزعج السلطات مما أدى إلى اعتقالها ثانية وسجنها بتهمة معارضة النظام.

حصلت "بنت الجنوب" في البداية على شهادة في العلوم الغذائية في عام 1988، قبل أن تحصل على شهادتها في الصيدلة في 1992، وبدأت مسارها المهني كمديرة لمتجر بيع أدوات صيدلانية بالجملة في تونس العاصمة.

ولم تدخل الحياة السياسية أو الحزبية إلا بعد الثورة التونسية في عام 2011، حيث أصبحت في هذا العام عضوا في المكتب التنفيذي لحركة النهضة. وما لبثت أن ترشحت للانتخابات في عام 2011 كرئيسة قائمة النهضة في دائرة تونس الثانية الانتخابية، وفازت بمقعد في المجلس الوطني التأسيسي المكلف بصياغة دستور جديد للبلاد.

خلال الانتخابات التشريعية التي جرت في عام 2014 لم تترشح عبدالرحيم، وفضلت العودة إلى إدارة شركتها للأدوية في إحدى ضواحي العاصمة، بل وعملت محللة سياسية في برامج إخبارية على قناة "نسمة" المحلية (خاصة). وبعدها بعامين التحقت بالمكتب السياسي للنهضة مع عدد من الشخصيات الأخرى، في ما وصفته الحركة بانفتاحها على عدد من الكفاءات من خارجها.

الحديث عن الرهانات السياسية للأحزاب وخصوصا منها أحزاب الحكم يضع الجميع أمام تساؤل غاية في الأهمية: أي الطرق السالكة للبروز وكسب معركة استقطاب الوجوه القيادية التي حرّكت العديد من الأحزاب خلال معركة الانتخابات البلدية سواء منها تلك التي في الحكم أو في المعارضة، لكن رهان حركة النهضة المعنية بهذا المسار قبل بداية معركة الانتخابات البلدية ظل معلقا على مجموعة من الوجوه لكسب هذا التحدي.

هناك من يبوّب هذا التمشي في خانة التكتيك الحزبي واللعبة السياسية وهناك من يرى أن حركة النهضة قد دخلت فعليا مرحلة التجريب في محاولة لإقناع الرأي العام التونسي والأجنبي بأنها قادرة على بلوغ أرقى المناهج الحداثية تطورا.

مثال الاستقطاب هذا يتجلى في أبهى صوره مع النائبة المستقلة عبدالرحيم التي راهنت عليها النهضة خلال المعركة الانتخابية وكسبت الرهان ولو جزئيا. أولا في الفوز ولأول مرة في تاريخ تونس بلقب "شيخ المدينة" الذي ذهب إلى امرأة محسوبة على النهضة ولو ظاهريا.

ثانيا معركة الترشيح الحزبي لوجوه نسوية على مختلف الدوائر سواء في العاصمة أو خارجها. وثالثا وهو أهم رهان، تكثيف النشاط الحزبي والتدليل لدوائر المراقبة على أحدث صورة لحزب بدأ في التغير ومدى أهلية هذا الحزب للفعل السياسي الذي قيّد نشاطه في السنوات الأخيرة وجعله يدخل مرحلة الشك من العديد من المراقبين سواء في الداخل أو الخارج.

ما الذي يحدث في قيادة النهضة؟

قارئ ما وراء السطور لحقيقة المسار الانتخابي الذي جاء بعبدالرحيم شيخة لمدينة تونس يستكشف هذه الصورة الجديدة للفعل السياسي الذي يحرك القيادة في حركة النهضة، لكن ما يجود به حديث المراقبين يكشف عمق الأزمة التي تعاني منها الحركة في الدفع بهذه النائبة، التي عرفت باستقلالية نشاطها الحزبي ورفعها لجميع اللاءات كلما كثر النبش في مدى انتسابها للحركة خلال معركة نضالها السياسي، كورقة لتلميع صورتها.

عبدالرحيم واستنادا إلى تاريخها النضالي الذي يضعها في حل من كل ارتباطات حزبية خضعت رغما عنها لمرحلة التجريب مع النهضة واختارت التحدي في الدفاع عن هذا المنصب والأهم أنها اختارت خوض معركة مع ألدّ أعداء النهضة خصومة أي حزب نداء تونس.

تقول عن تجربتها تلك إن "الثقة الكبيرة التي منحني إياها الناخبون تجعلني أتمسك برئاسة بلدية تونس، وحقي في ذلك". فيما جاء ردها على التساؤلات حول ترشيح حركة إسلامية لشخصية غير إسلامية، باعتبارها غير محجبة، أن "الانتخابات البلدية هي جهاز تنفيذي، أي مرتبط بقانون أساسي ينظم البلديات، ولا علاقة لها بالصراع الأيديولوجي أو الصراع حول الهوّية، لكي نفرّق على أساس الانتماءات والتفكير".

يذهب مدافعون عن عبدالرحيم إلى أن انتخابها شكّل مفاجأة لمنافسي النهضة بسبب عدم ارتدائها الحجاب وكسرها للصورة النمطية التي يقدمها بعضهم عن الحركة، وانتصارها المتواصل لقضايا المرأة ودفاعها عن المكتسبات التي تحققت لها وتطويرها. فيما يرى خصومها أن رهان النهضة على وجوه خارجة عن دائرة التقيّة والتحرك الأيديولوجي الذي يطبع المنتسبين لها بات استراتيجية تحتكم الحركة لاستنساخها على أكثر من هاو وراغب في دخول أسوار مونبليزير (المقر الرئيسي لحركة النهضة)، وعبدالرحيم لم تحد عن هذا الإطار.

ما يسجله مراقبون لهذه المرأة هو تعرضها في العام 2011 إلى اعتداء بالأيدي من قبل محتجين أمام مقر مجلس النواب في باردو، بعدما استنكرت في تصريح إذاعي الدعوة إلى اعتماد تشريع يمنح المرأة حق الإنجاب خارج إطار الزواج ويوفر لها مساعدة اجتماعية أيضا، معتبرة ذلك أمرا يثير الاستغراب.

فوزها في الانتخابات البلدية التونسية على رأس قائمة النهضة في بلدية تونس العاصمة كان مدوّيا وصاعقا خصوصا لخصومها الندائيين الذين استشعروا القلق الذي باتت تمثله حركة النهضة على مسار الوجه العام للرؤية السياسة لواجهة تونس ممثلة بحاضرتها الكبرى ذات العمق التاريخي والموروث الحضاري الكبير، ليأتي تعليق "الشيخة" بعد نيلها شرف تمثيل هذه الواجهة في كلمة مقتضبة وصفت فيها فوزها بالمنصب بأنه "فخر للمرأة التونسية وفوز لنساء تونس".

ويثني الكثيرون على ما نطقت به عبدالرحيم ويصنفونه في خانة التغيير الإيجابي البنّاء الطامح إلى القطع مع فلسفة ظلت متحكمة لعقود في مناصب يحتكرها الجنس الذكوري دون سواه.

لكنّ مراقبي المشهد السياسي التونسي يشدّدون على أن تتويج أول امرأة في تاريخ تونس بهذا المنصب منذ بداية تأسيس النظام البلدي عام 1858 لم يخل من مناكفة ذكورية صاخبة ناجمة عن عقليات مهترئة لدى بعض الفئات داخل الطبقة السياسية التونسية.

أول المنطوق جاء من حركة نداء تونس العلمانية، أين قال أحد قادة الحركة في برنامج تلفزيوني إن "التقاليد تمنع من أن تتولى امرأة منصب شيخ مدينة تونس"، معتبرا أن تونس "بلد مسلم ولديه تقاليد ولا يمكن أن تجلس حزبين المرأة في المسجد بجانب الرجال في المناسبات الدينية".

أما المكلف بالاتصال في نداء تونس فؤاد بوسلامة، فقد سخر منها قائلاً "شيخة مدينة تونس امرأة، تصوروا امرأة ليلة 27 من رمضان في الجامع؟". وقيّم فريق من التونسيين ترشحها للمنصب على أنه مناورة سياسية من النهضة لتلميع صورتها أمام منافسيها العلمانيين باستغلال امرأة غير محجبة لكسر الصورة النمطية التي يقدمها البعض عن الحركة. ووصف نشطاء ومغردون تونسيون باختلاف توجهاتهم الحزبية فوز سعاد بـ"التاريخي" واعتبروه انتصارا للمرأة التونسية وللثورة والديمقراطية.

في وجه العاصفة

رغم ارتدادات الفعل السياسي الذي يمثله حصول أول امرأة في تاريخ تونس على لقب شيخ المدينة، إلا أن مفعوله يمكن تنسيبه إذا ما اقترن باستطلاعات رأي يميل أغلبها إلى موقف واضح يريد القطع مع مسألة تولي امرأة أو رجل لهذا المنصب. ذلك أن المنصب أضحى صوريا أكثر منه عمليا، إضافة إلى أن التمثيل الخطي الذي تحظى به المرأة في تونس يضاعف تأهيلها للحصول على مناصب قيادية يمكن أن ترقى إلى أكثر من منصب رئيس بلدية تونس.

لكن خلافا لهذا التمشي، فإن ما يبدو منطقيا هو رؤية البعض لمدى قدرة عبدالرحيم على تخطي مجموعة من التحديات والانتظارات تقف حائلا أمام طموحها في النزول إلى الشارع وقدرتها على الإقناع خصوصا في ظل الانقسام السياسي الذي تعيشه تونس حاليا بين أكبر حزبين يتقاسمان سلطة القرار من ناحية وقرار الشارع في الحكم على الفعل السياسي من ناحية أخرى.

مهمة عبدالرحيم توصف بالمستحيلة، فيما يقلل آخرون من حجم التهويل الذي يحق لأي قارئ أن يستشفه من مسيرة التشكيك في امرأة ظلت ماسكة بانتظارات معلقة عليها واختارت هواية التحدي.

أكبر تحد تخوضه عبدالرحيم بعد فوزها برئاسة بلدية تونس، وفق متابعين، يتمثل في كم الملفات التي تنتظرها بعد تراجع العمل البلدي في البلاد، وخصوصا في أحيائها الشعبية، بالإضافة إلى الانقسامات الكبيرة بين الفائزين بمقاعد بلدية تونس من بقية الأحزاب.

فشل النهضة ونداء تونس في التوصل إلى توافق بشأن بلدية تونس يظل أبرز مؤشر على حدة هذه الانقسامات، حيث دخل الحزبان في منافسة شرسة على رئاسة كل البلديات في كل الجهات. ووصلت المنافسة حد إعلان نداء تونس عزمه معاقبة منتمين له صوتوا للنهضة في بعض الجهات، كما حصل في بلدية باردو.

وسبق للنهضة أن فازت برئاسة عدد كبير من البلديات، أهمها بلدية صفاقس التي تعتبر ثاني أكبر المدن التونسية، وتحمل رمزية كبيرة مثل بلدية باردو، التي تضم مقر مجلس نواب الشعب، وكانت على امتداد عقود من الزمن مقر إقامة الحكام التونسيين قبل الاستقلال.

> رفض عبدالرحيم يأتي من حركة نداء تونس العلمانية، التي قال أحد قادتها في برنامج تلفزيوني إن «التقاليد تمنع من أن تتولى امرأة منصب شيخ مدينة تونس»، معتبرا أن تونس «بلد مسلم ولديه تقاليد ولا يمكن أن تجلس المرأة في المسجد بجانب الرجال في المناسبات الدينية»

ميزة النتائج التي أظهرتها الانتخابات البلدية في تونس تتجسد في كونها حملت طابعا رمزيا مهمّا، وأعطت مؤشرا على نوعية التحالفات التي يمكن أن تتم في الاستحقاقات اللاحقة، وخصوصا الانتخابات الرئاسية، فيما الأهم من كل ذلك أنها قد تدفع بعض الأحزاب إلى القيام بمراجعات مهمّة بشأن تشكيل المشهد السياسي التونسي مستقبلا.

شيخة مدينة تونس الجديدة نموذج للمرأة المتحررة المتمسكة برؤية قوامها الدفاع عن أفكار ليبرالية وإصلاحية تحرك سواكنها وتؤمن بها إلى حد لا يمكن تصوره، وقد التقت في ذلك مع خيار تستشفه حركة النهضة وتسعى لتطبيقه عبر وجوه من خارج دائرتها الممكنة، شعارها في ذلك الظهور أمام الرأي العام المحلي والإقليمي والدولي في صورة الحزب الإسلامي الديمقراطي.

الآن تكون مرحلة الانتخابات بمفاعليها الشعاراتية وأسلوبها المؤدي إلى المهاترات الأيديولوجية من قبيل الاصطفاف الحزبي والأدلجة والاستقطاب قد طويت، لتلد مرحلة جديدة عملية صرفة قوامها النظر في كمّ الملفات الموضوعة على طاولة عبدالرحيم.. هنا يتشكل معدن الشخصية العملية وتصقل مواهبها إثباتا للذات وتوقا للانتصار على المشككين.. فهل ستنجح شيخة مدينة تونس في هذا الاختبار؟

أكبر تحد تخوضه عبدالرحيم بعد فوزها برئاسة بلدية تونس، وفق متابعين، يتمثل في كم الملفات التي تنتظرها بعد تراجع العمل البلدي في البلاد، وخصوصا في أحيائها الشعبية.

عبدالرحيم يعرّفها البعض بسليلة حركة النهضة وصنيعة الإسلاميين، فيما تواصل هي إنكارها وتعرّف نفسها بالمستقلة سياسيا، رافضة نعتها بالإسلامية.

ابن الشعر والرسم والموسيقى معا

أسامة بعلبكي

رسام الواقع الملتفت إلى ماضيه

فاروق يوسف

❏ واقعيته سببت الحيرة للبعض من متابعي تجربته الفنية فأحالوها إلى ما تنطوي عليه من أفكار فصار النظر إلى لوحاته يعكس توجها فكريا معاصرا، ضمن له الانتساب إلى جيل ما بعد الحداثة، بالرغم من أن أسلوبه في الرسم لا يزال متمسكا بشروط الصنعة التقليدية.

أسامة بعلبكي وهو ابن عائلة منغمسة في الفن بكل أنواعه اختار أن يكون واقعيا في أسلوبه في التعامل مع المرئيات رسما. خيار كان بالنسبة له بمثابة تحد لما هو سائد في المحترف اللبناني المعاصر من أساليب، تستند في الجزء الأكبر منها على ما هو مفاجئ وصادم وانتهاكي.

ولأن واقعيته رفيعة المستوى فقد نجت رسومه من الوصف الميسر.

هناك نوع من التلغيز مصدره غموض القصد الذي تشف عنه المشاهد المرسومة بإتقان عال، كما لو أن الرسام كان قد تعمق في دراسة تأثيرها النفسي قبل أن يرسمها، الأمر الذي يحيلنا إلى نوع من التأمل الذي ينسج علاقة متوترة بين الذكريات الشخصية وما يظهر في الصور الفوتوغرافية.

> بعلبكي يستحق أن يُلقب برسام المكان اللبناني فهو يستعير مفرداته الملهمة من تفاصيل المكان الذي يستفز ذاكرته ويحيي فيها صورا مستعادة تتحرك بقوة أطيافها. هناك ما يحدث داخل المشهد الذي يصوره بعد أن يراه بعين غريبة

تلك العلاقة المتشنجة التي ينتج منها جمال خاص هي ما أوحت للبعض أن يزج بتجربة بعلبكي في تيار الفن المفاهيمي. تأويل يسير من أجل أن تتقدم الفكرة على الرسم. وهو ما لا أميل إليه. فبعلبكي الذي يلذ له أحيانا أن يقدم رسومه بنصوص شعرية قصيرة لا يقوم بذلك من أجل أن يوضح ما لم يقله عمله بشكل مباشر كما يفعل المفاهيميون، بل إنه يفعل ذلك توخيا لقول ما يريد قوله بلغتين مختلفتين يجيدهما.

هو رسام واقعي، غير أنه لا يفرط في واقعيته بحيث يبدو كما لو أنه يتخلى عنها وهو في المقابل رسام تعبيري لا يشحن رسومه بقيم جمالية أدبية تجعلها مجرد رسائل تحث على فهم المعنى.

بعلبكي الذي تعرفت عليه من خلال صالح بركات، صاحب قاعتي "أجيال وصالح بركات" هو بالدرجة الأساس رسام طبيعة وليس رسول أفكار.

إنه يسعى بقوة لكي يستكمل ما بدأه الآباء المؤسسون للرسم في لبنان. إلهامه في ذلك يكمن في الجمال الذي تنطوي عليه فكرة أن يكون المرء لبنانيا.

كان بركات محقا في رهانه على بعلبكي. الاثنان يحلمان بالشيء نفسه. لبنان باعتباره خزانة لجمال متجدد.

السابح ضد التيار

ولد بعلبكي في قرية العديسة جنوب لبنان عام 1978. والده عبدالحميد بعلبكي شاعر ورسام لبناني معروف. درس الرسم في معهد الفنون الجميلة بالجامعة اللبنانية. وشارك في معارض جماعية عديدة داخل لبنان، كان أهمها ذلك الذي احتضنه متحف سرسق. كانت له مشاركات فنية خارج لبنان في أبوظبي ولندن ودبي وميامي وميونخ ونيويورك وواشنطن.

"لوحات باللون الأسود" كان عنوان معرضه الشخصي الأول الذي أقامه في دار الندوة ببيروت عام 2004. بعدها أقام معرضه "مشاهد العزلة" عام 2007. ومعارض أخرى عديدة.

هذه الأيام يقيم في قاعة صالح بركات ببيروت معرضه "ضد التيار". ولعنوان المعرض الأخير دلالاته المهمة سواء على مستوى تجربة الفنان الأسلوبية أو على مستوى علاقة الفنان بالواقع.

صار بعلبكي اليوم أكثر انكشافا على مصادره الفنية الملهمة. لذلك لم يجد مانعا في أن يكون واقعيا مثل فنسنت فان غوخ، بالرغم من أن الأخير لا يمكن أن يُحسب على المدرسة الواقعية.

كما أن الفنان اللبناني لا يجد حرجا في الانتقال إلى الواقعية النقدية ليكمل مسيرته التي صنع من خلالها علاقة بين الطبيعة والمجتمع.

هذا رسام لا يستهين بوظيفته. لذلك فإنه يدرس خطواته جيدا. لم يمنعه إخلاصه المطلق للرسم من التفكير في ما يمكن أن يؤديه الرسم من وظيفة على مستوى التأثير الثقافي والاجتماعي.

لم يكتف بعلبكي بالحلول الجمالية التي وجدها جاهزة بسبب مهارته المدرسية، بل استطاع من خلالها أن يتجاوز عتبة متعته رساما لكي يستعيد من خلال الرسم تاريخا من الأخطاء اللبنانية التي أدت إلى صناعة واقع، هو في حقيقته نوع من الخطيئة.

يجاهر بعلبكي بواقعيته التي يحارب من خلالها الواقع.

إنه يحارب على جبهات عديدة انطلاقا من التفكير في سؤال "ما معنى أن تكون واقعيا في بلد مثل لبنان؟".

ينتمي الفنان إلى الجيل الذي صار عليه أن يفسر أسباب الحرب الأهلية التي شهدها لبنان بين عامي 1975 و1990 من غير أن يملك الحق في المساءلة. وهو حق يمكن أن يجاهر به الفن.

"مرافعات ضوئية" هو عنوان المعرض الذي أقامه بعلبكي عام 2017 في قاعة أجيال ببيروت. بسبب ذلك المعرض استحق أن يُلقب برسام المكان اللبناني فهو يستعير مفرداته الملهمة من تفاصيل المكان الذي يستفز ذاكرته ويحيي فيها صورا مستعادة تتحرك بقوة أطيافها. هناك ما يحدث داخل المشهد الذي يصوره بعد أن يراه بعين غريبة. لقد صور يومها غيمة تتنقل بين الأشجار وتنحشر بين البيوت لتنتقل بعدها إلى سماء حرة. هناك ما يستحق أن يُرى من بعد حتى لو كان عشبة تنمو على جدار.

من الشعر وإليه

يسعى أسامة إلى التقاط روح المكان وليس جمالياته، لذلك فإن رسومه، حتى تلك التي تمثل مشاهد طبيعية لا يمكن اعتبارها مدائح للمكان. ما يسميه "الإيقاع أو الصوت المكبوت" في الشعر يعبر عنه في الرسم من خلال شحوب يحيل المشاهد إلى فلسفة الشك التي يستند إليها الرسام في إدارة عناصر مشاهده. ذلك لأن واقعيته في الجزء الحيوي منها إنما هي مزيج من الحقيقي والوهمي "الزائف".

لذلك فإن الرسام غالبا ما يلجأ إلى الماضي باعتباره حسب تعبيره "الطبقة التي تحوي المياه الجوفية للحاضر". ولأنه لا يرسم كمَن يتذكر فإنه يستدرج ذلك الماضي من خلال إشاراته التي لا تزال تعمل في الحاضر. بمعنى أن الإشارة الحية هي الوسيلة التي يستعملها الرسام في تأكيد حدسه بالماضي. سلوك منضبط يقربه كثيرا من الرسامين الكلاسيكيين بالرغم من أنه لا يخفي تودده إلى كلود مونيه حين يتعلق الأمر بالضوء وتحولاته.

نشأ بعلبكي في بيئة مغمورة بالشعر والرسم والموسيقى. لذلك تحضر الموسيقى والشعر في عالمه، لا من خلال الإيحاء غير المباشر بل من خلال حساسية تستمد قوتها من غموض الشعر وإيقاع الموسيقى. وإذا ما كان الرسام قد أكد مرارا أنه يستمد ثقته بالفن من خلال ثقته بسلوك عدمي، كان عنوانا لعلاقة الشعراء الذين أحبهم بالحياة فإن إشاراته إلى أولئك الشعراء إنما تنطوي على الكثير من الرغبة في الكشف عن أسباب قوتهم الخفية. لقد رسم العراقي بدر شاكر السياب والفرنسي شارل بودلير والروسي فلاديمير مایاكوفسكي لا من أجل أن يستولي على صورهم الشخصية المرسومة بأسلوبه الشخصي، بل من أجل أن يهتدي إلى فكرة العدم التي تقف وراء طريقتهم في النظر إلى العالم.

قد تعامل بعلبكي مع الشعراء الذين أحبهم باعتبارهم مفردات، مثلهم في ذلك مثل شوارع بيروت بأعمدة وأسلاك الكهرباء وغابات الأرز بأشجارها والجبال التي يلذ له أن يرسمها بطريقة سيزانية في إحالة منه إلى الرسام الفرنسي بول سيزان الذي يحبه.

لذلك يمكن القول إنه في تعامله مع أولئك الشعراء لم يكن يرغب في إظهار أيقونيتهم بقدر ما حاول أن يجرهم إلى عالمه الذي يمكن النظر إليه بطريقتين. الأولى مريحة في انفتاحها على مشهد عادي يُرى من خلال جماليات مدهشة والثانية صعبة من جهة ما تقود إليه من شعور بالغموض الذي ينطوي عليه العالم.

> رسوم بعلبكي تحيلنا إلى نوع من التأمل الذي ينسج علاقة متوترة بين الذكريات الشخصية وما يظهر في الصور الفوتوغرافية

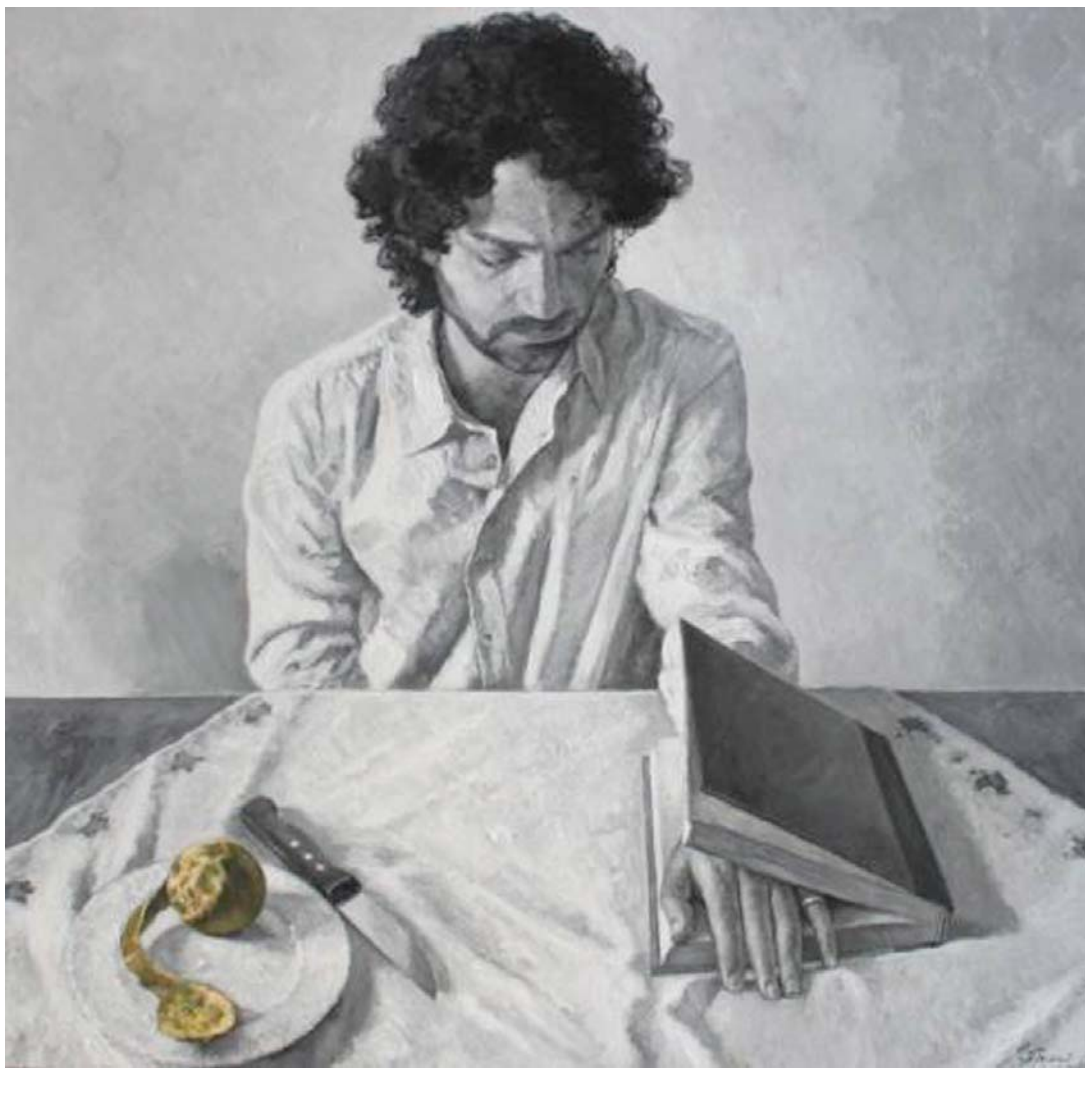

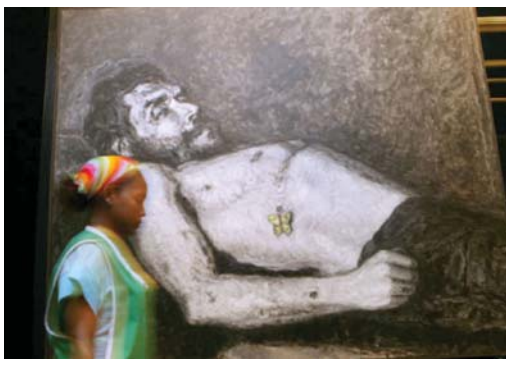

هل من موطئ قدم؟

النساء وكأس العالم

ريم الأصيل
أكاديمية من سوريا

❏ شيء جديد أن "كأس العالم"؛ هذا الحدث الكروي بات يلاقي رواجا في صفوف النساء من شتّى الأشكال والألوان، هناك متابعات للكأس من جميع الشرائح العمرية، ومن مختلف المستويات التعليمية، والخلفيات الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية أو اللادينية.. أي ليس هناك عامل محدد على ما يبدو يمكن على أساسه فرز المهتمات/ المتابعات لهذا الحدث عن غير المتابعات.

ومن نافلة القول بأن هذا حق طبيعي للنساء وليس لأحد أن يمنعه عنهنّ، ورغم أن لا أحد عمليا يمنع عنهنّ هذا الحق، وبالرغم من عدم وجود عامل محدد لمتابعة النساء كما أسلفت، إلا أنني لاحظت من خلال متابعاتي أن هناك ظهورا واضحا ومتكررا لثلاثة أنماط بارزة emerging themes في ما يتعلق بتواجد الإناث في صفوف الجماهير.

يجب أن أنوّه قبل أن أبدأ بتفصيل هذه الأنماط أنها ليست حصرية بأي شكل من الأشكال، لكنها فقط الأكثر شيوعا بناء على مشاهداتي الشخصية، وهذا يعني بطبيعة الحال وجود بعض الإناث في صفوف المتابعين ممن لا ينتمين لأي من هذه الأنماط، كما يعني أن هذه المشاهدات تعكس رؤيتي الشخصية.

أنثى تدور في فلك الذكور

هذه الأنثى هي من تتابع اللعبة إمّا لتنتزع إعجاب الذكور وإمّا لتغيظ الذكور وتسجل هدفا في مرماهم، فهي في الحالة الأولى تشجع الفريق الذي يشجعه ذكر ترغب بانتزاع إعجابه أو الحصول على رضاه، سواء كان هذا الذكر أبا أو أخا أو حبيبا أو ابنا أو صديقا أو مديرا في العمل، ونراها تبالغ في تشجيع هذا الفريق، وبالتالي قد تكون قفزتها أعلى من قفزة ذاك الذكر في حال إحراز الفريق لأي هدف أو قد يكون صراخها وبكاؤها أعلى من صراخ ذات الذكر في حال خسارة الفريق.

أما في الحالة الثانية من إناث النمط الأول، أي المتابعات اللائي يهدفن إلى إغاظة ذكر ما، فإنهن لا يفترقن كثيرا عن إناث الحالة الأوّلى إلا بأنهن يشجعن فريق الخصم للفريق الذي يشجعه الذكر. وتبقى مظاهر التطرف بالتشجيع ذاتها.

من الجدير بالذكر أنه في الكثير من الحالات لا تصرّح النساء بدوافعهنّ أو بانتمائهن للنمط الأول، لكنّي مررت بحالات حيث كان التصريح علنيا وبفخر من نوع منشورات فيسبوكية على شاكلة "حبيبي ما بيفوز غير فريقنا.. ويااااااي فزنا اليوم حبيبي، نحن لا نهزم".. ونلاحظ "نا" الجماعة التي توصل الأنثى هنا لحبيبها من خلالها فكرة أنني أنا وأنت واحد، أو من شاكلة "والله لحتى نحنا نفوز ونحرقلكون قلبكون، يااااي أصلا ما بيطلعلكون معنا"، وهنا يكون مفهوم "نحن وأنتم" واضحا وبارزا بما لا يدع مجالا للشك حول تنافسية مع هذا الذكر لا تقف عند حدود المباراة.

خلافا لنساء النمط الأول بحالتيهما، الأنثى هنا تتابع اللعبة وتشجع من تختار لأنها تريد أن تفعل ذلك ولأنها تجد متعة فيه، وهي تحسن صنعا لأنها تعرف ما تريد وما تحب ولا تتحرج من التعبير عن رأيها حتى ولو خالف رأي كل الجالسين معها في المقهى أو المتحلقين معها حول تلفاز يعرض مباراة حامية في غرفة جلوس أحد الأصدقاء، لكنّ المشكلة التي تواجهها هنا هي أنهم يتوقعون منها أن تكون ذكورية في تشجيعها وفي تعاطيها مع اللعبة ككل حتى يفسحوا لها مكانا إلى جانبهم لا يضعها في خانة نساء النمط الأول أو النمط الثالث الذي سأتي على شرحه لاحقا، وهي الطريقة الوحيدة بالنسبة لها حتى تتمكن من إثبات وجودها بعيدا عن نساء الأنماط الأخرى. مشكلتها الحقيقية هي أنها سرعان ما تتأقلم مع المطلوب منها وتبدأ بلعب الدور المنوط بها طواعية وبكل حرفية، فتبدأ بتبني أساليب ذكورية في الحديث عن المباراة وفي النكات التي ستستخدمها لاحقا لإغاظة منافسيها من المشجعين والمشجعات لفرق الخصوم، وغالبا ما تتضمن هذه الأساليب لغة خشنة فوقية عنصرية في الكثير من الأحيان، وقد تلجأ حتى إلى استخدام مسبّات ذكورية تسخر من جنسها وتهينه وتعيّره في معرض تعبيرها مثلا عن غضبها من تصرف حكم لم يعجبها أثناء لعبة ما.

الإناث في هذا النمط يتقمصن الدور بحذافيره فيظهر جليا بلغة الجسد لديهنّ، فطريقة جلوسهنّ تغدو ذكورية والتعبير عن فرحهنّ أو غضبهنّ أيضا يتخذ أشكالا ذكورية، حتى أن أسلوب لباسهنّ يصبح صبيانيا، من تي شيرتات الصبيان إلى قبعات رؤوسهم إلى أحذيتهم وحتى إكسسواراتهم، وهكذا يصبحن متّهمات من الجميع بالصبينة والاسترجال.

تدور أنثى هذا النمط في حلقة مفرغة، فكلما أرادت أن تنتمي إلى تلك اللعبة بحرية أكثر بعيدا عن وسمها بأحد الأنماط الأخرى، بالغت في إظهار إمكانية تبنيها لأنماط تشجيعية ذكورية، لكنها كلما أظهرت استعدادها هذا أكثر كلما اتُّهمت بالاسترجال بشكل متزايد وكلما صار المتوقع البديهي منها أن تغدو "مشجعا ذكرا" بجسد امرأة، مما يقدم حلا سهلا أحادي القطب لجميع الأطراف من ذكور وإناث للتعاطي مع تشجيع كرة القدم بطريقة لا تتحدى الأذهان الميّالة دوما إلى مفهوم أحادية الهوية الذي يسهل للعقل البشري التعامل معه دون الكثير من التفكير، وهكذا تبقى كرة القدم اختراعا ذكوريا بامتياز دون أي منافسة جنسية أو جندرية أخرى، لا في الملاعب ولا حتى على الصعيد المجتمعي أو النفسي.

أنثى واقعة في شَرَك التشييء

ربما تكون نساء هذا النمط هنّ الصورة الأكثر شيوعا لـ"المشجعات". هنّ إناث جميلات مغريات يرقصن ويغنين ويهتفن بغنج ودلال للفريق المحظوظ بوجودهنّ في صفوف مشجعيه. وكما أن الصورة النمطية للذكر الأقوى تستوجب وجود المرأة الأجمل والأكثر إغراء ضمن ممتلكاته والتي ستبدو في عيون المراقبين وكأنها مكافأة القدر والمجتمع له على ذكوريته الفائقة، بالتالي فهي حتما ستكون يافعة الشباب فائقة الأنوثة، وكذلك الأمر في ما يتعلق بفريق الكرة الأقوى والأكثر هيبة وسيطرة على الملاعب والجماهير، ستكون لديه الإناث الأكثر شبابا والأكثر إغراء وغنجا بين صفوف مشجعيه، وسيصبح التنافس بين الفرق بحجم صدور مشجعاتها وطول أفخاذهن وثخن شفاههن. مشكلة تشييء المرأة ليست حكرا على مجال كرة القدم، لكنها تظهر بقوة كمثال نمطي واضح جدا، هنا تنطبق عليه العلامات الأربع الدامغة لهذه النزعة (تشييء المرأة) بكل وضوح:

1- النساء هنّ من ممتلكات الرجل.

2- يجب على الرجال أن يتنافسوا على النساء.

3- النساء عبارة عن مكافأة للرجل الأكثر قدرة.

4- الحدود الجندرية الفاصلة بين الرجال والنساء تكون صارمة جدا.

لا تقف مشكلة النمط الثالث على التشجيع الاحترافي ولكنها تمتد ليكون بإمكان أي متابع عادي أن يساهم في الظاهرة، فيتبارى الرجال والنساء جميعا في تداول النكات أو الصور أو التعليقات التشييئية المتعلقة بمشجعات فرقهم أو فرق خصومهم. وتمتد الظاهرة لتشمل متابعات عاديات ولسن ضمن فرق المشجعات المحترفات، لكنهنّ مع ذلك يحذون حذوهنّ في لباسهنّ وحركاتهنّ، وخلافا لإناث النمط الثاني المتبنيات لأساليب ذكورية في اللباس واللغة ولغة الجسد أثناء متابعتهن لكأس العالم، تتبنى إناث النمط الثالث أساليب أنثوية مبالغا بأنوثتها في اللباس واللغة المستخدمة ولغة الجسد في التعبير عن الفرح أو الغضب أثناء التشجيع والمتابعة بطريقة تحفظ للعبة ذكوريتها.

وهكذا، يستمر الجميع في تقوية ذكورية اللعبة وتشجيعها بنظام تغذية راجعة سلبية (أستعير هنا هذا التعبير البيولوجي)، المهم، ما يحدث هنا هو فعلا أشبه ما يكون بنظام تغذية راجعة سلبية، فكلما انخفضت مستويات الأنوثة في اللعبة كلما زادت الجموع المتابعة لها من ضخ كميات زائدة من الذكورة فيها والتي بدورها تمنع ظهور أي علامات أنثوية، ويدور الجميع هكذا في حلقة مفرغة.

لذلك، على الأنثى التي تحب كرة القدم وتحب متابعتها، أن تفعل ما يحلو لها، وتشجع من تحب وتنافس من تحب طالما أنّ هذا ما ترغب فيه، وهذا ما يجعلها سعيدة، لكن عليها أن تبدأ بخلق موقع قدم أنثوي لها في هذه اللعبة دون أن يتم جرّها إلى أحد الأنماط الثلاثة السابقة.

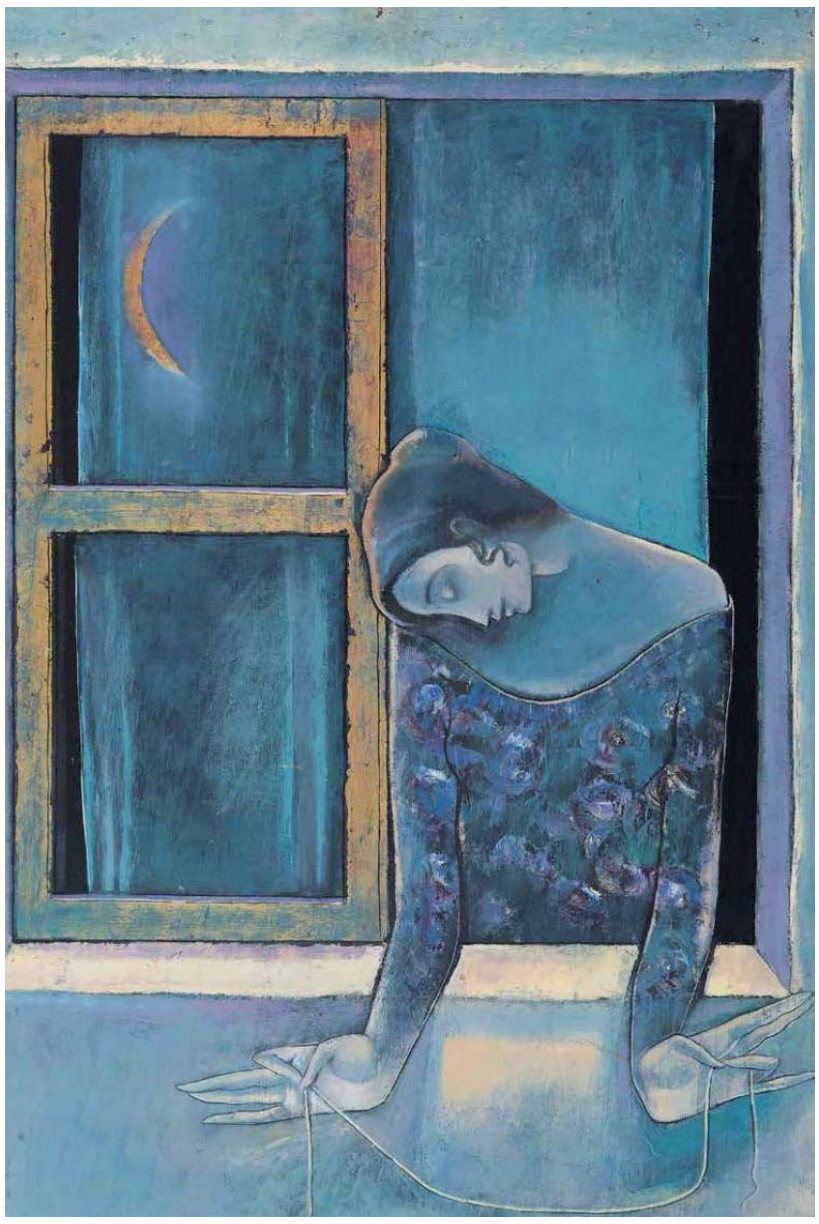

لوحة صفوان داحول

في هجاء الابتذال

سعد القرش
كاتب من مصر

❏ لم أسمع السلام الوطني الهندي أو الهولندي في عدد من المهرجانات الدولية في البلدين. ولكني منذ 30 يونيو 2013، ألاحظ اقتران السلام الوطني في مصر بافتتاح أي نشاط ثقافي أو فني، أيا كان مكانه ومهما تكن طبيعته. ولا تخلو هذه البدعة من دهشة مشاركين أجانب ينهضون مثلنا وقوفا؛ احتراما لتقليد لا يجدون له مثيلا في بلادهم، ولا يدل على زيادة في منسوب الوطنية، بقدر ما هو تزيّد يبلغ أحيانا درجة الإهانة لرمز البلاد، على عكس ما أرادت وزيرة الصحة بقرار ظننتُه، أول الأمر، سخرية سوداء يطلقها مهرّجون، فإذا هو واقع جديد يقرره مهووسون بالوطنية، في افتعال أشدّ خطرا من مرضى بهوس التشدد الديني.

في فترة التجنيد بالقوات المسلحة، قبل نحو 30 عاما، علمونا أن سماع عزف السلام الوطني يقتضي الوقوف في وضع «انتباه»، دقيقة من الصمت الجليل تليق برمز يجب أن يكون في موضعه، بعيدا عن أي تكرار له دلالة الاعتياد. والابتذال في اللغة يعني فقدان الاحتشام والتَّصوُّن، وقلة القيمة بسبب كثرة الاستعمال، وما يترتب عليه من استهانة. وقد شهدت مواقف كثيرة نالت من هيبة السلام الوطني، ففي افتتاح أي مهرجان يعزف السلام الوطني وسط حالة من الهرج، تشمل صخب الداخلين إلى القاعة، وبحث التائهين عن المقاعد، ورفع الأصوات بلغو لا يتهيّب معنى «بلادي بلادي».

انتقل الهوس من قاعات المؤتمرات ومسارح المهرجانات إلى المستشفيات، وأعلن الثلاثاء 10 يوليو 2018 أن وزيرة الصحة هالة زايد قررت إذاعة السلام الوطني، صباح كل يوم بالمستشفيات، في عموم الجمهورية. وفي اليوم نفسه، ذلك الثلاثاء المزعج، أعلن عن العثور على أكياس بلاستيكية سوداء بالقرب من فندق يطل على الأهرام، وبها بقايا جثث ثلاثة أطفال.

لا يتعلق النفاق بالحرص على إبداء المظاهر الدينية، وإنما بالمبالغة في الهوس الوطني أيضا، والأخطر من أيّ منهما منفردا هو الجمع بينهما، وليس مصادفة أن أغلب المسؤولين، الذين قبض عليهم متلبسين بالرشوة في الآونة الأخيرة، تعلو جباههم «علامة الصلاة»، وأمامهم على المكاتب مصحف، وخلفهم علم مصر، ولا توضح الصور ما إذا كانوا حريصين على تشغيل أسطوانات هتافات تعبوية وطنية مثل «وقالوا إيه»، وهو نشيد سلاح الصاعقة الذي عمّم على المدارس، ورده صغار أبرياء ألبسوهم الزي العسكري في طابور الصباح.

يعاني القطاع الصحي من الفقر والإهمال، وكان من مطالب الأطباء الفرحين بثورة 25 يناير 2011 أن تتضاعف ميزانية وزارة الصحة، لكي يجد الفقراء علاجا يحفظ كرامتهم، فلا يفيد مريضا أن يسمع السلام الوطني وهو يفترش الأرض، في انتظار خلوّ سرير من مريض مات إهمالا أو كمدا. ولا أظن وزارة الصحة أو أيّ جهاز أمني قد تلقى شكوى طبيب أو مريض يطالب بحقه في سماع السلام الوطني، بدلا من خدمة صحية آدمية. فلماذا الإصرار على الابتذال؟

يوم الأربعاء 11 يوليو، في الصباح الأول لسريان الفرمان الذي له واجهة وزارية، شاهدت مقطع فيديو من مستشفى؛ كان البهو مزدحما بممرضات ومواطنين، يصفقون ويضحكون ساخرين، ويصور بعضهم بعضا على خلفية عزف السلام الوطني، وانخرط رجل يرتدي جلبابا بلديا في رقصة رقيعة وقد حزم وسطه، وتجاوب معه من تجاوب بالرقص ملوّحا بعلم مصر. بؤس يستدعي شهادة المتنبي «وكم ذا بمصر من المضحكات»، ويدعوني إلى الترحّم على صلاح عبدالصبور القائل:

يا أهل مدينتنا
هذا قولي
انفجروا أو موتوا
رعبٌ أكبرُ من هذا سوف يجيء.

> كان البهو مزدحما بممرضات ومواطنين، يصفقون ويضحكون ساخرين، ويصور بعضهم بعضا على خلفية عزف السلام الوطني

الفعل الثقافي في ثورة البصرة

وارد بدر السالم
كاتب من العراق

❏ توصف البصرة على أنها مدينة الأدباء والعلماء والمفكرين والنحاة والأدباء والفقهاء ورجالات العلم والمتصوفين، ولماضيها الثقافي العريق أثرٌ ما يزال قائماً حتى اليوم بأسماء كبيرة لا يستطيع الحاضر بنضجه الثقافي الفعلي أن يتجاوز عطاءاتها الأدبية والعلمية الفذة في الشعر والحكاية واللغة والنحو كالفراهيدي وأبي الأسود الدؤلي والحسن البصري ومحمد بن سيرين وسيبويه ورابعة العدوية والجاحظ وابن الهيثم والمبرّد، وآخر الأساطير الشعرية بدر شاكر السياب، لذلك فالبصرة من هذه الناحية الجمالية هي من أكثر المدن العربية إشعاعاً تاريخياً ما يزال باقياً وما يزال أَعْلامُها ومنجزها اللغوي والشعري والنثري قيد البحوث والدراسات الأكاديمية. وبالتالي فهي ذاكرة جمعية لمجتمع جنوبي له من الخصائص ما يبيح له أن يحافظ على هذه الثروة الثقافية الممتدة لآلاف السنوات، حتى وإن تغير شكل الحياة وصار النفط علامة سياسية وثروة دولارية تذهب إلى جيوب المنتفعين والسياسيين، من دون أن تحظى الثقافة منه بشيء شأنها شأن بسطاء الناس الذين يقتاتون على الجوع والعطش والفاقة.

الموقع الحيوي للبصرة في رأس الخليج العربي كونها ميناءً نفطياً يصدّر ما مقداره 90 بالمئة من النفط الوطني جعلها مطمع الغزاة على مدار تاريخها القديم والحديث، الذي يؤرشف الكثير من الغزوات الأجنبية والاستعمار المتناوب، مثلما يؤرشف كثيراً من الثورات الداخلية التي تناهض القمع والطغيان وتهدر الكرامة وتسيّس العقول إلى مصالح خارجية وتهمّش الحياة بطريقتها الفجّة كثورة الزنج (255 هـ) التي أحرقت البصرة العباسية، وثورات الخوارج ضد الحجاج وغيرها من الثورات الداخلية التي كانت تطالب بالحرية والاستقلال وفك القيود السياسية عن رقاب الناس.

وما زلنا نشهد مثل هذا التوجه في نفوس البصريين الذين بدأوا ينتصرون على أكثر من جهة في آن واحد لا سيما في الثورة الأخيرة ضد الحكومة ورموزها الفاسدة، وأول الانتصارات التي تحققت هي النصر على الذات المذهبية المفروضة من جهة خارجية، وهذا يُعدّ تحولاً مركزيا في كيفية النظر إلى الروح الوطنية وتجريدها من عوامل المذاهب والإملاءات الخارجية المتطرفة التي كانت تهدف إلى إشاعة الجهل والعماء بين الناس لتحقيق أقصى المصالح الفردية والحزبية.

هذا المجتزأ الثقافي كان خلفية للمتظاهرين والمنتفضين الذين أيقظوا في دواخلهم السلاح الثقافي المستتر الدافع القوي للثورة، وحتى بسطاء الناس كانوا يفهمون هذه التاريخية الفذة للمدينة التي تعرضت إلى التجهيل والعماء ولخبطة المفاهيم الدينية فيها؛ غير أن مثقفي المدينة ومعهم مثقفو العراق بشكل عام فرشوا أرضية الثورة بالكثير من هذا التاريخ الثقافي والعلمي كشعارات أو قصائد أو إطلاقات قلمية مصاحبة لهذا الفيض البشري الذي لم يعد يحتمل التهميش ولا الفقر والجوع والعطش وهو الرابض على محيط من النفط.

الفعل الثقافي المستتر في ضمائر المتظاهرين هو الفعل ذاته الذي أخذ يبرز ويكبر بظروف جديدة، فالبصريّ ابن التاريخ وعمقه وهو الوريث الأصيل له، وما يُفهَم من ثورة العطش البصرية هو الذي يُفهم من عمقه التاريخي وجذره الذي لم ينقطع بعد، لذلك تجلّى الفعل الثقافي الكامن في الروح الشعبية أولاً، قاد جزءا منها مثقفو البصرة والعراق وشغلوا مواقع التواصل الاجتماعي بطريقة واسعة جداً ومع أن السلطة أغلقت الإنترنت وما تزال، إلا أن البدائل الإلكترونية كانت جاهزة لفتح الاستمرارية الثورية أمام جيل لم يفهم من لغة هذه السلطة غير السفسطة والتفاهة والغيبيات والبكاء على الأطلال، وبالتالي تحولت المدينة /البصرة/ كلها إلى مأتم وبكاء وعويل على ماض بعيد، من دون أن تتطلع أجيالها الشابة على المستقبل وضرورات اللحاق به وتوسيع دائرة المعارف الشخصية والجماعية لرؤية الحياة من وجهها الصحيح.

نافذة الصين لا تحل أزمة الترجمة في مصر

النشر الخاص يحاول عبور النفق المظلم للثقافة الرسمية

شريف الشافعي
كاتب من مصر

❏ تعاني الترجمة في مصر من أزمة حقيقية كبرى على صعيد النشر المؤسسي الرسمي، وتسعى الدور الخاصة إلى تحريك الماء الراكد من خلال جهود فردية، منها ذلك الانفتاح الأخير على اللغة الصينية، والترجمة منها وإليها، واستضافة مؤلفين صينيين في القاهرة، لكن هذه الجهود تبقى محدودة.

على الرغم من وجود مؤسسات وهيئات ثقافية رسمية عديدة في مصر، تضطلع بمسؤولية الترجمة من اللغات الأجنبية المختلفة إلى العربية، والعكس، فإن مشكلات ومعوقات الترجمة لا حصر لها في أروقة الهيئات الحكومية مثل "المركز القومي للترجمة" و"الهيئة العامة للكتاب" و"الهيئة العامة لقصور الثقافة"، وغيرها، إذ يفتقد النشر الرسمي البوصلة الهادية، بمعنى يفتقد المشروع والخطة والمنهج.

ويخضع النشر عادة للبيروقراطية والمجاملات والاختيارات العشوائية، كما أن قلة العائد المادي المدفوع للمترجمين تمثل خطرًا يهدد بوقف نشاط الترجمة تمامًا.

حاولت المؤسسة الرسمية إيجاد انتعاشة للترجمة من خلال فتح نافذة مع اللغة الصينية، لكن التجربة لم تؤتِ ثمارها المأمولة، الأمر الذي أفسح المجال لدور النشر الخاصة لمحاولة إنقاذ الموقف، وتسعى إلى تفادي مشكلات النشر الحكومي، وتراهن على التجربة الصينية أيضًا في الآونة الأخيرة، لكن بمعطيات وآليات مغايرة.

الحل الصيني

تبقى الترجمة على مر العصور هي جسر التواصل الأرقى بين الأمم، والنور الحضاري الرابط بين الشعوب، فلا سبيل لازدهار وتطور وتقدم من غير الانفتاح الواعي على الآخر، وإقامة حوار عميق معه، قائم على التبادلية والندية.

لهذا السبب كان أديب نوبل نجيب محفوظ (1911–2006) يردد دائمًا أن حلمه الأكبر هو إنشاء "مؤسسة عربية للترجمة"، تدار بأسلوب حديث ديمقراطي لامركزي، وتأخذ على عاتقها مهمة تعريف العالم بالإنتاج العربي، فضلًا عن نقل أمهات الكتب في شتى المعارف إلى العربية، ومثل هذا الكيان لم يتأسس على هذا النحو إلى يومنا هذا للأسف الشديد، وإن كانت مؤسسات محلية وإقليمية تحاول القيام ببعض الجهود الفردية هنا وهناك.

وفي ظل الكساد الحكومي، وتقاعس المؤسسات الثقافية الرسمية عن القيام بدورها المنشود، في ما يخص حركة الترجمة، من وإلى العربية، فإن دور النشر الخاصة هي التي أخذت زمام المبادرة، وقامت بنشاط ملحوظ في مصر خلال الفترة الماضية، وتسعى هذه الدور إلى محاولة تجاوز العقبات والعراقيل التي تواجه النشر الرسمي.

من بين الانطلاقات والأفكار الجديدة التي قدمتها مؤخرًا دور النشر الخاصة في ميدان الترجمة، الانفتاح على الثقافة الصينية، والترجمة منها وإليها، واستضافة كتّاب ومؤلفين صينيين في القاهرة، وعقد اتفاقيات خاصة مع الجانب الصيني، وهي جهود محمودة بطبيعة الحال، لكنها تبقى محدودة ضعيفة التأثير. ولا يمكن أن تحل نافذة الصين وحدها أزمة الترجمة في مصر. وكانت المؤسسة الرسمية لجأت أيضًا إلى الوجهة الصينية من قبل، لكنها لم تقدم نجاحًا يُذكر.

في سياق "الحل الصيني" الذي تقترحه الدور الخاصة لأزمة الترجمة، استضافت دار "صفصافة" في الثالث والعشرين من يونيو الجاري بمكتبة القاهرة الكبرى الكاتب الصيني "يو هوا" في لقاء مفتوح، بمناسبة صدور أحدث ترجماته بالعربية، وهي المجموعة القصصية "الماضي والعقاب"، بترجمة حسانين فهمي حسين، أستاذ اللغة الصينية بجامعة عين شمس، والمشرف على سلسلة "قراءات صينية".

ودشنت "صفصافة" سلسلة "قراءات صينية" في أغسطس الماضي بهدف أن يكون الكتاب وسيلة لإزالة الحواجز الثقافية بين الشعوب، على أن يتم اختيار الكتب التي تعكس المجتمع الصيني والقضايا التي تحظى باهتمام الجمهور المصري والعربي.

والكاتب "يو هوا" (48 عامًا) هو أديب صيني، من مواليد مقاطعة هانغتشو، ومن رواياته "أن تعيش" و"سجلات تاجر الدم" و"نهر الزمن"، ومن مجموعاته القصصية "الماضي والعقاب".

في الإطار الصيني ذاته انعقد مؤخرا "منتدى الأدب العربي الصيني"، بعنوان "الإبداع الأدبي على طريق الحرير الجديد"، برئاسة الشاعر حبيب الصايغ، الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب. وناقش المنتدى عددًا من المحاور، منها: حركة ترجمة الأعمال الأدبية، التراث والإبداع الأدبي، الأدب في الحياة المعاصرة.

من بين ما تلمسه "منتدى الأدب العربي الصيني" أن حركة الترجمة الراهنة بين اللغتين العربية والصينية لا تعكس الآمال المرجوة وآفاق التعاون والتفاعل بين الشعبين والحضارتين، الأمر الذي يبدو بمثابة انهزام للثقافة في عالم تحكمه السياسة والاقتصاديات.

أزمة النشر الرسمي

عن الدور الذي يقوم به النشر الخاص لإنعاش حركة الترجمة في مصر في ظل الركود الحكومي وتقزّم دور المؤسسات الثقافية الرسمية، يشير محمد البعلي مدير دار "صفصافة" إلى محاولة الدار من خلال سلسلة "قراءات صينية" وغيرها تخطي الحواجز والعقبات الإدارية والبيروقراطية التي تجعل النشر الرسمي أمرًا محبطا.

ويقول البعلي لـ"العرب" إن هناك تعطشًا لدى الجانب العربي للتعرف على أبجديات تطور وتنمية وتقدم المجتمع الصيني، فالتجربة الصينية محل تقدير واهتمام، ولذلك تعددت مجالات العلوم والمعارف التي ترجمتها الدار من الصينية إلى العربية، ومن أبرز العناوين الصادرة: "التنين يحلق"، "التنمية الاقتصادية في الصين"، "الحزام والطريق"، "صيف حار"، "الريف الصيني"، " ديموغرافية الصين"، وغيرها.

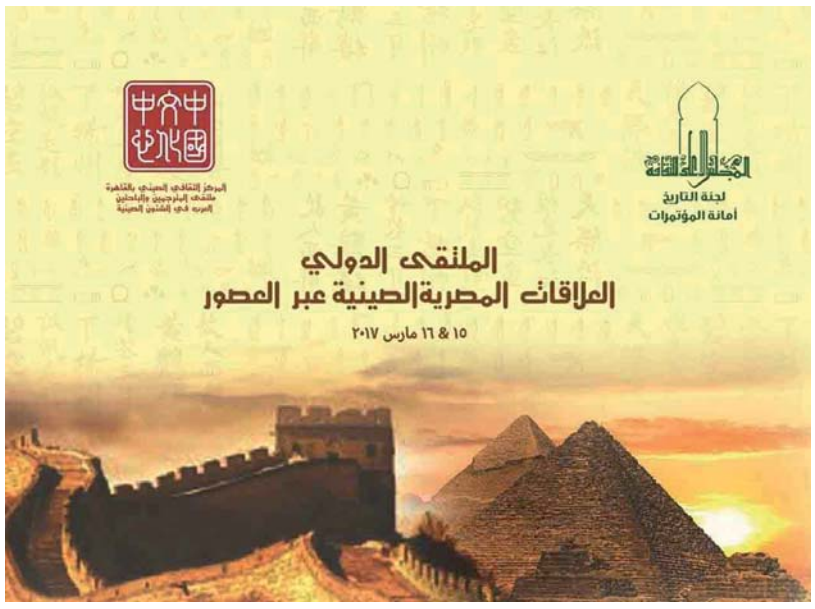

النشر الخاص ينفتح على التجربة الصينية

ويوضح محمد البعلي أن المرونة والانسيابية ودقة وتنوع الاختيارات والحفاظ على حقوق المؤلفين والمترجمين على حد السواء، أبرز عوامل نجاح الدور الخاصة في ميدان الترجمة، وهذه الأمور تكاد تكون مفتقدة في النشر الحكومي الذي يعاني من سيطرة الموظفين وانتشار المجاملات وغياب الرؤية العامة الشاملة وضياع حقوق المؤلفين والمترجمين.

من جهته، يشير الشاعر والمترجم محمد عيد إبراهيم، صاحب أكثر من سبعين كتابًا مترجمًا إلى اللغة العربية، إلى أهمية الترجمة كشعلة حضارية متنقلة بين الأمم، ورسول دائم للمعرفة من أجل المزيد من التنوير والتحاور البنّاء.

ويقول لـ"العرب" إن الترجمة في دور النشر الحكومية تعاني من معوقات كثيرة، منها المحاباة للأصدقاء والمعارف من ناحية، بخاصة أساتذة الجامعة الذين يتقن بعضهم اللغة العربية بدرجة ضعيفة، وقلة المردود المالي للمترجمين من ناحية أخرى، مقابل بعض المؤسسات الخاصة التي تعطي مبالغ جيدة نظير الترجمة.

من المشكلات كذلك صعوبة نيل حقوق التأليف من الناشر الأجنبي، مع أنها مبالغ زهيدة غالبًا، بخاصة بعد أن يُقال لهم إن النشر له طبيعة جماهيرية في مؤسسات أهلية لا تبتغي الربح. وهذه المشكلات، وغيرها، أدت إلى أن يصير العرب من أقل الأمم ترجمة في العالم، بل إن دارًا واحدة في فرنسا مثلًا تترجم كل عام أكثر مما يترجمه العرب خلال العشرات من الأعوام.

ويرى محمد عيد إبراهيم أن الحل السريع لأزمة الترجمة هو الذي تقوم به الآن بعض دور النشر الخاصة، خصوصًا تلك التي تتعامل مع مؤسسات أجنبية، فهي تدفع للناشر الأجنبي حقوق التأليف، كما تسهم في الطبع بشراء مجموعة من النسخ، وهي تدفع أيضًا مبالغ مجزية لقاء تعب المترجم. وبعض هذه الدور لا تتفق مع مؤسسات ثقافية أجنبية، لكنها تضمن البيع بترجمة الروايات، وهي جنس أدبي قابل للبيع أكثر من الأجناس الأخرى.

وتتبدى صورة النشر الحكومي الهزيل، إذ تعاني المؤسسات الرسمية في مصر -مثل "المركز القومي للترجمة" و"الهيئة العامة للكتاب" و"الهيئة العامة لقصور الثقافة"- من فقدان الاستراتيجية والتخطيط المتكامل، كما تسود المشهد آفات الروتين والبيروقراطية والمجاملات والاختيارات العشوائية، بالإضافة إلى قلة العائد المادي المدفوع للمترجمين.

> تعاني المؤسسات الرسمية في مصر -مثل «المركز القومي للترجمة» و«الهيئة العامة للكتاب» و«الهيئة العامة لقصور الثقافة»- من فقدان الاستراتيجية والتخطيط المتكامل، كما تسود المشهد آفات الروتين والبيروقراطية والمجاملات والاختيارات العشوائية، بالإضافة إلى قلة العائد المادي المدفوع للمترجمين

مثل هذه العوائق تؤدي عادة إلى انسحاب المختصين من الساحة، كما حدث على سبيل المثال مع الشاعر والمترجم رفعت سلام، الذي تقدم باستقالته من إدارة سلسلة "آفاق عالمية" (المختصة بالترجمة) التابعة للهيئة العامة لقصور الثقافة في أغسطس الماضي، وذلك بسبب أزمات عدة، منها -وفق نص استقالة سلام-"البطء في إصدارات الهيئة، والتعطيل الدائم لإصدارات السلسلة، والتدخل في الصلاحيات المقررة لرئيس التحرير، والتحرش البيروقراطي بآلية العمل".

وقصدت المؤسسة الثقافية الرسمية أيضًا النافذة الصينية من أجل إنعاش حركة الترجمة في مصر، لكنها لم تقدم نجاحًا يُذكر، إذ لم يسفر "العام الثقافي الصيني" الذي دشنه وزير الثقافة السابق حلمي النمنم بالتعاون مع السفارة الصينية بالقاهرة في 2016 إلا عن بعض الفعاليات والإصدارات القليلة ضعيفة التأثير، منها كتب عن تاريخ العلاقات بين البلدين، والعلاقات الدبلوماسية المصرية الصينية، وانقضى العام دون حل أزمات الترجمة ومشكلاتها المتعددة.

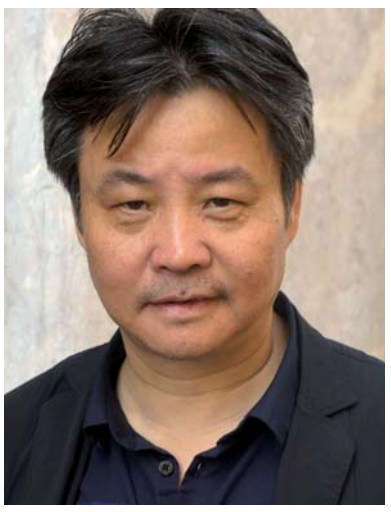

يو هوا.. أعماله ترجمت إلى العربية

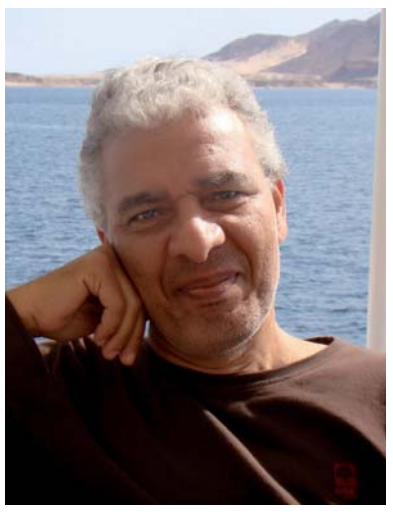

محمد عيد إبراهيم: الحل لدى الدور الخاصة

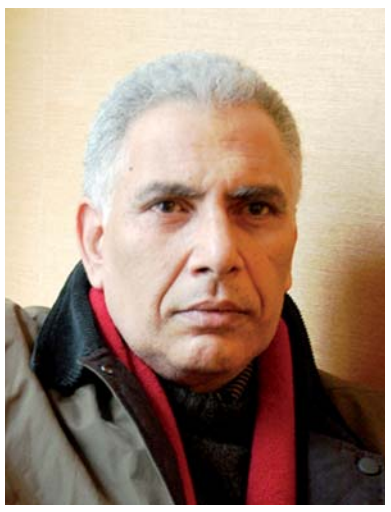

رفعت سلام: التعاون مع المؤسسات الرسمية محبط

محمد البعلي: تخطي الحواجز البيروقراطية

القدرة العجيبة للصور

محمد حياوي
كاتب من العراق

❏ ربّما ما زال القول المأثور "الصورة خير من ألف كلام" صالحا ويتعزز في عصرنا، فقد أصبحت الصور مقنعة وفصيحة وصادمة، إلى درجة أنّها أحدثت ثورة في مفهوم التواصل الاجتماعي. بعد أن تراجعت وسائل الاتصال الشفاهية المحكية ثم الكتابية النصّية وأخيرا السرد البصري أو الصورة التي أخذت مهمة إنشاء أساطير عصرنا على عاتقها. بدأت ثورة الصورة منذ 150 عاما مع اختراع التصوير الفوتوغرافي. عندما صار بالإمكان لأوّل مرّة، إعادة التماثل المرئي للكائنات والأشياء على نطاق واسع. ولم يستغرق الأمر سوى 50 سنة حتى أصبحت هذه الطريقة الجديدة في التماثل وسيطا رئيسا في نقل القيم الاجتماعية.

لقد تطور تاريخ التواصل الاجتماعي البشري عبر ثلاث مراحل محدّدة، وهي التواصل الشفاهي القائم على السرد المحكي، إذ كان التعلم والتقاليد والترفيه يتم تمريرها عن طريق الكلام الشفاهي بواسطة سرد القصص، قبل أن يتطور الأمر إلى وظيفة الحاكي باختراع الراديو لاحقا بالاستناد إلى هذا المفهوم بشكله البدائي- قبل أن تُختَرَع الكتابة التي جعلت من الممكن الحفاظ على المعلومات والتقاليد الأدبية بما يتجاوز قدرة الذاكرة، ثم تطور لاحقا إلى اختراع المطابع وانتشار الكتب. لكن مع اختراع التصوير في القرن الثامن عشر، شهد مفهوم التواصل الاجتماعي تطورا مهولا، لتتلقف صناعة الإعلان هذه الخاصيّة الجبّارة وتنتقل بوسائلها من الإخبار وتعريف الجمهور بواسطة سرد الميزات والحقائق في نصّ عادي، إلى إنشاء الصور المثيرة للعواطف البشرية بالدرجة الأساس، قبل أن يعزز اختراع التلفزيون عصر الاتصالات ويعيد صناعة تاريخ التواصل بواسطة رواية القصص الشفاهية المعززة بقوّة الصور الساحقة.

وكما كان الناس في العصور الوسيطة يتحلقون حول شخصية الراوي أو الحاكي ويستمعون إلى القصص، يفعلون ذلك الآن وهم يتحلقون حول التلفزيون مأسورين بسيل الصور المدهشة المنبعثة منه والمعززة لتلك القصص التي لم تكن شائعة -القصص والأساطير الخفية- في التدفق المستمر للصور. تشير هذه الصور إلى الأساطير -وبالتالي تساعد في بناء عالمنا وقيمنا- بالطريقة نفسها التي كانت تقوم بها القصص في الثقافة الشفهية.

وإذا كان الجمهور يتلقى فعل الحكي بشكل جماعي وبدرجات تأثر متفاوتة حسب وعي الأفراد وقدرتهم على التخيّل، فإن فعل القراءة نقل هذا التلقي من الجمعي - الاجتماعي إلى الفردي - الذاتي، ولعل الأمر لا يختلف كثيرا عما فعلته مواقع التواصل الاجتماعي بالنسبة للأفراد قياسا بالتلفزيون المُشاهد جماعيا، وفي كلا الحالتين تلعب الصورة دورا حاسما لجهة تأثيرها العاطفي المباشر على المتلقين، لاحظ أن مواقع التواصل الاجتماعي تعتمد النصوص القصيرة جدًا في حدّها الأدنى، متيحة للأفراد إمكانية سدّ نقص المكتوب بالصورة المرئية المصاحبة للمنشور، وقد أثبتت الدراسات الخاصّة بوسائل التواصل الاجتماعي، أن المنشورات النصّية غير المصحوبة بصورة، لا تحظى بنسبة قراءة عالية، قياسا بتلك المصحوبة بالصور المعبّرة أو المؤثرة التي تُكمل مفهوم المنشور أو الغاية منه.

وإذا كان البعض يعتقد أنّ الصور قد تُفسد القدرة على التخيّل في حال قراءة النصوص وتقضي على تفاوت القدرة على التلقي، فإنّ هذا التأثير يقتصر فقط على النصوص الإبداعية التي تعتمد الخيال المطلق. وفي هذا السياق، فقد رسمتُ شكلا محدّدا وراسخا في مخيّلتي لشخصية فلورنتينو أريزا في رواية ماركيز الشهيرة "الحب في زمن الكوليرا"، لكنّني لم أستطع تقبل شكل الممثل الإسباني خافيير باردم على الإطلاق حين جسّد الشخصية في الفيلم، بل إنّه أفسد عليَّ الصورة الخياليّة التي رسمتها لتلك الشخصية.

عندما يسأل المفكر ويجيب بنفسه عن السؤال

«نقد المفاهيم».. كتاب جديد لعبدالله العروي

مخلص الصغير
كاتب مغربي

❏ صدر هذه الأيام كتاب جديد للمفكر المغربي عبدالله العروي بعنوان "نقد المفاهيم"، عن المركز الثقافي للكتاب. في هذا الإصدار الجديد يحاور العروي نفسه وكتاباته وينتقدها، وخاصة مشروع المفاهيم، الذي صدر في كتب مفردة ناقشت مفاهيم الأيديولوجيا والحرية والدولة والعقل، والتاريخ في جزأين، ما بين 1980 و1996، قبل أن تصدر هذه الكتب مجتمعة نهاية السنة الماضية. ليأتي اليوم كتاب "نقد المفاهيم" وهو يقدم قراءة في هذه المفاهيم، وفي تراث عبدالله العروي، وفي مفاهيم جديدة، عبر صفحات وتأملات هذا الكتاب الذي يحكي لنا حكاية فلسفية شيقة، ويبين لنا كيف يفكر عبدالله العروي في عبدالله العروي وهو يحاوره ويتجاوزه باستمرار.

مفاهيم العروي

مفاهيم عبدالله العروي ليست هي "الأيديولوجيا" أو "الحرية" أو "الدولة" أو "العقل"... وسواها من المباحث التي خصها بالتحليل. فتلك كانت المفاهيمَ التي قامت عليها الحداثة الغربية، كما أراد أن يقول لنا الرجل.

مفاهيم العروي الحقيقية وآلياته في القراءة والتفكير والتحليل هي التي يقدمها في هذا الكتاب، وهو يسر إلينا بها. وأما أول مفاهيم العروي فهو "السجال". وهنا يصرح المؤلف في مفتتح الكتاب بأن علاقته بالفلسفة وعلم الكلام إنما هي علاقة "سجالية".

أما المفهوم الثاني فهو مفهوم "التعددية". وهنا، يصارحنا العروي بأن هذه التعددية طافحة في جل كتاباته، ومن يتصفح كتاباتي، يقول العروي "يتأكد بسهولة أنني مجبر في النهاية على الانتصار للتعددية". ففي "الأيديولوجيا"، يخاطبنا العروي "تجدون ثلاثة أشكال للوعي"، وفي كتاب "الإسلام والتاريخ"، ينهض ذلك الحوار ما بين الفقيه والمؤرخ، وفي كتاب "مفهوم التاريخ" ثمة ثمانية شواهد وثمانية تواريخ، لا تاريخ واحد. وأما في كتاب "مفهوم العقل"، وهو آخر "المفاهيم"، ففيه حديث عن منطق القول في مقابل منطق العقل. وذلك حين حدثنا العروي عن أن الحداثة فعل وممارسة، وأنه لكي نتحدث عن الحداثة ينبغي أن نتحدث، قبلها، عن اللاحداثة، وأن نكنسها من الشوارع والمقاهي.

ويخلص العروي، وهو يعيد شريط مصنفاته إلى أن "هنالك دائما تعددية تزيد وتنقص، حسب الحيز الذي تتجلى فيه". والحال أن "التوحيد لا يتحقق إلا في الذهن، وعبر استحضار الزمن. وأما في كل لحظة، عند الإدراك، فإننا لا نلمس سوى الاختلاف". وهنا يمكن أن نضيف إلى التعددية مفهوما آخر يتدلى من شجرة الحداثة، ومن فكر العروي، وهو مفهوم "الاختلاف"، الذي يؤسس للتفكير وللقول الفلسفي عند هذا المفكر المغربي.

المقارنة والتأويل

يعقد المؤلف فصلا للحديث عن "علوم المجتمع"، مثلما يناديها العروي، وهو يدعو إلى أن تشمل علوم المجتمع هاته الاقتصاد ثم الاجتماع ثم التاريخ ثم السياسة ثم الجغرافيا البشرية ثم علم النفس ثم التربية. ويتساءل العروي لماذا نجد هذه التخصصات موزعة عندنا على معاهد مختلفة، بينما هي مجتمعة عند غيرنا. ليختم الفصل الثاني من الكتاب بنداء يدعو فيه إلى إعادة النظر في الهيكل الجامعي، في العالم العربي، كما تأخذ علوم المجتمع المكانة التي تستحقها بجانب العلوم الأخرى، وبتعاون وتلاقح معها. وهذه المسؤولية "ضرورة أكاديمية وحاجة تربوية ملحة"، تبعا لنداء العروي.

في هذا السياق، ومن أجل التأسيس لهذه العلوم وإعادة استنباتها في حقل الثقافة العربية، يتحدث العروي عن مفهومين هما المقارنة والتأويل، تم إعمالهما وتشغيلهما من قِبَلِ دارسي أي مجتمع مِنَ المجتمعات. يعود بنا العروي إلى سؤال "من هو السوسيولوجي الأول؟" وما إذا كان المؤرخ اليوناني توقديد أم ميكيافيللي أم مونتسكيو أم ابن خلدون؟ لا يهم العروي هذا السؤال، بل يهمه ما وراءه. فحين ينظر إلى الأمر يتبين له أن ما يجمع هؤلاء الأعلام هو أنهم درسوا مجتمعاتهم في مقارنة مع المجتمعات الأخرى، قبل أن يقوموا بصياغة أطروحة تنتمي اليوم إلى ما نسميه عملا تأسيسيا لعلم الاجتماع. فهذا توقديد وقد بنى أطروحته على المقارنة بين أثينا الديمقراطية وإسبارطة الإيرانية الأرستقراطية. وذلك ميكيافيللي وهو يقارن بين الجمهورية الإيطالية والنظام الملكي في فرنسا وإنكلترا، مثلا، وكيف مهد لقيام الدولة الحديثة. وهذا مونتسكيو وهو يقارن بين تقدم المجتمع الإنكليزي المسيحي وتخلف الأمم الآسيوية تحت لواء إمبراطورياتها الشاسعة، من عثمانية وصفوية ومغولية وصينية... وذلك ابن خلدون، مؤسس علم العمران، عند العروي، وهو يقيس مجتمعات الحضارة على مجتمعات البداوة، ويقارن بين عصبية العرب والبربر، وانفتاح الأتراك. وجب التنبيه ههنا إلى أن العروي قد أصدر كتابا سنة 1990 بعنوان "ابن خلدون وماكيافللي". وها هو اليوم يخوض مراجعة في هذا الكتاب، لينبهنا إلى أن صاحب "المقدمة" إنما أَعْمَلَ المقارنة بين العرب والبربر والأتراك منهجا لتأسيس علم العمران، معتمدا على ما لاحظه أثناء تنقلاته في مناطق الغرب الإسلامي، وعلى ما قرأ عند الرحالة من أمثال المسعودي أو المقدسي أو ابن حوقل، وعلى ما وقف عليه من حال الأتراك بعد رحلته شرقا وغربا.

المقارنة التي يأخذ بها العروي هي التي لا تبحث عن التشابه والمماثلة، "لأنها تؤدي حتما إلى التلفيق وإن سمي توفيقا"، يقول العروي. إنها المقارنة التي تقف عند المفارقة والاختلاف الذي تحدث عنه من قبل. يذكرنا كلام العروي بالقاعدة الأصولية "نسبة إلى علم أصول الفقه"، وهي أنه "لا قياس مع وجود الفارق". والفارق من المفارقة، ولذلك لا يمكن أن ندعو إلى إحياء الميكيافللية أو الخلدونية، مثلا، لأن "المقارنة" لا تصح هذه المرة. وهنا يلتقي العروي مع الجابري، الذي ختم مقالين له من كتاب "التراث والحداثة" بعبارته الشهيرة "إن ما تبقى من الخلدونية هو ما يجب أن ننجزه وليس ما أنجزته".

ولئن كان الوصف يحمل في طياته منطق المقارنة، أو الموازنة، بتوصيف العروي، كما في خطاب الرحالة، مثل ابن بطوطة، أو المستكشفين، من طراز شارل دو فوكو، فإن الوصف لا يمكن أن يرقى إلى مستوى التأويل، لأن التأويل يبدأ حيث يتعذر الوصف. "في البدء يكون هنالك تفاهم وتواصل مباشر، ويكون معه تفاهم تلقائي، من غير أن يحدث انفصام ما بين المعنى والشيء. ولسبب طارئ، ربما يكون عامل الزمن، يحدث انقطاع وانفصال يمنعاننا من الفهم والإدراك". هكذا، يتشكل فراغ وبياض مع الوقت، فلا يمكن أن يملأهما سوى التأويل. فتغدو الممارسة التأويلية عند العروي أشبه ما تكون باستعادة معنى أصلي غاب عن الذهن مع مرور الزمن. ونحن حين ننتقل من زمن مضى إلى زمن جديد، فإن هذا الأخير يغير المعنى ويحرفه ويحوره، فيصبح المعنى غامضا.

وبينما يلجأ التقليدي إلى محاولة استعادة المحيط الأول حتى يتضح المعنى "الأصل" من جديد، يلجأ العقلاني إلى تطويع المعنى الأول حتى يتطابق مع المحيط الحالي، فيحصل الفهم من جديد.

حكاية فكرية

مرة قال عبدالله العروي إنه يلجأ إلى كتابة الرواية حين يعجز التفكير عن إدراك الحقيقة. وبلغة العروي نفسه، حين لا يقوى المؤرخ على فهم ما جرى ويجري، لا بد من الرواية. وقد افتتح العروي روايته الأولى "الغربة" باستهلال لأندريه جيد يقول فيه "التاريخ رواية واقع، والرواية تاريخ متوقع".

وإذا كان العروي قد قدم لنا سيرته الذهنية، بمعنى ما، عبر شخصية إدريس، ومن خلال ثلاثيته الروائية "الغربة" و"اليتيم" و"أوراق"، فها هو يقدم لنا سيرته الفكرية، ورحلته مع المفاهيم، عبر محكيات هذا الكتاب.

وبالفعل، نحن أمام تفكير بنفَس سردي، حيث نجد العروي "يروي"، وهو يتحدث بضمير المتكلم، منذ المقدمة "كثيرا ما أسأل عن علاقتي بالفلسفة وعلم الكلام، في إطار ما أسميه بالتاريخية، سيما وأن تلك العلاقة تبدو سجالية". أو حين يقول "حاولت أن أوضح موقفي من هذه المشكلة في كتاب 'أوراق'". وها هو يسمي روايته كتابا، قبل أن يضيف "أميل بطبعي إلى التفلسف، لكن الفترة التي نشأت فيها، والبيئة العائلية كذلك، كانت لا تبدي تفهما لذلك الميل. كانت تدعو الجميع، والشباب بخاصة، إلى الارتباط بالواقع ، لتبدأ حكاية العروي الفكرية منذ ذلك اليوم.

وفي سياق آخر، يضيف المفكر المغربي "من يتصفح كتاباتي المختلفة يتأكد بسهولة أني مجبر في النهاية على الانتصار للتعددية". وحديث العروي عن كتبه ها هنا يدل على أن الكتاب الذي بين أيدينا هو "كتاب الكتب" في مكتبة العروي، لأنه يناقش كتبه الأخرى ويساجلها.

العلم وخياله

كان العروي قد ارتاد عوالم "الخيال العلمي" في روايته الأخيرة "الآفة"، ليقول من خلال الرواية ما لم يستطع قوله من خلال العلم، والعهدة عليه.

الثنائية التي يقوم عليها كتاب "نقد المفاهيم" هي ثنائية العلم وغير العلم، "وهذا هو موقفي المعرفي"، يشدد المؤلف، ويضع سطرا تحت العبارة في هذا الكتاب. وهذا العلم لا يمكن أن يتقدم إلا بالتجاوز، وبلا تجاوز لا يتقدم العلم، حسب المؤلف.

ليخلص العروي إلى أنه لا يوجد اليوم إلا شغلان جديدان: العلم والخيال العلمي. "إذا كنت مؤهلا، فعليك بامتهان البحث العلمي، وإذا لم تكن، وكانت لك قدرة على التعبير، فعليك اليوم بكتابة القصص العلمي"، وتلك وصية العروي ومفهومه لمستقبل العلم والتفكير والإبداع في كتاب "نقد المفاهيم".

> إذا كان العروي قد قدم لنا سيرته الذهنية، بمعنى ما، عبر شخصية إدريس، ومن خلال ثلاثيته الروائية «الغربة» و«اليتيم» و«أوراق»، فها هو يقدم لنا سيرته الفكرية، ورحلته مع المفاهيم، عبر محكيات هذا الكتاب

لوحة: ريم يسوف

رف الكتب

أي مستقبل في ظل العولمة

❏ مع استفحال الأزمة المالية، والخوف المتزايد من التغيير المناخي والفقر المتواصل في عدة بلدان، بات الجدل حول العولمة مركزا على أسئلة أكثر راديكالية بخصوص مستقبل الرأسمالية نفسه، فقد بات جليا أن الليبرالية الاقتصادية والسياسية ليست الأقدر على حل تلك المشكلات. صحيح أن للعولمة الحالية عدة سوابق، ولكنها فريدة، لأنها تشمل في طياتها أربعة شموليات: شموليات الشركات الكبرى، والمالية، والرقمية، والطبيعة، وتتحدد أيضا بوضع المستثمرين المؤسساتيين الشركات المعولمة موضع تنافس عبر مالية السوق. وهذا المسار يفاقم بعض التفاوتات ويقلص أخرى، فهو يساعد على انبثاقات سريعة ولكنه يولد تشظيات. في كتابه الجديد "الشموليات – الانبثاق والتشظي"، يتساءل أستاذ العلوم الاقتصادية بيير نويل جيرو عن سيناريوات المستقبل. هل سيضطر الفاعلون الاقتصاديون إلى الارتحال الدائم كي يبقوا قادرين على التنافس؟ ألا تزال الدول تملك دور المعدِّل في هذا التنافس؟ أي مستقبل للبلدان الغربية وبلدان جهات العالم المنسية؟

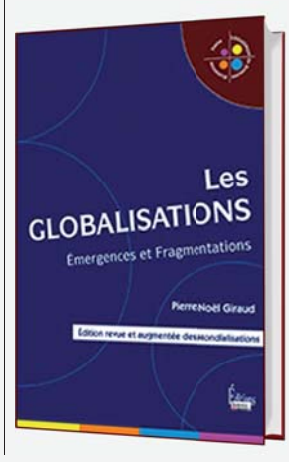

الإسلام المتعدد

❏ "التاريخ الأكبر للإسلام" كتاب يقدم فكرة شاملة عن الإسلام منذ ظهوره، بطرح كل الأسئلة التي تخامر الأذهان، بدءا بشخصية الرسول، وظروف تدوين القرآن، والعداوة المزمنة بين الشيعة والسنة، وصولا إلى الجماعات الإرهابية وفهمها للجهاد، ومسألة التأويل في الماضي والحاضر. والأسئلة المثارة هنا جوهرية نظرا لاستغلالها في الجدل الراهن من قبل الفرق المتطرفة، حيث يسعى المتزمتون إلى فرض نظرة أحادية أو خاطئة عن ديننا الحنيف، بدعوى العودة إلى الأصول، ويوهمون غير العارفين بدينهم تمام المعرفة، سواء في البلدان العربية الإسلامية أو في المجتمعات الغربية، بأنهم يقودون الضالين إلى مجتمع الطهر. وقد شمل الكتاب مقالات لمجموعة من المتخصصين في الإسلام، عربا وأجانب، أمثال مكرم عباس، وهيب عطا الله، علي بنمخلوف، مالك شبل، حمادي الرديسي، لويزا يوسفي، جون بوين، باسكال بوريزي، فنسان كابدوبوي، باتريك هاني، سيرج لافيت، غابريال مارتنيز غرو وآخرين... (تحت إشراف لوران تيستو) أكدوا فيها أن الإسلام منذ ظهوره حتى الآن لم يكن متماثلا بين جهة وأخرى، وإنما هو دين متعدد.

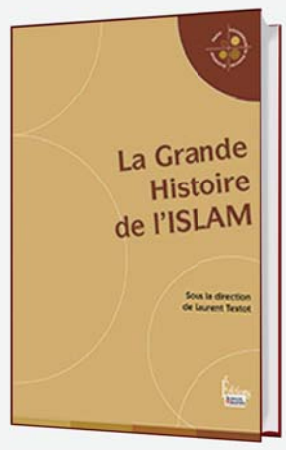

من أجل اقتصاد تشاركي

❏ في هذه المرحلة التي تشهد غلو الرأسمالية في شتى مجالات الحياة، يقترح المناضل والناشط بجمعية التسيير الذاتي، بونوا بوريتس، فكرة طريفة. ما دام اليسار فشل في تجاوز الرأسمالية عبر الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج، أليس من الأجدر أن يعاد النظر في مبدأ الملكية نفسه؟ ومن ثَمَّ يطرح فكرة المشترك كنفي لملكية الإنتاج في شتى أشكالها، حيث كل فرد يمكن أن يجد مكانه في المداولة بحسب موقعه تجاه كل وحدة الإنتاج والفضاءات التشاركية التي يساهم فيها، ما يخلق منظومة تضمن الاستقلالية الذاتية والتكافل. ينطلق المؤلف من تحليل أجرته الحركة التعاضدية، حيث يتم تجاوز العرف ولكن رأس المال يستعيد نوعا من النفوذ عند نجاح الشركة، ويذكّر بالملكية المشتركة منذ القرن التاسع عشر، مرورا بتجارب الاتحاد السوفييتي، وإسبانيا في عهد فرانكو، ويوغسلافيا في عهد تيتو، ليبين الدوافع الاقتصادية ومآزقها. وفي رأيه أن "الاقتصاد التشاركي" يمكن أن يتحقق بتوسيع المساهمات الاجتماعية التي هي في الأصل تشاركية عائدات. والكتاب في النهاية محاولة جادة لتجاوز الآفاق المعتادة.

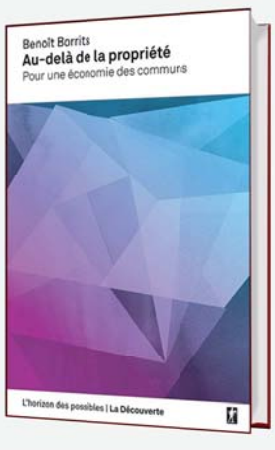

المحب المتلاشي في حضور المحبوب

الناقد التونسي صابر سويسي يكتب عن «الفناء» الصوفي

محمد الحمامصي
كاتب مصري

الفناء في المحبوب: من عرض المولوية في «مهرجان ربيع البحرين»

❏ يرى الباحث التونسي المتخصص في التصوف صابر سويسي أن الإنسان عبّر بصيغ مختلفة عن رغبته في الانعتاق من حدود الأطر الزمانية والمكانية، وتوقه إلى التحرّر من رقّ الجسد والنفس، وأعلن تطلّعه إلى التحليق في عوالم أرحب، عادة ما كانت غيبية متعالية بنى عبرها مثله ونماذجه التي سعى إلى تجسيدها وتحقيقها، ورنا إلى الاكتمال بها، وتجلّى ذلك في أشكال متنوّعة وصور شتى ضمَّنَها مختلف أصناف الفكر والثقافة البشريّين، ولا سيّما الفكر الديني منها؛ لذا من الطبيعي أن نجد مثل هذا الشعور "رغبة، توق، تطلّع ومثل هذه النزعة إلى الكمال مبثوثين في الفكر الإسلامي ومتمكّنين خاصة في واحدة من أبرز تفريعاته، ونعني تحديدا الفكر الصوفي أو التجربة الصوفية، باعتبارها توجّها سلوكيا عمليّا نحو حياة مثالية سماها أصحابها بـ"الروحية"، يقوم على جملة من المقامات والأحوال يفضي بعضها إلى بعض، وتتوّج بالوصول إلى الحضرة الإلهيّة، حيث تمّحي "الآثار" و"الأغيار" ويكتمل "الفناء" مشكّلا بذلك واحدة من أرقى درجات السلوك الصوفي.

"الفناء" في التجربة الصوفيّة إلى نهاية القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد كان موضوع وعنوان كتاب صابر سويسي الصادر أخيرا عن مؤسسة "مؤمنون بلا حدود" متخذا من هذا المصطلح الصوفي "الفناء" مدخلا لفهم الخطاب والتجربة الصوفيّين، وقد كان اختياره "الفناء" نظرا لما يثيره من جدل بين مشكك ورافض وبين متبنّ ومدافع.. فضلا عن موقعه من هذه التجربة الروحيّة بوصفه بحثا عن سبل خلاص الصوفيّ من وضعيته الحاضرة المقيدة بنواميس الزمان والمكان والمجتمع والطبيعة ليرتقي حيث مكانته الأصلية المنشودة التي يكون فيها مرآة للألوهية وعلامة عليها، وهو خلاص جسره وعنوانه المحبة، فهي سبب خلقه وهي أداة معراجه وترقيه في الطريق إلى ربّه، وقوّة حضورها فيه تدرك غايتها لحظة "الفناء"، فهي لحظة الصفاء المطلق الذي تنتفي فيه ذات المحب الصوفي لتتلاشى في حضور المحبوب.

وسعى المؤلف إلى تتبّع نشأة القول بـ"الفناء" وعوامل تشكّله لتبيّن آليّات اشتغال الفكر الصّوفي وطرائق تفاعله مع لغته ونصوصه التأسيسيّة ومع روح عصره، ولهذا اعتمد مصادر تمسح القرون الهجريّة الخمسة الأولى لكونها شهدت ولادة هذا المصطلح وتركيز دلالاته وتجلياته، ولاحظ "أنّ طغيان النزعة الفرديّة في التّجربة الصّوفيّة لم يكن ليخفي نقاطا مشتركة تجمع أصحابها وخطوطا كبرى تنحت معالمها مهما حاولت التّستّر على معارفها وأدبيّاتها. وفي الوقت الذي تعدّدت فيه مقالات أوائل الصوفيّة حول 'الفناء' واختلفت فوسمته بالتنوع والثراء في دلالاته ومكوناته لكونها انطلقت من تجربة ذوقيّة معيشة، انصرف المجهود في القرنين الرابع والخامس أكثر نحو التخفيف من حدّة الاختلاف بل نفيه من أجل توحيد دلالته وأبعاده ونحت صورة متناغمة لاصطلاحات الصوفيّة ترقى بها إلى مصاف العلميّة والثبات وتتصدّى للخصوم والمعترضين، باستدعاء القرآن والحديث النبوي وإيجاد تأويلات تتناسب مع فكرة 'الفناء' وتشرعها وتسندها".

وتساءل عن المقصود بالفناء الصوفي؟ وما هي أهمّ العوامل التي أسهمت في تكوينه وتشكيله ومن ثمّ تثبيته في التجربة الصوفية؟ وهل من صلة بينه وبين الجوانب الاجتماعيّة والعقائديّة والسياسية؟ وما هي انعكاساته على التجربة الصوفية؟ وما منزلته من الفكر الإسلامي؟ واستقصى أكبر عدد ممكن من مصادر التصوّف في القرون الهجريّة الخمسة الأولى للعثور على خيوط تقود إلى معرفة كيفية تنامي فكرة الفناء لا في التجربة الصوفية فحسب، وإنّما أيضا في بعض المحاولات الفردية لعدد من المتصوّفة قصد تبيّن طرافتها أو دورها في تطوير هذه الفكرة وتحديد عناصرها، وهو ما أهّلها لتكون مصطلحا من أبرز مصطلحات التصوف وأساسا من أسسه التي لا غنى له عنها.

وحول ما استقرّ للفناء من معان أو دلالات، وما اكتنفه من سياقات، أوضح المؤلف أنها تمثّلت في:

أولا، الانقطاع، باعتبار أن "الفناء" قطع صلة مع جملة من الصفات والحركات أو الأفعال والأحوال تختصره عبارة "الفناء عن..."، فضلا عن أنّه انفصال عن الخلق بما فيها الذات البشرية نفسها حيث يفقد "الفاني" شعوره بنفسه وبمن حوله.

ثانيا الاستبدال أو الوسيلة، ونستفيده من عبارة "الفناء بـ..." وتكون عادة قرينة استبدال صفات العبد بالصفات الإلهية أو دالة على أنّ هذه العملية إنّما تستوجب تدخّل الذات الإلهية، وتوجيهها للتجربة الصوفية نحو الغاية الحقيقية المفترض وصولها إليها.

ثالثا الاستغراق والاستقصاء، وتدل عليهما عبارة "الفناء في.." حيث يقترب الصوفي من إدراك مرحلة السكون المطلق فلا يعي نفسه، ويرى ما حوله واحدا فترتد الكثرة وحدة ويغلب عليه الوجود الإلهي فيغيّب وجوده الذاتي أو الفردي بوصله بعد أن كان مستقلا أو منفصلا، ويعيده إلى معين الوجود الأزلي "الإلهي"، وفيه أقصى ما يمكن للعابد أن يبلغه، لأنّ وصوله إلى هذه الدرجة عنوان اكتمال فعل التوحيد المقدور للعبد إنجازه وإدراكه، وبه تلج سياقات "الفناء"، ولعلّ أبرزها:

رابعا سياق التوحيد، وقد لاحظنا أنّه خلافا لسائر المسلمين الذين يبنونه، أي التوحيد، على الاعتقاد والاعتراف القلبي واللساني فإن أتباع الصوفية أكّدوا على عنصر المحبّة، وعملوا على تقوية معناه وتعزيزه، فهو عندهم سبيل التوحيد الأمثل والأصدق؛ لذلك نجد الديلمي مثلا يقدّمه في شكل أنوار: نور من الله ونور للعبد يبلغان في "الفناء" درجة الاتحاد حيث يذوب النور الثاني في الأوّل ويتحد به، فيكون بمثابة عودة الفرع إلى الأصل. وهذا الذوبان يعدّه الصوفية كمال التوحيد لأنه يحقّق تلاشي العبد في الوجود الإلهي وامحاء إنّيته وذاتيته، فلا يشهد إلا للواحد الأحد، إضافة إلى أنّ هذا العنصر (المحبّة) ينسجم تمام الانسجام مع طبيعة التجربة الصوفية، فهي وجدانية روحية في المقام الأوّل قبل أن تكون معرفية.

وعقب الباحث "من هنا نفهم سرّ الاهتمام بتجربة رابعة العدوية في الحب الإلهي، واعتبارها مهد القول بـ'الفناء' وعلامة على انفتاح دلالاته وثرائها، فالمحبة الإلهيّة قطب الرحى في تطور مفهوم 'الفناء' واختلاف تعبير الصوفية عنه وتنوع رؤاهم وتفاسيرهم له، والتوحيد غايته ومحرار توفق الصوفي فيه".

ويرصد مؤلف الكتاب النقلة النوعية التي عرفها التصوّف انطلاقا من القرن الثالث للهجرة، واقترانها بنشاط عملية ترجمة الآثار الفلسفية اليونانية وحركيتها خاصة في بيت الحكمة ببغداد، وهو ما انعكس على التصوّف، ومن ثمّ "الفناء"، وتمكن من تحديد شكلين بارزين: الأوّل هو أن التصوف تمثل مقولات خارجية بعضها فلسفي وبعضها الآخر عقائدي، بنى عليها فكرة "الفناء" دون أن يهيّئ المناخ المناسب لتركيز هذه الفكرة وترسيخها بشكل يسمح بصهر هذه المقولات ضمن رؤية موحدة واضحة المعالم؛ على الرغم من محاولته الاستفادة من النصوص القرآنية والنبوية وتأويلها. وهو ما أحدث الارتباك الذي أشرنا إليه في استخدام المصطلح، وفتح المجال رحبا للاختلاف والاعتراض بدل توظيفه فلسفيّا؛ إذ بدت الأرضية واضحة المعالم منسجمة معه ممهّدة له. ولعلّ هذا ما دفع المستشرقين ودارسي التجربة الصوفية عموما إلى تقسيم الصوفية إلى فئات ومذاهب نسبوها إمّا إلى تيّارات فلسفية وإما عقائدية وإما كلامية.. وفق ما بدا لهم من تقارب بين مختلف الأطراف، فكان "الفناء" تارة حاملا لبصمات الأفلاطونية المحدثة وطورا للعقيدة البوذية، أو وليد الثقافة الفارسية، أو فلسفة الإسماعيلية.. ولكنّ هذا كلّه لم يحجب وجود نقاط تقاطع بين مختلف الاستعمالات تحديدا في الغاية من "الفناء" وفي كيفية تحقيقه وطبيعته والعلاقة التي يفرزها بين الخالق والمخلوق، ويبدو أنّ دور أبوسعيد الخرّاز في هذا الجانب مركزي بإجماع مختلف مصادر التصوّف.

– الثاني هو أنّ معظم مصادر التصوّف المتأخرة تحديدا في القرنين الرابع والخامس للهجرة قد سعت إلى تدارك هذا الارتباك عبر جمع مقالات الصوفية وغربلتها ضمن تصور عام موحّد للتصوف، كنّا أشرنا إلى ملامحه. وهذا ما جعل عملية تبيّن الفوارق بين أقوال المتصوفة في "الفناء" غاية بعيدة المنال لما كرّسته هذه المصادر من جهد لتخفيف حدّة الاختلاف وتقريب التعابير المتباينة، بل تحويلها إلى اتفاق ظاهر مطلق نحو ترجيح معنى موحّد يحقق ما صبا إليه الصوفية من العلمية والثبات والإطلاقية متوسلين في ذلك شتى الطرائق والأساليب من حذف وزيادة وتوفيق وتلفيق..

وخلص الباحث التونسي صابر سويسي قائلا "لئن حجب هذا عنّا جزءا من الرؤية الحقيقية الموضوعية للفناء الصوفي فإنّه لم يلغ أهميته وخطورته، بل أتى حاملا لإشكالات إضافية تعيّن بحثها وتتبّعها، بعضها ارتهن بالفترة التاريخية التي درسنا وبعضها الآخر انفتح على الفترة التي تليها مُنبئا بولادة تصوّرات جديدة للموضوع تخرج بالفناء عن السياقات التي احتوته على امتداد القرون الهجرية الخمسة الأولى لتعلق بسياقات أخرى لعلّ الفلسفة تحظى فيها بالنصيب الأوفر،

> يرصد مؤلف الكتاب النقلة النوعية التي عرفها التصوّف انطلاقا من القرن الثالث للهجرة، واقترانها بنشاط عملية ترجمة الآثار الفلسفية اليونانية وحركيتها خاصة في بيت الحكمة ببغداد، وهو ما انعكس على التصوّف، ومن ثمّ «الفناء»

فتنغرس أكثر في البعد الأنطولوجي، وتبحث في جوهر الإنسان وموقعه من الوجود والكون ودوره فيهما وصلته بربّه وبالعالم حوله. ولا نستبعد أن يستهلك 'الفناء' أيضا في سياقات مغايرة تجعل من التصوف مجرد تقليد ومحاكاة يتبع فيها اللاحق السابق، ويقتدي به اقتداء أجوف شكليا، فيناى بذلك عن معانيه التي وضعت له في عرف الصوفية الأوائل، وينخرط أكثر في باب اختراع الكرامات وصناعة أخبارها. وقد رأينا لذلك ممهّدات من قبيل تشييء عملية الفناء وانبثاق اصطلاح 'الفناء' في الرسول و'الفناء' في الشيخ.. وهي اصطلاحات ستجد لها مبرّراتها وغاياتها بعد القرن الخامس للهجرة".

رف الكتب

الميديا بين مطرقة الحاكم وسندان المال

❏ يحدث أن تسبح الصحافة ضد التيار كما حدث في فرنسا إبان ثورة مايو 68، حيث رفعت معلقات تندد بانحياز وسائل الإعلام للسلطة. في تلك الفترة بالضبط كان يعرض في المكتبات الفرنسية كتاب "الصحافة والسلطة والمال" لجان شوبيل(1927–1994) أول رئيس لأول عصبة المحررين في فرنسا، بتقديم للفيلسوف بول ريكور، وهو كتاب يعارض النهج الذي سارت عليه الميديا في ذلك الوقت، وكان شوبيل واعيا بتضافر مصالح السلطة الحاكمة ورؤوس المال لقمع كل ما يعكر الصفو، إذ كان عادة ما يقول: "أن تصمد معناه أنك تخلق، وأن تخلق يعني أنك تصمد".

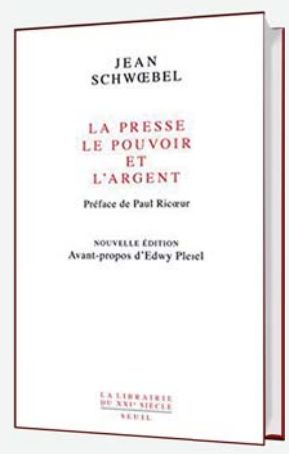

هذا الكتاب أعيد نشره مؤخرا عن دار سوي، بتقديم للصحافي اليساري المشاكس إدوين بلينيل، أكد فيه ضرورة أن يقرأ الإعلاميون الفرنسيون هذا المصنف كي يستعيدوا شجاعة فقدوها، وصراحة صاروا يعجزون عنها، ويكفوا عن مداعبة السلطان، لأن في ذلك موتهم.

سبعة قرون من تاريخ أفريقيا في رواية

❏ "واجب العنف" للمالي يامبو أولوغوم (1940–2017) رواية كانت سببا في شهرته، حيث كان أول كاتب إفريقي يفوز بجائزة رونودو، وكانت أيضا سببا في انقطاع صوته واعتزاله، فقد اتهم في فرنسا بالسرقة الأدبية، واتهم في بلاده وفي بعض البلدان الإفريقية لتحامله على تاريخها وشعوبها. فآثر الصمت حتى وفاته.

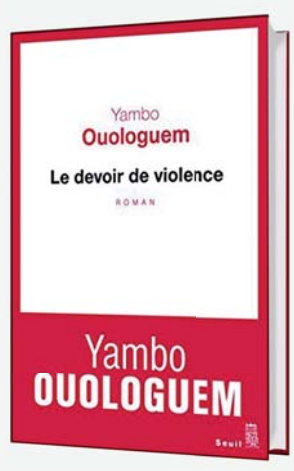

الرواية عبارة عن جدارية تراجيدية تمسح تاريخا يمتد من القرن الثالث عشر إلى القرن العشرين، عبر تاريخ امبراطورية متخيلة تدعى ناكم وآل سيف الذين يحكمونها بغطرسة واستبداد.

ومن خلالها يروي تاريخ إفريقيا المجهول، من الداخل، حيث العنف والقتل والمكر وموافقة بعض زعماء القبائل الإفريقية على تجارة الرقيق مقابل عمولات؛ مثلما يسرد بأسلوب ساخر دور أوروبا ومنظومتها الكولونيالية في استعباد شعوب القارة، ويركز على رحلة سبارتاكوس كاسومي، سليل العبيد، وتيهه بحثا عن جذوره. هذه الرواية التي صدرت أول مرة عام 1968، وأعيد نشرها هذه الأيام، تقرأ كعمل أدبي جليل، وكملحمة تنزل صاحبها منزلة الكتاب الكبار.

تحويل الفن إلى سلعة

❏ إنها الحرب، حرب تدور على شتى الأصعدة وتشتد منذ أن صارت موجهة ضد كل ما يستحيل أن نستخلص منه قيمة. عقبها إضفاء القبح على العالم، لأن أول عدو، قبل الحلم أو الشغف، كان الجمال الحيّ، الذي يعرف كل شخص مدى تأثيره وإبهاره، مثلما يعرف تمنّعه على الإمساك، كالبرق الخلب.

ولكن بتضافر المال مع نوع من الفن المعاصر يهدف إلى فرض هيمنته دون رد، تحول الفن إلى بضاعة تعتمد على جماليات عامة للتغطية على الطريقة الكارثية لعالم يسير إلى هلاكه، حتى صار القبح والجمال رهانا سياسيا.

تلك هي القضية التي تثيرها الكاتبة (السريالية سابقا) أنّي لو بران في كتاب بعنوان "ما لا ثمن له"، وكانت أدانت في كتبها السابقة نجاح رأس المال في تشويه الفن وتحويله إلى سلعة.

وتتساءل: حتّامَ نقبل ألا نرى إلى أي درجة يعمل المال للقضاء على ليلنا الحساس، وجعلنا ننسى المهم، في سعي لاهث لما لا ثمن له؟

أرض الآلام وجلجلة العالم

الفوتوغرافي الإيطالي فيديريكو بُوزونيرو يصوّر فلسطين

عرفان رشيد
كاتب عراقي

❏ لَبس قفّازيه المنسوجين من قماش أبيض حريري، وفتح العلبة الكارتونية الصفراء بلون زهرة عُبّاد الشمس، وأخرج منها بأناة، شبيهة بالصلاة، أوراق المقوّى التي يستخدمها الرسّامون، والمطوية مثل ظلفتي شبّاك كتبت على ظاهرهما قصائد بالإنكليزية والإيطالية.

فتح فيديريكو بوزونيرو ظلفتي الورقة المطواة فبرزت الصورة التي ارتبطت بتلك القصيدة، وهي واحدة من 15 قصيدة كتبها الشاعر الإيطالي ستيفانو ڤينتشيري للمُغلُف المعنون بـ«فوق كل صخرة استوت بالأرض» مُرفقا إيّاها مع خمس عشرة صورة من بين مشاهد كتاب «ما تبقّى من الأرض» لبوزونيرو والذي ضمّ في الأصل 79 صورة فريدة.

حين شاهدته يفعل ذلك أدركت بأن فيديريكو بوزونيرو لم يُبالغ في شيء عندما عرض لي مخاض الصورة لديه وميلادها. "أنا أذهب إلى المكان للمرة الأولى دون أن أحمل معي أيّ ما له صلة بالصورة والتصوير. أدور في المكان وأكثر من التفحّص بتكويناته وبدرجات الضوء فيه، أتشبّع بما ينبع من ذلك المكان من وهج ومشاعر، أبقى فيه وقتا طويلا وأجول في أرجائه لأحدّد الزاوية ومُرتكز مسند الكاميرا والساعة المحدّدة للالتقاط، وأغادر لأعود في اليوم التالي، أو بعد أيام.. إذّاك لا تستغرق منّي الصورة إلا الوقت الذي يقتضيه تثبيت العدسة والضغط على زر الالتقاط. والصورة التي تولد من تلك الحركة هي الصورة الوحيدة وستُنشر كما هي دونما رتوش أو تصحيحات".

وإذا فصوره قطع فريدة، لم ولن تتكرّر، ومهما أعيدت طباعتها فإن ما يخرج عنها إنما هو فريد. "لا ألمس الصورة، لا أُجمّلها ولا أغيّر فيها"، يقول بوزونيرو "لذا تختزن الصور دفق اللحظة التي انسابت فيّ المشاعر من ذلك المكان، وبإمكانك أن تتصوّر عمق ومقادير المشاعر التي تضّخها في الإنسان تلك الأرض، فلسطين، بكل ما عنت وتعني بالنسبة للعالم وبكل العذاب والأمل اللذين ينبعان منها".

هذا ما حدث مع الشاعر ستيفانو ڤينتشيري الذي أبلغني بأنّه شعر بموسيقى وبصمت هذه الصور التي التقطها في عام 2009 في فلسطين. جاءت الصور على أساس اتفاق مع منظمة «اليونيسكو» التي كانت ترغب في توثيق الميراث والحضارة والثقافة والأرض الفلسطينية.

"بعد ذلك"، يقول بوزونيرو "اتّخذت فلسطين شكلا شبه مستقل عن ذلك المشروع، إذْ شعرت بالواجب في أن المشهد الذي كنت أراه هناك في صورة أكثر ثباتا تجاوز وذهب أبعد من الوثيقة التي كانت منظمة اليونسكو طلبتها منّي".

"هذا الكتاب مصنوع بشكل حرفي ويدوي" يقول بوزونيرو، "إنه كتاب فنان، وهو ثمرة تعاون كثيف بيني والشاعر ستيفانو ڤينتشيري الذي كتب خمس عشرة قصيدة قصيرة كاستجابة لمشاعر اجتاحته إزاء خمس عشرة صورة من بين 79 صورة نشرتها في كتاب سابق لي نشر بعنوان 'ما تبقّى من الأرض'"، ويُضيف "وعلى مدى شهور عديدة، بعد أن شاهد صور ذلك الكتاب، بعث إليّ ستيفانو القصائد تباعا، طالبا منّي ما إذا كنت أتّفق مع فكرة إصدار كتاب مُختلف ومستقل عن الكتاب السابق".

"بدت كلمات ستيفانو وكأنّها حملت صوري إلى فضاء أبعد ممّا كنت وصلت إليه بنفسي"، يقول فيديريكو بوزونيرو "وفي الوقت ذاته كان ذلك الفضاء أقرب بكثير إلى ما كنت قد رأيت هناك في تلك الأرض، فلسطين، في عام 2009. ولذا وُلد حوار حميم وصامت ما بين الشاعر والمصوّر".

"اختار ستيفانو 15 صورة خلقت بدورها تتابعا مغايرا لما كانت عليه، هي ذاتها، في كتاب 'الأرض التي تبقى'. كنت سعيدا بهذه النتيجة لأنّها عنت بأنّها، أي الصور، تواصلت مع داخل شخص لا يعرف المكان ولم يزُرْ فلسطين أبدا".

ويصف فيديريكو بوزونيرو تجربة أمسية قراءة ضمّته مع الشاعر ستيفانو ومترجمته إلى الإنكليزية بـ«الفريدة». ويقول "حين تحاورنا، وكانت معنا المترجمة التي نقلت القصائد إلى الإنكليزيّة، شعرت بفرادة تلك اللحظة، هو، الشاعر، كان يُحدّق في الصور المنعكسة على الجدار، وأنا كنت أستمع إلى قصائده المتتابعة مع الصور العاكسة لمغزى جديد لمشاهد أعرفها بشكل جيّد. أنا أيضا رأيت تلك المشاهد في تلك اللحظة بعين أُخرى".

> يفتتح فيديريكو بوزونيرو كتاب «ما تبقّى من الأرض» بصورة رجل كهل يجلس على قارعة طريق في فلسطين المحتلّة

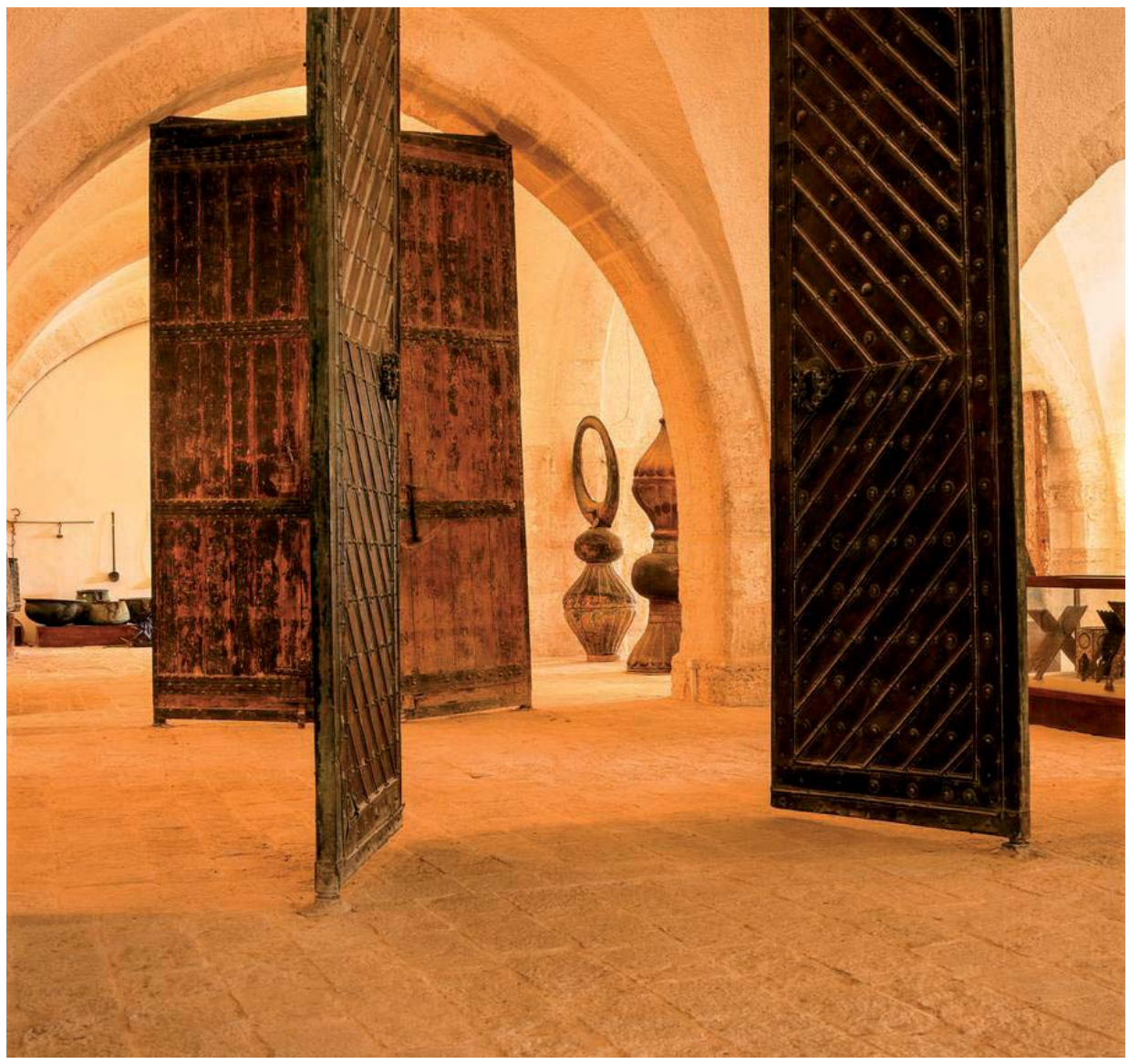

صوري تختزن في داخلي دفق المشاعر التي تولدها فلسطين بكل ما تعنيه لي وللعالم

ورغم فرادة تلك التجربة واللحظة التي ولّدتها تلك القراءة فإنّ فيديريكو بوزونيرو يُفضّل عدم إقران صوره بالنصوص، ما لم تحافظ تلك النصوص على عذرية صوره "في العادة أنأى بصورتي عن المقاربات الأدبيّة، بمعنى تآصر الكلمة مع الصورة، لأنّي أعتقد بأن الصورة تسبق الكلمة. الصورة تولد عارية وينبغي أن تُرى كما هي على ما تشكّلت عليه، ثم يؤولها أي كان وفق ما يشاء، ويعيشها وفق ما يشعر بها أو يفك رموزها كما يشاء، أو يضعها في إطار أو حالة، يمكن أن تكون مغايرة عمّا شاهد وشعر به المصوّر. ما هو مهم هو ألاّ تظلّ الصورة منزوعة الفعل، بل أن تكون قادرة على التواصل وإيصال مشاعر وأحاسيس تذهب أبعد من الحالة أو الموضوع اللذين تقدّمهما".

"هكذا فعلنا مع كتاب 'ما تبقّى من الأرض'، حيث ابتدأ بالصور وانتهي بها، ولم توضع النصوص إلا في خاتمة الكتاب".

ويفتتح فيديريكو بوزونيرو كتاب «ما تبقّى من الأرض» بصورة رجل كهل يجلس على قارعة طريق في فلسطين المحتلّة، "التقيت الرجل الذي تفتتح صورته الكتاب، على الطريق رقم 60 الذي يقطع فلسطين من جنين إلى الخليل. ولمن يستطيع عبوره والمرور فيه، فإنّ الطريق 60 يُعد العمود الفقري لفلسطين. كان الرجل جالسا على قارعة الطريق. سألته ما إذا كان بمقدوري تصويره، فوافق بإيماءة من رأسه. ما أثار دهشتي هو أنّ الرجل كان يحمل معه ساعة حائط وكيسا من القماش الأحمر. قضّيت معه ما يربو على عشر دقائق، لكن عقارب تلك الساعة لم تتحرّك من مكانها. كانت الساعة متوقّفة. وبالنسبة لي فإن الصورة التي تفتتح الكتاب إنّما تُمثّل حال الشعب الفلسطيني: إنّه يترقّب، ما يُمكن أن يحدث، أي حضور مساعدة من الخارج. الرجل يحمل الساعة ذات العقارب المتوقّفة لم يقل لي شيئا. كان يحمل ساعته داخل كيس أحمر من القماش طبع عليه حرفان لاتينيان (H.O)، اكتشفت في ما بعد من الإنترنت، أن ذلك الشعار يعود لمصنع إسرائيلي لأزياء الرجال. إنّه ضرب من المفارقة: «فلسطيني يجلس على قارعة الطريق رقم 60، برفقة ساعة حائط وُضع في كيس قماشي أحمر يعود إلى شركة إسرائيلية».

ولا تختلف حالة الترقّب في الصورة التي تُغلق كتاب «ما تبقّى من الأرض»

"نعم"، يقول فيديريكو بوزونيرو "ذات الشيء يحدث في نهاية الكتاب مع صورة السيّدة التي صوّرتها في إحدى القرى. المرأة ساهمة، غارقة في التفكير. ثمة وقار كبير في هيأتها؛ وهو ما دعا الشاعر ستيفانو ڤينتشيري، والعديد ممّن شاهدوها إلى اعتبارها أنموذجا للمرأة المتوسّطيّة: امرأة أمام الباب تجلس حارسة للبيت، وللأرض. إنّها شخصية أموميّة تشبه ما كانت عليه من الزمن الغابر، وهو ما يجعل منها أيقونة، كما يصفها الشاعر"، ويُشدّد بوزونيرو "هذه المرأة أيضا، مثل الرجل في مُفتتح الكتاب، تجلس أمام بيت في قرية اسمها «النُعمان»، التي اقتلع الجيش الإسرئيلي منها اسمها، وأطلق عليها اسم «ميسموكين». أنا كنت أحمل معي خرائط الأمم المتّحدة، فقد كنت هناك بتكليف من اليونسكو، وعثرت في تلكم الخرائط على اسم «النعمان»، ووضعت اسم «النعمان» في هامش الصفحة التي تحمل صورة السيّدة".

كان الشعر والصورة الفوتوغرافية مستقلّين عن بعضهما، لكنهما اشتركا في كثير ممّا يربط بينهما. إنّهما وسيلة وشكل لتجاوز الواقع ولتجاوز ما تشاهد العيون في كلّ يوم. وليست مصادفة أن آرثر رامبو قال إن «الشاعر يتبصّر، وهو الذي يرى..» وهو بذلك، بالضبط كما المصوّر الفوتوغرافي، إذا ما كان يُدرك بوعيه ما يلتقط في تلك اللحظة. يولد التواصل ما بين الكلمة والصورة.

، ما بين الرؤية وما يدور في الخلَد. ويُذكّرني هذا بردّ المصوّر المكسيكي مانويل ألفاريس برافو على من سألوه عن ماهيّة الصورة الفوتوغرافيّة؛ قال برافو «بإمكان الصورة أن تكون لحظة واقعيّة أو لا، أي أن تكون لحظة مُوَلّدة ». وهذا بالضبط هو ما حدث خلال الحوار ما بين الشاعر والمصوّر. فبالإمكان أن تكون الصورة لحظة واقعية، وهي كذلك بالفعل، أو أن تكون لحظة مُتخيّلة، معيشة، تتجاوز الواقع نفسه، وهي إذا، إذّاك لحظة مُوَلّدة، سواء من قبل الشاعر أو من قبل المصوّر».

خالدة في عذابها المرير

ستيفانو ڤينتشيري

❏ صادفني، وأنا أجلس على أريكتي أن أُشغّل التلفزيون وأشاهد فيلما كان عرضه قد ابتدأ من ذي قبل، فوجدت نفسي وسط تلال بنّية التراب، مليئة بالحصى: "لقد سبق لي أنْ شاهدت هذه الصورة!"، فكّرت.

أجل بالتأكيد. كانت لقطات الفيلم شبيهة بالصور التي التقطها فيديريكو بوزونيرو، التي كنت قد شاهدتها قبل ذلك بوقت قصير. كان الاختلاف بين الصورتين يكمن في عجالة المادة المصوّرة سينمائيا، وفي تصريحات المتحدّثين وفي إيماءات الشخوص الظاهرة في الفيلم.

صور بوزونيرو شأن آخر: إنّها لا نهائية، خالدة في عذابها المرير، وبدت لي كما لو أنّها تسمّرت بصرخة مكتومة. إنّها الأرض التي يرشح منها ضياعها، آلامها الجسديّة وعذابات روحها.

هذه الأرض، ويمكن أن تكون أي بقعة من هذا الكوكب، متباينة الألوان والتكوّن الجغرافي، تواجه عذاباتها بصمت.

فيديريكو بوزونيرو ثبّت من هذه الأرض تلك الانفعالات، وأنا لم أفعل إلا أن ألملم تلك الانفعالات وأجعلها كانفعالاتي.

فلسطين البعيدة

فيديريكو بوزونيرو

❏ أتسلّم مشاهدي ممّا هو موجود بالفعل، أو ممّا تواجد هناك: ويتلخّص واجبي في أن أحوّل تلك المشاهد إلى صور فوتوغرافية قابلة للبقاء معنا.

مشاهد أنأى عنها، لكن دون أن أهجرها أبدا، زمن قبالة أي زمن آخر. ستيفانو ڤينتشيري، شاعر ومتنبئ: يصدح صوت قصائده في صوري الفوتوغرافية، يُوسّع مديات تلك الصور وتحلّق بها بعيدا.

ليس الشعر والصورة الفوتوغرافية أبدا مجرّد مصادفات؛ على العكس تماما، فهما عبارة عن تنام لأوضاع سالفة، وبحث عن رسالات جديدة تقول الحقيقة.

فلسطين التي زرتها بين عامي 2008 و2009، بقيت بعيدة المنال، وبها طعنة من ثبات الزمان؛ وإذ كنت أدنو ممّا انغلق في كنهها من حاضر متناقض وماض مطالب، شعرت بنفسي كما لو كنتُ تطفّلا: أماكن تختزن في داخلها كلّ ثقل الماضي، أماكن عديدة للذكرى، حوفظ عليها أو انسلّت من بين الأصابع، أماكن تنطق بالآلام وبالكرامة الإنسانية.

تتواصل وتكتمل الرحلة المتوحّدة للشاعر والمصوّر في فسحة الصمت ما بين الصورة والكلمة.

ثلاث مقطوعات

❏ من قصائد الشاعر ستيفانو ڤينتشيري

ظهري إلى الجدار،
ظهري إلى باب البيت، المغلق.
وشمي ينطق الآن عن حاضري
لكنّه ليس إلا تاريخا من رمل وريح
أحيا وأموت
برعشة للفينيق، أيقونة.

***

أحمر لا نهائي
هو ذلك إلهي
ليس غير نقطة، ما بين نهايات الأعمدة
لكن ثمة على كل صخرة استكانت هناك
حصى جُبّلت بدموع وأفراح.

***

وقفة استراحة واحدة
في الميدان
الذي فرغ فجأة من جميع الأصوات
كما لو الضياء
امتصّها على حين غرّة.

ينشر المقال بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنص كاملا على الموقع الإلكتروني

باريس ترتدي أقنعة الخريف

الدورة السابعة والأربعون من مهرجان الخريف المسرحيّ

عمار المأمون
كاتب من سوريا

❑ **باريس** – تسعى هذه النسخة من مهرجان الخريف إلى تجاوز الحدود والتصنيفات السياسية، لتكون مسارح باريس، مساحةً لاكتشاف الغريب وغير المألوف مما قدمته الساحة المسرحيّة العالميّة، حسب ما قاله إيمانويل ديمارسي موتا المدير العام للمهرجان، الذي يستقبل هذا العام أكثر من ستين فناناً، في أربعة وخمسين مكاناً، ستكون فضاءات للعروض المسرحيّة والراقصة، إلى جانب فنون الأداء والمعارض التشكيليّة.

يحتفي المهرجان في هذا العام بشخصيتين من الساحة الفنية العالميّة، الأولى، هي الراقصة ومصممة الرقصات البلجيكية أنا تيريسيا دي كيرسينكر، التي يحوي المهرجان أكثر من أحد عشر عرضاً من تصميمها، أشهرها أداء "مشي بطيء"، وضمنه سيقوم الراقصون مع كل من يحب المشاركة من سكان باريس، بالمشي في أنحاء المدينة ببطء، بصورة أدق، بسرعة خمسة أمتار في الساعة، في محاولة لتأمل السرعة التي تمشي بها المدينة، وطبيعة القوانين والأعراف التي تضبط حركة وتدفق الأفراد في الفضاء العام.

الشخصية الثانيّة التي يحتفي بها المهرجان هي المؤلف الموسيقي الفرنسي– الكندي كلود فيفير، الذي قتل في شقته عام 1983 بعمر 34 عاماً، على يد بائع هوى شاب، إذ يقيم المهرجان خمس حفلات موسيقية لأشهر أعماله، التي لا يتجاوز عددها السبعة، مع ذلك تعتبر من أكثر المقطوعات الموسيقيّة تأثيراً في القرن العشرين، وخصوصاً مقطوعة "هل تؤمن بخلود الروح؟"، والتي مات قبل إكمالها، حيث وجدت الشرطة مخطوطها في شقته يوم مقتله.

> المهرجان هذا العام يقام لذكرى بيير بيرجي الذي رحل العام الماضي تكريما لجهوده في تأسيس علامة إيف سان لوران

يحضر مسرح الشرق الأقصى بصورة مميزة في نسخة هذا العام من المهرجان، وخصوصا العروض اليابانيّة، إذ تستقبل باريس المخرج توشيكي أوكادا، الذي يعرض مسرحيتين من تأليفه وإخراجه هما "خمسة أيام في أذار" و"بورتريه للشغف"، ويذكر أن أوكادا اشتهر على الساحة العالمية بتناوله القضايا المعاصرة وعلاقة الغرب مع اليابان، وتأثير التغيرات الاقتصاديّة على الشباب الياباني، فشخصياته تتحدث بصورة متقطعة وجمل غير مترابطة، وتحيل إلى ذاتها وكأنها تحكي حكاياتها للجمهور ولنفسها، كما أن أداء الشخصيات لا ينتمي للشكل التقليدي المرتبط بالنظريات الغربيّة، إذ يرتجل الممثلون حركاتهم، ويبتعدون عن الانتظام والتنسيق في حركة جسدهم. كما يحضر في ذات السياق عرضٌ لتاكوري فوجيتيا باسم "أرموا الكتب، أخرجوا إلى الشوارع"، المستوحى من فيلم كتبه الفنان والشاعر والكاتب شوجي تيرايما، والذي تتناول المسرحيّة حياته وتدمج بين الوثائق الشخصيّة والأحداث المتخيّلة.

يستضيف المهرجان أيضاً المسرح الياباني التقليدي، المعروف باسم الكاوبوكي، إذ تقدم فرقة شوشيكو، ثلاثة عروض كلاسيكيّة تحكي القصص الدينية التقليديّة، فالعرض الأول يعود إلى نهاية القرن السابع عشر، والثاني إلى نهايات القرن التاسع عشر، والمميز أن في هذه العروض يلعب الممثل نفس الدور دائماً، إذ يؤدي دور الرجل ناكامورا شيدو الثاني، ودور الأنثى ناكامورا شيشينوسكو الثاني، كما نشاهد أيضاً عرضاً لهيروشي سيغوموتو، والذي يُصنف بأنه "كيوجين"، وهو الشكل الكوميدي لمسرح النو التقليدي في اليابان. تتميز العروض السابقة بدقة حركات الممثلين، وانضباطهم العاليّ، خصوصاً أنهم يرتدون أقنعة وأزياء مميزة، تشكل البعد الجمالي والرمزي للمسرح الياباني، الذي يختزن داخله تقاليد وحكايات مختلفة كلياً عن المسرح الغربي.

تقاليد المسرح الياباني في باريس

شكسبير على الطاولة

محاكمة كافكا في باريس

الممثل سيد الخشبة

يستقبل المهرجان أيضاً عددا من عروض المونودراما، كـ"حرارة" لليتيسا دوك، والذي نرى المخرجة والممثلة الفرنسية فيه وحيدة، ونصف عارية مع حصان يشاركها خشبة العرض، تتحدث معه عن مشكلات العصر وما مرت به فرنسا، لتقع بحبه بعدها، في علاقة تتجاوز التصنيفات التقليدية. كذلك يقدم الفنان الفرنسي جوليان غوسلينغ عرضاً بعنوان "الأب"، المقتبس عن نص لستيفان شايو، بعنوان "رجل غير واثق"، والذي يحكي قصة فلاح يستعيد ذكرياته وتاريخ حياته، في محاولة لاستكشاف تاريخ الحزن الذاتي، وكيف يصقل هذا الحزن حياة الفرد، إلا أن أكثر هذه العروض إثارة للاهتمام، هو ذاك الذي تقدمه فرقة "تسلية إجبارية" بعنوان "الأعمال الكاملة: شكسبير على الطاولة"، والتي يخرجها البريطاني تيم إيتشل، بوصفها جزءا من تجاربه الفنية لفهم طبيعة النص المسرحيّ، إذ نرى مؤدياً يقوم بسرد حكاية إحدى مسرحيات شكسبير، وهو جالس على طاولة يحرك عليها أشياء يوميّة، كأقلام وألوان وعبوات فارغة، وكأنها دمى يكسبها فعل "السرد" معناها، ليتحول شكسبير إلى ما يشبه الحكاية الشعبية أو قصة ما قبل النوم، التي يستمع لها الفرد بصورة مبسطة تحوي عناصر الحبكة الرئيسيّة.

اقتباس ونصوص كلاسيكية

لا تغيب عن المهرجان عروض تستعيد وتتبنى أشهر النصوص الأدبيّة، إذ يقام في مسرح الأوديون عرضا بعنوان "المحاكمة" والذي تقتبس فيه المخرجة البولنديّة كريستيانا لوبا رواية كافكا الشهيرة التي تحمل ذات الاسم، فالعرض الممتد على طول أربع ساعات ونصف، يستعيد حكاية المسرحيّة ذاتها التي واجهت الكثير من المشكلات، وتوقف إنتاجها لفترة بسبب الأحداث السياسية التي شهدتها بولندا، ووصول حزب محافظ للحكم تدخل في الصناعة المسرحيّة، لتكون المحاكمة كما نص كافكا غير مكتملة، وظهرت إلى النور إثر مساعدة المقربين من المخرجة لإتمام الإنتاج، كنص كافكا الذي خالفت خطيبته وصديقه وصيته ولم يقوما بإحراق مخطوط الرواية، كما يستضيف المسرح ذاته مسرحية "الشياطين" من إخراج الفرنسي سيلفان كروزيفولت، المقتبسة من رواية فيودور ديستويفسكي و التي تحمل ذات الاسم، ويحاول عبرها المخرج أن يطرح التساؤلات المرتبطة بالوجود، والعلاقة مع الإله وأضداده في مجتمعاتنا المعاصرة، ودور الفنان ضمن هذه التناقضات.

ولادة التراجيديا

يقدم أيضاً عالم الاجتماع والكاتب المسرحي والممثل السويسري ميلو راو، عرضاً بعنوان "استعادة- حكايات المسرح"، وفيه يبحث عن جذور التراجيديا وكيفية تكونها كمفهوم، ويَصف راو هذا العرض بأنه بحث أدائي على المدى الطويل يتعلق بأقدم أشكال الفنون التي عرفتها البشريّة، كما أنه يبني العرض بوصفه أشبه بلعبة تحقيق جنائيّ، كون أغلب التراجيديات تحوي جرائم قتل أو جريمة تكون المحرك الرئيسي للمسرحيّة، ذات الشيء نراه في عرض لمكسيم كورفيرز، بعنوان "مولد التراجيديّا"، والذي يستند إلى نص الفُرس لإسخيلوس، فالعرض محاولة لفهم المعاني التي تشكل فن التراجيديا، هل هي بصرية أم جماليّة أم شعريّة، وكيف يتدخل الممثل وذاكرته في بناء الفعل التراجيديّ، إلى جانب طرحه تساؤلات مرتبطة بأوهام الاستعراض والمسرحة بوصفها لا تشكّل جوهر البناء التراجيديّ.

الحضور العربي في هذا المهرجان متواضع، إذ هناك عرض "ماما" لأحمد العطار، والذي يحكي قصة عائلة برجوازية في القاهرة، والصراعات بين أم وزوجة ابنها، والابن ضحية هذه الصراعات، كما يحضر عرض فن الأداء "متاحف اللوفر أو/و رفس الموتى" للفنان اللبناني وليد رعد، والذي يقود المشاهدين في معرضه الفنّي، الذي يتداخل فيه الواقعي والمتخيّل، في رحلة تمتد من بلجيكا إلى لوفر أبوظبي مروراً بنيويورك، وكأن الفنان في رحلة بحث ذاتيّة يتداخل فيها التاريخ مع تجربته الشخصية والمنتج الفنّي.

يترقب جمهور المهرجان عرضين مثيرين للاهتمام، الأول من إخراج روبيرت لوبيغ وفرقته أيكس ماشينا، بالتعاون مع مسرح الشمس، بعنوان "كاناتا"، والذي يعتبر العرض الأول لمسرح الشمس منذ 45 عاما لا تديره أو تخرجه أريان منوشكين، إذ يقدم لوبيغ على طوال 4 ساعات حكاية بلاده كندا طوال 200 عام، مستعرضاً تاريخ الصراعات بين "المستعمرين البيض" و"السكان الأصليين"، أما العرض الثاني فهو للمخرج البرتغالي تياغو رودريغز، بعنوان "عن ظهر قلب" والذي يحاول عبره إعادة النظر في مفهوم النص المسرحي وأهمية حفظه، إذ يدعو 10 من الجمهور إلى اعتلاء الخشبة وحفظ عشر سونتات لشكسبير، إلا أنّ تغيّر الجمهور/ المؤدّين كل عرض، يهدد تماسك النص، ليتحول العرض إلى معركة ضد النسيان، ففي كل مرة يحفظ أحدهم مقطوعة تتغير علاقته معها، وتتغير طبيعة العرض، الذي يتكون في كل مرة بصورة مختلفة.

أفق الانتظار في المسرح

عواد علي
كاتب من العراق

❑ رغم اهتمام النقاد الحداثيين العرب بنظرية التلقي في تحليل النصوص الأدبية، بوصفها دراسة لعملية التأويل أو توليد الدلالات في إطار علاقة القارئ بنص ما، فإن عدداً قليلا جدا منهم التفت إلى هذه النظرية في حقل التحليل المسرحي، الذي تبرز فيه قضية التلقي بشكل أكثر حساسية وإلحاحا من أي نمط آخر من أنماط الإبداع الأدبي والفني، ففي المسرح تتجلى استجابة المتلقين فورا، عبر التواصل واختبار آفاق التوقع، ما يجعله أفضل مجال لدراسة عملية التلقي، وقد يغير المخرج والممثلون من أسلوب أو شكل العرض المسرحي وفق استجابة هؤلاء المتلقين، في حين أن الرسّام أو كاتب الرواية أو القصة أو الشعر يبدع في عزلته، ولا تلتقي أو تختلف آفاق توقعات المتلقين، على نحو مباشر، مع آفاق منتجي تلك الأشكال الفنية والأدبية.

إن مفهوم "أفق التوقع ، أو "أفق الانتظار" يحتل موقعا مركزيا في نظرية التلقي، وهو مفهوم جمالي يلعب دورا مؤثرا في عملية بناء العمل الفني والأدبي، وفي نوعية الاستقبال التي يلقاها ذلك العمل انطلاقا من فكرة أن المتلقي يقبل على العمل وهو يتوقع أو ينتظر شيئا ما. ويُعد هذا المفهوم بمثابة حجر الزاوية في نظرية هانس روبرت ياوس، الذي ركّبه من مفهومي "الأفق" عند غادامير، و"خيبة الانتظار" عند كارل بوبر، حينما وجد أن تطبيقهما في فلسفة التاريخ وفلسفة العلوم يحققان رغبته في البرهنة على أهمية التلقي في فهم الأدب، والتاريخ له.

ويأخذ توقع المتلقين في حقل المسرح منحيين، الأول منحى درامي يتجلى في توقع تسلسل ما للأحداث في المسرحية، وطريقة معينة لحل الصراع، أو الصراعات في انتظار النهاية، ومن ثم فإن عنصر التشويق يُبنى انطلاقا من هذا التوقع. الثاني منحى جمالي يتجلى في توقع أسلوب ما للعرض وشكله، وصبغة معينة له: مضحك، أو مأساوي، أو تهكمي، أو عبثي... إلخ. ويمكن أن يؤدي أفق التوقع، كجزء من عملية التلقي، إلى الشعور بالرضا عندما يتجاوب العرض مع توقع المتلقي، أو إلى الشعور بالخيبة لأن العرض يصدم توقعاته، ويعاكسها، أو إلى الشعور بالمفاجأة حين يقدم العرض شيئا جديدا لا يعرفه المتلقي، فيلعب، بذلك، دورا في توجيه الاهتمام إلى نواح جمالية وتكريسها.

يقسم الناقد جوليان هلتون توجه نظرية التلقي في حقل المسرح إلى وجهتين: وجهة تزامنية، ووجهة تعاقبية، فتفحص الأولى عروضا مسرحية محددة تقدَّم أمام متلقين محددين، وتسعى إلى قياس وتقييم تأثيرها فيهم، وترصد الثانية التغيرات والتوجهات المختلفة التي طرأت على الذائقة المسرحية عبر التاريخ، وتحاول تفسير شعبية بعض المسرحيات، والأساليب المسرحية في عصور معينة، واختفائها، أو الانصراف عنها في عصور أخرى. وقد ترتب على نظرية التلقي أن تحول الاهتمام، في عملية تحليل العرض المسرحي، من التركيز على نوايا المؤلف والعملية الإبداعية، إلى التركيز على جهد المتلقي في إنشاء ذلك العرض خلال عملية التلقي.

وتنشط عملية الإنشاء هذه في فجوات العرض، كما جرى العرف على تسميتها، أي مناطق الغموض والتورية والقلق التي تفرض على المتلقي مهمة تفسير المعلومات المرسَلة إليه، وإكمالها من واقع خبرته وتوقعاته، فتحول إلى مشارك إيجابي في عملية إنشاء الدلالة. ويجسد الانتباه إلى فجوات العرض، والاهتمام بها كعنصر فاعل في إنشاء الدلالة، حجم الإضافة التي حققتها نظرية الاتصال برمتها في مجال الدراسات الأدبية والمسرحية.

فنادق أوروبية تجتذب السياح بإطلالات ساحرة على معالم شهيرة

التخطيط الجيد للإقامة في فندق يوفر برنامجا سياحيا حافلا

يبحث الراغبون في السفر واستكشاف أهم المعالم السياحية حول العالم غالبا عن أبرز الوجهات التي بإمكانها أن توفر لهم جولات لا تنسى، إلا أن أهم 8 فنادق شهيرة في أوروبا، قد تقدم للسياح دون عناء التنقل إطلالات لا تفوت على منشآت تاريخية ومناظر طبيعية.

❑ **برلين – هناك العديد من الفنادق الأوروبية التي تمتاز بإطلالة رائعة على منشآت تاريخية خالدة أو مناظر طبيعية رائعة أو حتى محطات توليد الطاقة. وفي ما يلي لمحة سريعة على أهم 8 فنادق شهيرة في أوروبا.**

● **فرنسا: يعتبر برج إيفل من أبرز المعالم السياحية في العاصمة الفرنسية باريس، وإذا لم يرغب السائح في زيارته فليست هناك مشكلة على الإطلاق؛ حيث يتيح فندق بولمان باريس تور إيفل إطلالة رائعة على البناء الحديدي، الذي يبلغ ارتفاعه 324 مترا.**

ويقع هذا الفندق على الضفة اليسرى لنهر السين على مسافة بضع دقائق سيرا على الأقدام من برج إيفل، وتمتاز غرف هذا الفندق بإطلالة مباشرة على برج إيفل، وتزداد متعة المشاهدة أثناء الليل، وعادة ما يتم فتح صالة اللياقة البدنية لمدة 24 ساعة وتمتاز بإطلالتها الساحرة على حدائق تروكاديرو.

● **إسبانيا: يتعين على السياح الذين لا يخشون من المرتفعات، تجريب متعة الإفطار في فندق بارادور دي روندا الأندلسي، والذي يوفر فرصة الاستمتاع بإطلالة رائعة على الوادي العميق؛ حيث يصل عمق المنحدرات إلى 120 مترا أمام الفندق بشكل تحتبس له الأنفاس.**

ويقع هذا الفندق في وسط المدينة، بجوار جسر بوينتي نويفو دي روندا، ويتيح الفندق إطلالة رائعة على نهر تاجه، وتجدر الإشارة إلى أن مدينة روندا تقع على قمة جبلية في مقاطعة مالقة، وتعتبر معقل مصارعة الثيران، ويمكن للسياح الاستمتاع بمشاهدة مصارعة الثيران في ساحة أرينا بلازا دي توروس، والتي تبعد عن الفندق مسافة عشرة دقائق سيرا على الأقدام.

● **ألمانيا: يمتاز فندق ريتز كارلتون فولفسبورغ بإطلالة رائعة على محطة التوليد المشترك للحرارة والطاقة التابعة لعملاق صناعة السيارات الأوروبي فولكسفاغن؛**

> فندق «بارادور دي روندا» الأندلسي يوفر لزائريه الاستمتاع بمشاهدة مصارعة الثيران في ساحة أرينا بلازا دي توروس

إطلالة على كل معالم المدينة

حيث تتم إضاءة محطة الطاقة بشكل مثير خلال الليل.

ويمكن للسياح الوصول من الفندق، الذي يقع على القناة الوسطى بالمدينة، إلى وسط المدينة من خلال السير على الأقدام لبضع دقائق، كما تقع فولكسفاغن أرينا على مسافة 15 دقيقة سيرا على الأقدام. ويتمتع هذا الفندق بحمام سباحة خارجي يبلغ طوله 40 مترا، وتتم تدفئته طوال العام، علاوة على أن مطعم أكوا بفندق ريتز كارلتون فولفسبورغ قد نال ثلاث نجوم ميشلان.

● **إيطاليا: توفر مدينة فيرونا الإيطالية فرصة ذهبية للعشاق من جميع أنحاء العالم لمعايشة أحداث قصة روميو وجولييت؛ حيث يقع فندق إل سونو دي جوليتا في وسط المدينة التاريخي لمدينة المهرجانات.**

ويمكن للسياح في هذا الفندق الاستمتاع بإطلالة مباشرة من بعض الغرف على شرفة جولييت، وتستقبل هذه الساحة الشهيرة السياح من جميع أنحاء العالم، وتقع أرينا دي فيرونا على مسافة 650 مترا فقط من الفندق، كما يمكن أيضا الاستمتاع بأحد العروض الفنية في ثالث أكبر مسرح مدرج في العالم لا يزال محتفظا بحالته القديمة.

● **اليونان: تعتبر جزيرة سانتوريني أجمل جزيرة في بحر إيجه في نظر الكثير من السياح في اليونان، وتبدو الجزيرة كأنها لوحة فنية مرسومة؛ حيث تظهر المنازل التقليدية المربعة والمطلية باللون الأبيض في مظهر لا متناه مع البحر الواسع.**

ويتيح فندق جريس سانتوريني الفاخر فرصة الاستمتاع بإطلالة بانورامية رائعة على الجزيرة والبحر، ويزخر الفندق أيضا بحمام سباحة إنفينيتي للتمتع بسحر الجزيرة، التي تسطع الشمس فيها أكبر عدد من الساعات في اليونان، ويضم المشهد البديع أيضا إطلالة على الكتلة البركانية كالديرا الشهيرة، وتشتهر جزيرة سانتوريني بالطماطم المجففة في الشمس.

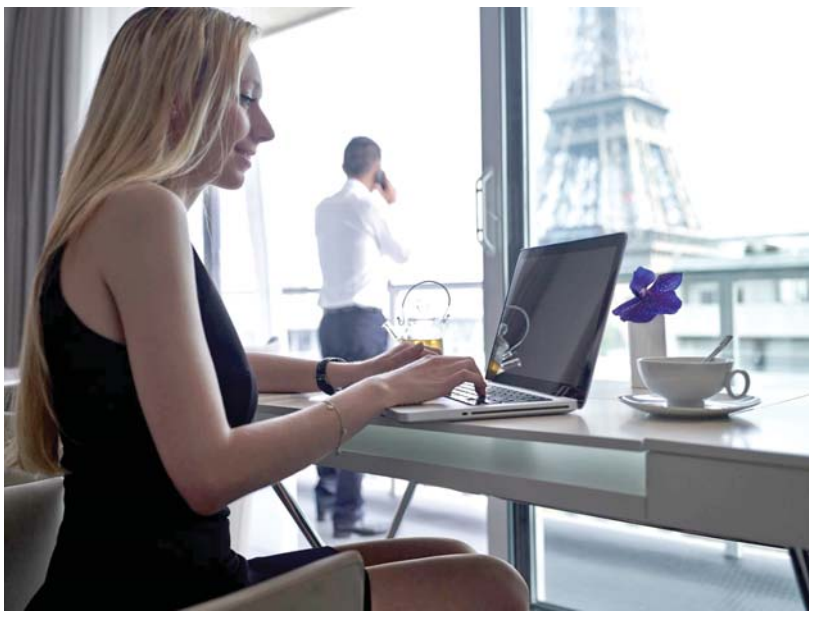

استراحة توفر للسائح متعة مشاهدة برج إيفل

نافذة على قصة عشق روميو وجولييت

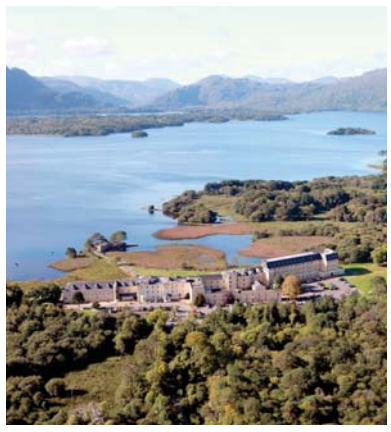

موقع في حضن الطبيعة

خلال الإقامة في فندق "ليك هوتيل" في كنتري كيري، وهنا تظهر صورة طبيعية بديعة تضم فندق أربعة نجوم وبحيرة خلابة ومنعزلة.

وتشتمل تجهيزات الغرف في المبنى، الذي يعود إلى القرن التاسع عشر، على حمام جاكوزي ومدفأة، وإطلالة رائعة تحتبس لها الأنفاس على أطلال قلعة "McCarthy Mor Castle" وبحيرة "Lough Leane" والجبال المحيطة بها.

● **جمهورية التشيك: يقع فندق "كورينثيا" على إحدى تلال مدينة براغ، ويوفر للسياح إطلالة حالمة على عاصمة التشيك؛ حيث ينعم السياح أثناء تناول الإفطار في هذا الفندق بمشاهدة قلعة براج ونهر فلتافا مع إطلالة شاملة على المدينة، وعند اعتدال أحوال الطقس يمكن للسياح الاستمتاع بإطلالة بانورامية على المدينة مع تناول الإفطار في الهواء الطلق في شرفة الغرفة.**

● **هولندا: يسعى فندق كرين فارالدا في أمستردام إلى تلبية رغبات السياح من عشاق الفخامة والرقي؛ حيث ينعم السياح بإطلالة رائعة على المدينة والميناء والرافعات المعدلة، والفندق نفسه عبارة عن رافعة ميناء يبلغ ارتفاعها 50 مترا، ويحتوي على ثلاثة أجنحة فندقية من طابقين على ارتفاع من 35 إلى 45 مترا، توفر للسياح إطلالة رائعة على مدينة أمستردام، كما يمكن الاستمتاع بنفس المشاهد عند الاستحمام في حمام جاكوزي الساخن على ارتفاع 50 مترا، ويمكن استئجار البهو البانورامي في المناسبات.**

● **أيرلندا: يمكن للسياح الاستمتاع بجمال المحمية الطبيعية كيلارني في أيرلندا من**

للسياح آراء

حوض أثري يستقطب السياح إلى دنيزلي التركية

❑ **دنيزلي (تركيا)** – يجذب حوض هيرابوليس الأثري، ذو المياه المعدنية الطبيعية، في ولاية دنيزلي غربي تركيا، الآلاف من السياح الباحثين عن العلاج سنويا بفضل حرارة مياهه الثابتة التي تبلغ 36 درجة كامل العام.

ويبلغ عمر الحوض الواقع في منطقة باموق قلعة، المدرجة في لائحة منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم "يونسكو" للتراث الثقافي، نحو ألفين و500 عام.

ويشهد الحوض إقبالا سياحيا كبيرا من داخل البلاد وخارجها، خلال أشهر الصيف على وجه الخصوص، حيث يتيح لزواره فرصة علاج فريدة بمياهه الطبيعية الدافئة، وسط الأعمدة والأحجار التاريخية الأثرية.

وتكوّن الحوض الأثري إثر زلزال ضرب المنطقة عام 692 م، حيث أدى إلى سقوط الأعمدة الأثرية وتجمع المياه الطبيعية وسطه.

ويصل عدد السياح اليومي في الحوض خلال أشهر الصيف، حوالي ألفين و500 سائح، بينما ينخفض العدد إلى نحو 400 سائح يوميا خلال فصل الشتاء، حيث يفضله السياح الروس بالدرجة الأولى، إلى جانب استضافته لعدد كبير من السياح من منطقة شرق آسيا.

كما تتضمن باموق قلعة الشهيرة بمنتجعات المياه العلاجية، منشآت المياه الطبيعية الحارة بمنطقة "قره هايت"، حيث تجذب الكثير من السياح خلال موسم السياحة الصيفي خصوصا. وتبلغ حرارة مياه "قره هايت" الغنية بالحديد حوالي 60 درجة مئوية، وتُعرف بـ"المياه الحمراء"، إذ تساهم بشكل أساسي في علاج أمراض الروماتيزم، وجهاز الدوران، والربو، والتهاب القصبات الهوائية، فضلا عن الأمراض الجلدية.

وقال غازي مراد شين، رئيس جمعية أصحاب ومشغلي الفنادق في دنيزلي، إن باموق قلعة تستقطب السياح من كافة أرجاء العالم، على مدار السنة. وأضاف أن مياه الحوض الأثري تساعد في علاج أمراض القلب والشرايين، والروماتيزم، والجلد، والشلل، والأمراض العصبية، وحسب ماهو شائع في المنطقة تعالج حتى أمراض المعدة والأمعاء لدى شربها.

وأكد أن منطقة باموق قلعة تجذب السياح الباحثين عن العلاج على مدار السنة، حيث أفاد بأن سعة فنادق المنطقة تمتلئ خلال الصيف على وجه الخصوص.

ولفت إلى أن منتجع المياه الحارة في قره هايت أيضا يشهد إقبالا كبيرا من السياح، بالرغم من ارتفاع درجة حرارة الطقس بالمنطقة.

وأشار كاظم تالي، مدير أعمال في باموق قلعة، إلى ازدياد إقبال السياح على زيارة حوض هيرابوليس الأثري خلال أشهر الصيف، حيث يصل عدد زواره إلى ألفين و500 سائح يوميا.

وأردف أن هذا الإقبال يجعلهم يشعرون بالسعادة، حيث يدخل السياح في حوض المياه الحارة دون إيلاء أي أهمية لحرارة الطقس المرتفعة.

حرارة المياه تلطف حرارة الطقس

■ **أليكسي أناتولي (سائح روسي):** "الدخول في الحوض الحار خلال شهر الصيف، أمر غير طبيعي إلا أنه ممتع للغاية".

■ **فيكتوريا غالينا (سائحة روسية):** "جئت إلى باموق قلعة بناء على نصيحة صديقتي.. إن الدخول في المياه الحارة بالرغم من الطقس الحار لم يزعجني إطلاقا، إنه مكان رائع إلى أبعد الحدود".

■ **آنا أناستاسيا، (سائحة روسية):** "أزور باموق قلعة للمرة الثالثة، إنني شديدة الإعجاب بالمنطقة".

زوم على السياحة

● **انطلقت في مصر مبادرة للسياحة العلاجية تستهدف أفريقيا والدول العربية وتشمل تخصصات أمراض القلب والأورام والعظام والمفاصل والأطفال.**

وذكر الدكتور عبدالعاطي المناعي مدير إدارة السياحة الصحية بمجموعة العربي، أن المبادرة تتم تحت إشراف فريق طبي متكامل يبدأ مع المريض منذ لحظة وصوله المطار حيث يستقبله عضو بالفريق تمهيدا لاستقباله في المستشفى واختيار أفضل الأماكن المناسبة لإقامته، ومساعدته في اتخاذ قرارات العلاج، وتنظيم زيارات لأماكن سياحية تزامنا مع فترة العلاج، وحتى إعادته مرة أخرى إلى المطار.

● **أعلن المركز الإقليمي لحفظ التراث الثقافي في الوطن العربي عن استعداده لتأهيل وترميم المتاحف السودانية بمنحة تقدر بمليون و326 ألف دولار.**

وأكد محمد أبوزيد مصطفى، وزير السياحة والآثار والحياة البرية السوداني، سعي بلاده الجاد إلى إنفاذ خططها وبرامجها الهادفة إلى تطوير قطاع الآثار وحماية التراث، وإبراز حضارة البلاد.

● **بحث أحمد بن ناصر المحرزي، وزير السياحة العماني، مع سوريش برابهو، وزير الصناعة والطيران المدني الهندي، سبل تعزيز التعاون السياحي بين البلدين.**

وقال الوزير العماني إن وزارة السياحة العمانية ستنظم الفترة المقبلة فعاليات سياحية مختلفة في ثلاث مدن هندية هي: مومباي، ودلهي، وحيدر أباد، للتعريف بالفرص الاستثمارية في قطاع السياحة بالسلطنة.

هل تكون الآلة قادرة على حل المشكلات كالإنسان

غوغل تدرب أنظمة الذكاء الاصطناعي على التفكير في المفاهيم المجردة

تستمر النماذج القائمة على الشبكات العصبية في تحقيق نتائج مذهلة لحل مشكلات التعلّم الآلي، لكن إثبات قدرتها على التفكير في المفاهيم المجردة كما يفكر الإنسان، مازالت الأبحاث مستمرة لحل هذه المشكلات من خلال التدريب على اختبارات الذكاء.

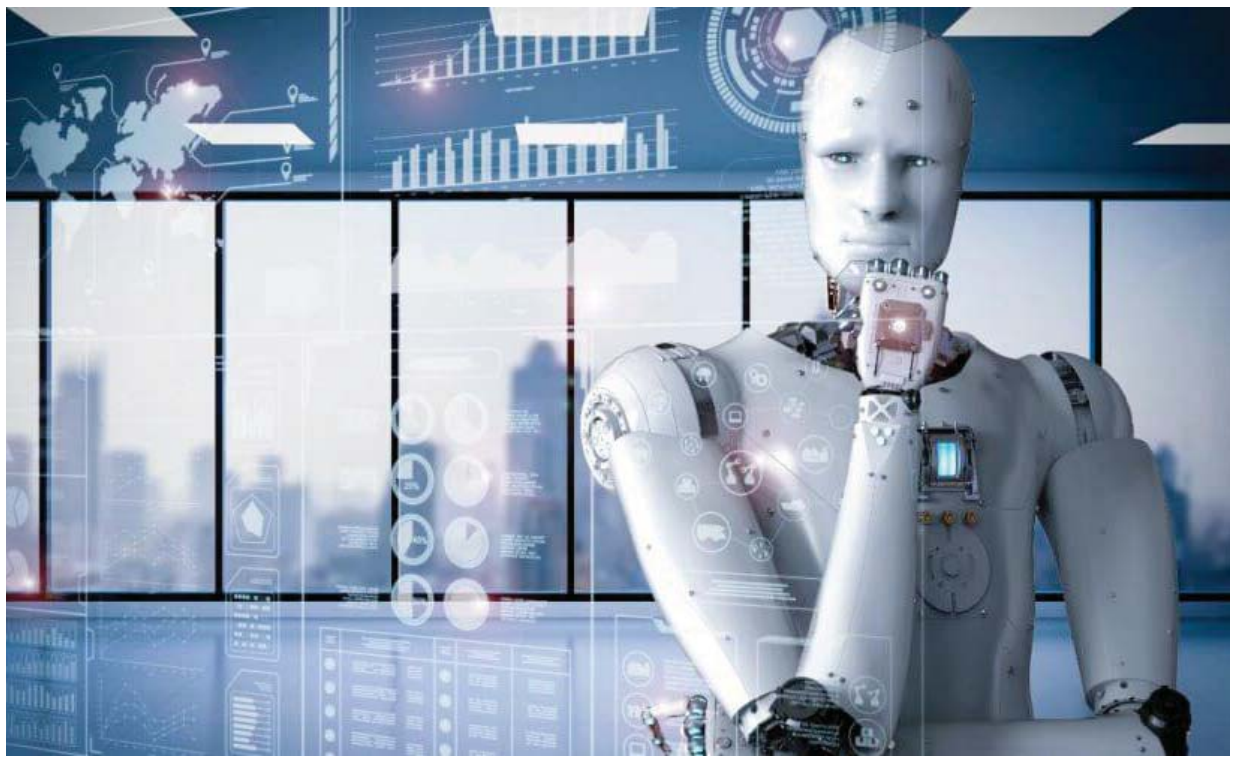

فهم.. تفكير.. ثم حل المشكل

❑ **كاليفورنيا** – يواصل باحثون في شركة غوغل تدريب أنظمة التعلم الآلي على اجتياز اختبارات الذكاء التي صممت لقياس عدد من المهارات من أجل إثبات قدرتها على التفكير في المفاهيم المجردة كما يفعل الإنسان.

ونشر باحثون ورقة بحثية تحمل عنوان "قياس الاستدلال المجرد في الشبكات العصبية"، توضح بالتفصيل محاولتهم لقياس قدرات التفكير التجريدي المختلفة لأنظمة الذكاء الاصطناعي اعتمادا على اختبارات الذكاء المستخدمة لقياس قدرات التفكير التجريدي عند البشر، والتي كشفت بعض الرؤى الهامة.

واستخدم باحثو ديب مايند الألغاز المعروفة باسم اختبار مصفوفات ريفن المتتابعة والتي طورها جون سي ريفن سنة 1936، حيث طلب من المشاركين في الاختبار أن يتعرّفوا على العنصر المفقود الذي يكمل النمط، وتظهر الكثير من الأنماط في أشكال مصفوفات، وقد قامت المصفوفات بقياس قدرة المشاركين على فهم المعنى من البيانات المعقدة أو المربكة.

ويأمل الباحثون في أن تطوير الذكاء الاصطناعي القادر على التفكير خارج الصندوق يمكن أن يؤدي إلى أن تصبح الآلات قادرة على خلق حلول جديدة للمشكلات التي لم يسبق أن فكر فيها البشر.

وتمكن الباحثون من تطوير نظام برمجي مصمم خصيصا لهذه المهمة وقادر على توليد مصفوفات فريدة لتطبيق هذا الاختبار على أنظمة الذكاء الاصطناعي، ثم درّبوا أنظمة الذكاء الاصطناعي على حل هذا الاختبار، وكانت النتيجة أن أنظمة الذكاء الاصطناعي حققت نسبة دقة تصل إلى 63 بالمئة في حل ألغاز اختبار معدل الذكاء.

> مع نظام شبكة الاستعلام التجريبية أصبحت الآلات الذكية قادرة على التحرك في المجال الذي تتخيله وفهم العلاقات المكانية

كما اختبروا قدرة الأنظمة على إدراك أنماط وعلاقات جديدة وتشكيل بنيات غير لفظية إلى حد كبير تجعل من السهل التعامل مع التعقيد. وقال ديفيد باريت من ديب مايند، "الاستدلال المجرد مهم في مجالات مثل الاكتشافات العلمية حيث نحتاج إلى فرض فرضيات جديدة ثم نستخدم هذه الفرضيات لحل المشكلات، ومن المهم ملاحظة أن الهدف من هذا العمل ليس تطوير شبكة عصبية يمكنها اجتياز اختبارات الذكاء فقط".

ويمكن للبشر الذين يجلسون في الاختبارات أن يعطوا أنفسهم دفعة من خلال الإعداد المكثف للاختبار مسبقا، ويتعلمون نوع القواعد المستخدمة في التحكم بالأنماط المستخدمة في المصفوفات، وهذا يعني بدلا من استخدام فكرة مجردة أنهم يستخدمون المعرفة التي تعلموها بدلا من ذلك.

بينما أنظمة الذكاء الاصطناعي التي تستخدم الشبكات العصبية المغذية بكميات هائلة من البيانات للتعلم، يمكن بسهولة أن تتعلم فقط لالتقاط هذه الأنماط دون الحاجة إلى استخدام التفكير المجرد.

لذلك اختبر الباحثون مجموعة من الشبكات العصبية القياسية على خاصية واحدة داخل مصفوفة ولكن ليس كل الخصائص الممكنة، ووجدوا أنهم يؤدون أداء سيئا للغاية حيث وصلت نسبة الدقة إلى 22 بالمئة فقط، ومع ذلك فإن الشبكة العصبية المصممة خصيصا والتي يمكن أن تستنتج العلاقات بين أجزاء مختلفة من اللغز سجلت أعلى دقة بنسبة 63 بالمئة.

بسبب تصميم الاختبارات، لم يكن من الممكن مقارنة هذه الدرجات مباشرة مع الناس لأن أنظمة الذكاء الاصطناعي لديها تدريب مسبق على كيفية الحل، ولكن وجد الباحثون أن المشاركين الذين لديهم الكثير من الخبرة في الاختبارات والذين يمكن مقارنتهم مع الآلات المدربة، يمكن أن يسجلوا نسبة دقة أكثر من 80 بالمئة، بينما غالبا ما يفشل القادمون الجدد للاختبارات في الإجابة على جميع الأسئلة.

ويشير هذا الاختبار إلى أن أنظمة الذكاء الاصطناعي القائمة حاليا لن تكون قادرة على حل مهمّات لم تدرب على حلها، وهذا يعني أنها تحتاج إلى المزيد من الوقت والمراقبة للوصول إلى ذلك. وتم الكشف في الأسابيع الأخيرة عن أن الذكاء الاصطناعي التابع لشركة غوغل يمكن أن يتعرف الآن على البيئة المحيطة به استنادا إلى صورة واحدة، من خلال تدريب الأنظمة على المهام البصرية والمعرفية باستخدام مجموعة بيانات كبيرة من الصور المشروحة التي ينتجها البشر، حيث قام النظام الذكي الذي تم تطويره كجزء من برنامج ديب مايند بتدريب نفسه على تصور أي مساحة في صورة ثابتة، والتي يطلق عليها اسم شبكة الاستعلام التجريبية، وهي إطار يتم من خلاله تعليم الأنظمة إدراك محيطها من خلال التدريب فقط على البيانات التي يتم الحصول عليها من أنفسهم أثناء تنقلهم في المكان، حيث يتعلم نظام شبكة الاستعلام التجريبية من خلال وضع ملاحظاته لفهم العالم من حوله. وللقيام بذلك يتعلم نظام شبكة الاستعلام التجريبية التعرّف على المشاهد وخاصياتها الهندسية دون وضع أي علامات بشرية على محتويات هذه المشاهد.

ويعطي نظام شبكة الاستعلام التجريبية الآلة "خيالا شبيها بالإنسان"، وهذا يسمح للخوارزمية بتوليد انطباعات ثلاثية الأبعاد للمسافات التي لم ترها على الإطلاق في الصور المسطحة ثنائية البعد.

وأعلن ديميس هاسابيس، الرئيس التنفيذي لشركة ديب مايند، عن الطفرة التي حققتها أنظمة الذكاء الاصطناعي، مع نظام شبكة الاستعلام التجريبية. وحاول الدكتور هاسابيس وفريقه تكرار الطريقة التي يتعرّف بها الدماغ البشري على بيئته المحيطة بمجرد النظر إليها، وهذا نهج مختلف تماما لمعظم المشاريع، حيث يقوم الباحثون بتسمية البيانات يدويا وإدخالها ببطء إلى أنظمة الذكاء الاصطناعي.

ولتدريب الشبكات العصبية التابعة لشركة ديب مايند قام الفريق بعرض صور ثابتة مأخوذة من وجهات نظر مختلفة على نفس المشهد على أنظمة الذكاء الاصطناعي. وباستخدام هذه الصور تمكنت الخوارزمية من تعليم نفسها كيفية التنبؤ بظهور شيء ما من وجهة نظر جديدة غير مضمنة بالصور، وسرعان ما تعلمت الأنظمة تصوّر صور ثلاثية الأبعاد كاملة للمشهد.

وبناء على ذلك أصبحت الآلات الذكية قادرة على التحرك في المجال الذي تتخيله، ولكن أثناء تحركها يجب أن تقوم الخوارزمية بعمل تنبؤات باستمرار حول مكان الأشياء التي تتم مشاهدتها في البداية في الصور وما تبدو عليه من منظور دائم التغير.

وقال الباحث علي إسلامي "لم يكن من الواضح على الإطلاق أن الشبكة العصبية يمكن أن تتعلم أبدا ابتكار صور بطريقة دقيقة ومضبوطة هكذا، ومع ذلك وجدنا أن الشبكات العميقة يمكن أن تتعلم عن المنظور العام والإغلاق والإضاءة، دون أي هندسة بشرية، وقد كانت هذه نتيجة مذهلة للغاية".

ولإنشاء هذه المشاهد الكاملة استخدم النظام مكونين، المكون الأول يعالج التمثيل ويقوم بعمل أكواد للمشهد ثلاثي الأبعاد في الصورة الساكنة وتحويله إلى شكل رياضي معقد، وهذا ما يُعرف باسم المتجه.

أما المكون الثاني فيُطلق عليه اسم "توليدي"، والذي يستخدم المكون الأول المتجهات لتخيل الأجزاء غير المضمنة في الصور الأصلية، وبناء عليه تصبح أنظمة الذكاء الاصطناعي قادرة على التأكد من العلاقات المكانية داخل المشهد، باستخدام البيانات التي تم جمعها من الصور الأولية.

كما يمكن لأنظمة الذكاء الاصطناعي المتطورة من غوغل أيضا التحكم بالأشياء داخل هذا الفضاء الافتراضي المتخيل من خلال تطبيق فهمها للعلاقات المكانية على السيناريو.

فوتونات سريعة تؤمن البيانات بدقة

❑ **لندن** – حل فريق بحثي في جامعة شفيلد لغزا كبيرا في الفيزياء الكمومية قد يساعد على توفير أمن تام لعملية نقل البيانات، إذ طور طريقة لتوليد نبضات ضوئية أحادية الفوتون سريعة جدا، وكل فوتون –أو كل جسيم ضوئي– يمثل جزءا واحدا من شفرة ثنائية (وهي اللغة الأساسية للحوسبة)؛ ولا يمكن اعتراض تلك الفوتونات دون تشويشها، ما سينبه المرسل إلى أن تبادل البيانات لا يجري بأمان.

وتتيح النبضات الأحادية الفوتون الوصول إلى التأمين التام، وفي حال استخدامها يُكشف أي متنصّت فوريا؛ لكن كان يصعب على العلماء توليدها بسرعة كافية لحمْل البيانات بهدف نقل كميات كبيرة منها. تجربة جديدة أجراها الباحثون اعتمدت على ظاهرة تُدعى "تأثير بورسيل" لتوليد الفوتونات بسرعة عالية. وتوضع بلورة نانوية اسمها "نقطة كمومية" في تجويف في بلورة أكبر (الرقاقة الشبه الموصلة)، ثم يسقط على النقطة الكمومية ضوء ليزري يجعلها تمتص طاقة، فتنبعث هذه الطاقة بعدئذ في صورة فوتون.

وبوضع البلورة النانوية في تجويف صغير جدا يصبح الضوء الليزري في انعكاس وارتداد متكرر داخل جدران التجويف، وهذا يسرّع توليد الفوتونات بسبب تأثير بورسيل، لكن المشكلة أن الفوتونات التي تحمل البيانات يمكن أن تتداخل مع الضوء الليزري فيحدث تشوش، لكن فريق البحث حل هذه المشكلة بتوجيه الفوتونات من التجويف إلى داخل الرقاقة، لفصْل كل نوع من النبضات عن الآخر. واستخدام الفوتونات في نقل البيانات يمكن من استغلال القوانين الفيزيائية الأساسية في ضمان الأمان.

تصوير ثلاثي الأبعاد لفهم داء الزهايمر

❑ **إنديانابوليس** – طور باحثون تقنية تصوير نانوي عالي الدقة يقدم عرضا ثلاثي الأبعاد لجزيئات الدماغ بتكبير يصل إلى 10 أضعاف. وقد تسهم هذه التقنية في فهم سير داء الزهايمر وتقدّمه وقد تساعد في اكتشاف علاجات جديدة له.

وساعدت تقنية التصوير باحثين من جامعة إنديانا لفهم بنية اللويحات التي تتشكّل في أدمغة مرضى الزهايمر، ما يتيح لهم دراسة أسباب المرض.

وقال فانغ هوانغ، أستاذ الهندسة الحيوية الطبية في جامعة بوردیو، "تصعب دراسة الدماغ على مستوى جزيئي بسبب اكتناز نسيجه بالمكونات الخلوية وخارج الخلوية التي تبعثر الضوء وتفقدنا مصدر المعلومات في المجهر الضوئي. ربما تستطيع تخيّل النسيج إلا أن رؤيته ستصبح غير واضحة".

ويعتمد المجهر النانوي فائق الدقة على عدسات بصرية تتكيف مع تغيُّر تبعثر الضوء وانحرافه الذي يحدث عندما يعبر الضوء خلال طبقات مختلفة من النسج فتتغيّر سرعة مروره.

ولحل مشكلة النسيج الدماغي، طور هوانغ تقنية جديدة تضبط المرايا في المجهر بناء على سماكة العيّنة لتحلّ مشكلة انحراف الضوء. وتحافظ التقنية على نسبة انحراف ضرورية لتنقل المعلومات البصرية اللازمة.

ويعيد المجهر النانوي تشكيل النسيج وخلاياه بدقّة أفضل بعشر مرات من المجاهر التقليدية، ما يمنحنا رؤية أفضل خلال أنسجة دماغية يبلغ سمكها 30 ميكرونا.

وبدأ الفريق يستخدم المجهر النانوي في مراقبة اللويحات النشوانية في أدمغة البشر ومتابعة تفاعلها مع الخلايا حولها وحتى تشكّلها في المقام الأول. وقال هوانغ "يمثل هذا التطور التقني انتصارا كبيرا، إذ أن التصوير فائق الدقة يُعد صعبا في الأنسجة. ونأمل أن تسهم هذه التقنية في حل مشكلات الأمراض مثل داء باركنسون والتصلّب وغيرهما".

أخبار التكنولوجيا

هاتف بلوك تشين من إتش تي سي

❑ أطلقت شركة إتش تي سي التايوانية هاتفها الجديد "إتش تي سي إكسيديس"، والذي يعد أول هاتف بلوك تشين في العالم، معلنة عن الحجز المبكر للهاتف بدءا من الربع الثالث من العام الجاري.

وتقول إتش تي سي إنها تعمل على ترجمة رؤيتها الرامية إلى توسيع منظومة البلوك تشين وذلك عبر الكشف عن أول هاتف ذكي في العالم مخصص لما يدعى بالتطبيقات اللامركزية مع الحفاظ على أعلى مستويات الأمان.

سونوس بحساب إلكتروني

❑ أشارت بوابة التقنيات "هايزه أونلاين" الألمانية إلى أنه يتعين على أصحاب الأنظمة الصوتية متعددة الغرف من سونوس إنشاء حساب إلكتروني لمواصلة استعمال الأنظمة الصوتية ولتثبيت التحديثات الجديدة.

وأصبح المستخدم مطالبا بالفعل بإنشاء حساب إلكتروني بعد تحديث تطبيق التحكم، ويسري ذلك على أصحاب الأجهزة الجوالة المزودة بنظام أبل "آي أو إس" أو أجهزة أندرويد. وأكدت شركة سونوس أن إنشاء الحساب الإلكتروني يعتبر بمثابة إجراء وقائي للنظام الصوتي الخاص بالمستخدم.

عجز في إصلاح توثيق الحسابات من تويتر

❑ أعلنت شركة تويتر أنها غير قادرة على إصلاح عملية توثيق الحسابات في الوقت الحالي، وهي العملية التي توفر علامة مرجعية زرقاء للحسابات العامة. ويأتي ذلك بالرغم من اعتراف تويتر المستمر بأنه يجب أن تتوفر عملية واضحة الخطوات وشفافة حول مسألة توثيق الحسابات والحصول على العلامة الزرقاء.

التوثيق يهدف بشكل أساسي إلى تأكيد صحة الحساب، وليس الإشارة إلى أي نوع من أنواع المصادقة، ولكن سهّل عدم وجود أي نظام محدد أو سبب واضح دمج الاثنين.

أبل تطلق بطاقة رسوميات خارجية

❑ أعلنت شركة أبل عن إطلاق بطاقة رسوميات خارجية جديدة بالتعاون مع شركة بلاك ماجيك، بالتزامن مع طرحها لجهاز اللاب توب ماك بوك برو الجديد.

وتعمل البطاقة على رفع كفاءة الرسوميات بجهاز ماك بوك برو 15 بوصة بمُعامل 2.8، كما تسرع من وتيرة عمل الموديل 13 بوصة بمعامل 8. وتأتي بطاقة الرسوميات "ريدون برو 580" بذاكرة وصول عشوائي 8 جيغا، وتتيح قدرة 85 وات إمكانية شحن جهاز ماك بوك برو 15 بوصة.

تمارين القوة واليوغا تقوي عضلات الرقبة والكتف

أصحاب العضلات القوية أقل عرضة لآلام الصداع والتوتر

ممارسة الرياضة، بشكل منتظم ومعتدل، تعمل على تدريب الجسم والعضلات على التحمل ومقاومة الأوجاع وتزيد من قدرتها على تفادي الإصابة، نتيجة اتخاذ بعض الوضعيات غير السليمة في الجلوس أو الوقوف أو خلال المشي أيضا.

❑ **كوبنهاغن** – كشفت دراسة دنماركية أن تمارين القوة واليوغا تقوي عضلات الرقبة والكتف وتخفف حدة الصداع والتوتر. ووجد الباحثون أن 26 بالمئة من الأشخاص الذين يعانون من التوتر وآلام الصداع، لديهم ضعف في عضلات الرقبة والكتف، وذلك بالمقارنة مع أولئك الذين يتمتعون بعضلات أكثر قوة.

وقال المؤلف الرئيسي للدراسة بيارني مادسن، أخصائي العلاج الطبيعي في مركز الصداع الدنماركي في جلوستروب، إنه من أجل علاج التوتر والصداع دون اللجوء إلى الأدوية، يجب فهم تأثير العضلات والهيكل العظمي على الإصابة بالصداع الناتج عن التوتر.

وقد وجدت دراسات سابقة أن الضعف العام للجسم ارتبط مع الإصابة بالصداع المرتبط بالتوتر.

وأوضح الباحثون أن الأشخاص الذين يعانون من الصداع الناتج عن التوتر قد يشعرون وكأن لديهم شريطا ضيقا حول رؤوسهم، وقد يشعرون بألم الصداع النصفي، الذي يضرب جانبا واحدا من الرأس، ويتسبب في زيادة ضربات القلب، مع شدة الألم وأحيانا الغثيان أو القيء والحساسية للضوء والصوت.

وأشار الدكتور مادسن إلى أن استخدام أجهزة الكمبيوتر العادية والمحمولة والأجهزة اللوحية زاد كثيرا في السنوات الأخيرة، وهذا قد يزيد من وقت الجلوس، الذي بدوره يسبب انحناء للرقبة ويضاعف الشعور بالوجع.

لذلك ينصح الأطباء بتقليل وقت الجلوس على الكمبيوتر والأجهزة الذكية الحديثة، وممارسة تمارين الرقبة لتقليل فرص الإصابة بالصداع الناتج عن التوتر.

وتمارين اليوغا والتمارين الرياضية المنتظمة والإيروبيك وممارسة التأمل وتمارين القوة تساعد كلها على التخفيف من الصداع. ويشار إلى أن الأشخاص الذين يعانون من الصداع غالبا لا يمارسون التمارين الرياضية الموصى بها وبالتالي فهم ذوو قدرة جسدية متدنية وقوة عضلات متدنية، وحتى أن مجال حركة المفاصل والعضلات لديهم محدود نسبيا.

يوصي مدربو اللياقة بإجراء التمارين الرياضية لمدة نصف ساعة على الأقل مع نبض لا يقل عن 65 بالمئة من الحد الأقصى (المحدد على أنه 220 ناقص العمر للرجال و226 ناقص العمر للنساء) لتحفيز الدماغ على إفراز الاندروفين الذي يبعث على الشعور الجيد والاسترخاء.

لكن مع ذلك يحذر الأخصائيون أن هناك قسما من الأشخاص الذين يعانون من الصداع من الممكن أن تزيد ممارستهم للتمارين الرياضية الشاقة من آلامهم، بشكل كبير، وتسبب لهم الغثيان والمزاج السيء.

في دراسة مثيرة للاهتمام، أجريت في معهد علم الأعصاب، علم وظائف الأعضاء والعلاج الفيزيائي في جامعة غوتنبرغ في السويد، تم اختبار موضوع تأثير التمارين الرياضية على الصداع ووجد الباحثون أنه بعد فترة التدريب قل عدد المرضى الذين يعانون من الصداع كما حدث انخفاض في كمية الأدوية التي قاموا باستهلاكها.

تمارين الكتفين

تعمل تمارين الكتفين على تقوية عضلاتهما، الأمر الذي يساعد في تقوية عضلات الرقبة ككل. ويتم إجراء هذا التمرين على النحو التالي:

- النظر إلى الأمام مع المحافظة على استقامة الرقبة بشكل قائم.
- رفع الكتفين معا لأعلى حدّ ممكن وبشكل بطيء.
- الثبات على هذه الوضعية لمدة خمس دقائق.
- خفض الكتفين إلى أدنى حدّ ممكن وبشكل بطيء.
- إرجاع الكتفين إلى الوضع الطبيعيّ مع الاسترخاء التام.

تمرين دوران الرأس

يتمّ من خلال الوقوف في وضع مستقيم وقائم، ثم القيام بتدوير الرأس بزاوية 360 درجة مع البدء من جهة اليمين، ثم تكرار هذه التمارين مع البدء من جهة اليسار، ولكن يفضّل القيام بذلك بعد أن

الرياضة تخفض درجة الألم

تتم تقوية الرقبة بتمرينات أخرى حتى لا يتعرّض المتدرّب للإصابة بتشنّجات عضلية في الرقبة.

تمارين الرقبة

- تمرين تمديد الرقبة يساعد في تقوية عضلات الرقبة والكتفين والجذع. وقد تسبّب ممارسة هذا التمرين في البداية بعض الآلام في الرقبة إلا أنّها تزول بعد الاعتياد على ممارسته. ويكون التمرين كالتالي:
- الوقوف في وضعية مستقيمة، ثم رفع الرقبة إلى أعلى مع الشد لأقصى حد ممكن باتجاه الأعلى.
- البقاء على هذه الوضعية لمدة خمس دقيقة كاملة.
- العودة إلى الوضع الطبيعي والاسترخاء لمدة خمس ثوانٍ.
- تكرار هذا التمرين عدّة مرات في اليوم على فترات متباعدة.

فوائد تمارين الرقبة تساعد في زيادة مجال الحركة للرقبة بحيث يصبح من الممكن لفّها إلى أقصى حدّ ممكن. وتساهم في تقوية عضلات الرقبة والكتفين والعمود الفقري. وتزيل الآلام والأوجاع التي قد تنتج عن الوضعيات الخاطئة. كما أنها تعطي الدعامة للرأس لأنها المنطقة التي يستند عليها.

جدير بالذكر أن دراسة فرنسية سابقة قد كشفت أن السيدات اللاتي يعانين من الصداع النصفي مصحوبا باضطرابات الرؤية التي تعرف بـ"الأورة" هن أكثر عرضة للإصابة بأزمات القلب من اللواتي يعانين من الصداع النصفي فقط. وأكدت الدراسة التي نشرت في الاجتماع السنوي الـ65 للأكاديمية الأميركية لعلم الأعصاب، أن الإصابة بالصداع النصفي مصحوبا باضطرابات الرؤية يزيد من مخاطر الإصابة بالأزمات القلبية.

ويحدد دكتور بيار جاكمار في كتابه "الشفاء باليوغا" عدة خطوات يجب اتباعها عند الشعور بآلام الصداع، ومن أهمها:

1 – الحصول على قسط وفير من الراحة، عن طريق تقليل الحركة والانعزال عن الضجيج، والجلوس في ظلام شبه كامل لفترة من الوقت.

2 – الأمتناع عن تناول المنبهات التي تسبب الاحتقان في الرأس مثل الشاي والقهوة مع العلم أن تأثيرهما هذا يتفاوت من شخص إلى آخر، فقد يكون تأثيرهما إيجابي بحسب طباع الشخص.

3 – وضع كمادات مبللة بالماء على الجبهة، أو نقع القدمين في ماء ممزوج ببودرة الخردل الأسود حيث تقوم هذه العلاجات بتسهيل جريان الدم وبالتالي تزيل الصداع.

4 – اتخاذ الوضعية السليمة أثناء النوم ليلا، فينصح بالنوم استلقاء على الظهر، ووضع الرأس على فراش قاس من دون وسادة، والساقان مرفوعتان قليلا.

> الأشخاص الذين يعانون من الصداع الناتج عن التوتر قد يشعرون وكأن لديهم شريطا ضيقا حول رؤوسهم يسبب لهم الألم

5 – قد يفضل بعض الأشخاص استخدام وسادة كبيرة أو أخرى عادية أو حتى مخدات صغيرة مصنوعة من رغوة المطاط "فوم"، والمهم أن تكون ذات شكل مناسب لتأمين الراحة للرقبة.

6 – حماية الرقبة من البرد بتوفير الغطاء الكافي.

7 – ممارسة اليوغا تساهم بشكل كبير في الوقاية من آلام الصداع، خاصة إن لم يكن سببه عضويا كأن يكون مرتبطا بمشكلة في النظر أو احتقان أو التهاب في الجيوب الأنفية أو بارتفاع في ضغط الدم، ولكن يتجنب ممارستها أثناء نوبة الألم، فهي وسيلة للوقاية وليست للعلاج.

ومن أهم تمارين اليوغا التي تساعد على التخلص من آلام الصداع:

- وضعية الانحناء وقوفا ومحاولة إطالة الجسم وتمطيطه قدر الإمكان. ويفيد هذا التمرين أكثر في الحالات التي يكون فيها الصداع وظيفيا مثل حالات الخلل في الجهاز العصبي والذي تتمثل أعراضه في التوتر الحاد والإسهال والاضطرابات الهضمية أو بعض حالات الاكتئاب الانفعالية.

تناول الأطعمة الدسمة هو السبب «الوحيد» وراء زيادة الوزن

❑ **لندن** – يشير بحث إلى أن تناول الكثير من الأطعمة الدسمة هو السبب الوحيد لزيادة الوزن، وليست المشكلة في الكربوهيدرات.

وذكرت صحيفة "ميل أونلاين" البريطانية أن العلماء أعربوا عن حيرتهم لسنوات عما إذا كانت الدهون أم البروتين أم الكربوهيدرات هي المسؤولة عن زيادة محيط الخصر.

ولكن التجارب التي "لا لبس فيها" على الفئران تشير إلى أن الدهون هي سبب المشكلة لترفع بهذا المسؤولية عن المتهمين المفترضين الشائعين لفترة طويلة مثل الكربوهيدرات والبروتين.

ووجد العلماء أن الفئران التي تناولت الأنظمة الغذائية الدسمة اكتسبت أغلب السعرات الحرارية نظرا لأن الدهون تحفز مراكز المكافأة في المخ.

وقاد الباحثون في جامعة أبردين والأكاديمية الصينية للعلوم دراسة تعد الأكبر من نوعها حول القوارض.

وقال البروفيسور جون سبيكمان الذي أشرف على الدراسة إن النتائج الجديدة تقدم "مفتاحا جيدا" في ما يتعلق بما قد تفعله الأنظمة الغذائية المختلفة للبشر.

وجرى إخضاع الفئران لـ30 نظاما غذائيا مختلفا على مدار فترة ثلاثة أشهر وهو ما يعادل تسع سنوات بالنسبة للبشر.

واختلفت كلها في محتواها من الدهون والكربوهيدرات والسكر والبروتين.

وقال سبيكمان "نتيجة هذه الدراسة الهائلة لا لبس فيها، والشيء الوحيد الذي جعل الفئران تصاب بالسمنة، هو تناول المزيد من الدهون في أنظمتها الغذائية".

وأضاف "يبدو أن آثار النظام الغذائي الدسم ناتجة عن أن الدهون الفريدة في النظام الغذائي حفزت مراكز المكافأة في المخ وحفزت تناول المزيد من الطعام".

أما الفئران التي تغذت على الأنظمة الغذائية المليئة بالكربوهيدرات، بما في ذلك 30 بالمئة من سعراتها الحرارية قادمة من السكر، لم تكسب أي وزن ملحوظ.

وكشفت الدراسة التي نشرت في دورية "سيل ميتابوليزم" أن مزج السكر مع الدهون لم يكن له أثر سوى تكوين دهون فقط.

كما سخر البروفيسور سبيكمان وزملاؤه من الاعتقاد الشائع بأن الأنظمة الغذائية منخفضة البروتين يمكنها أن تحفز على تناول قدر أكبر من الأطعمة.

وكشفوا أنه "لا يوجد دليل" على أن الأنظمة الغذائية القائمة على البروتين المنخفض، شجعت الفئران على تناول المزيد من الطعام.

> تناول عشاء غني بالبروتينات يحفز إفراز هرمون النمو الذي يعمل بدوره على صرف الطاقة وحرق دهون الجسم

وخلال الثمانينات والتسعينيات من القرن الماضي، كان من المقبول على نطاق واسع أن العامل الأكثر أهمية في زيادة الوزن هو محتوى الدهون في غذائنا.

غير أنه في مطلع القرن أشار العلماء إلى أن هذا التركيز على الدهون كان في غير محله، وأن العامل الرئيسي في السمنة هو الكربوهيدرات المكررة. وذكر الموقع الألماني دويتشه فيله، أن من بين كل المواد الغذائية الرئيسية تتمتع البروتينات بميزة خاصة، فهي مختلفة عن الكربوهيدرات النشوية وعن الدهون من حيث إنها لا تقوم بتغطية حاجة الإنسان من الطاقة بل تُستَخدَم لبناء جسم الإنسان، مثلا على شكل خلايا العضلات أو على شكل إنزيمات التمثيل الغذائي، ولذلك فإن البروتينات لا يتم تخزينها في الجسم على شكل دهون.

الدهون تحفز على تناول المزيد من الطعام

وللبروتينات عامل إيجابي آخر، فإذا تم الاستغناء مساء عن النشويات (الكربوهيدرات) مثل الخبز والرز والخبز والمكرونة، وإذا تم أكل وجبات غذائية مسائية محتوية على البروتينات وتناول عشاء غني بالبروتينات فإن ذلك كله يحفز إفراز هرمون النمو في جسم الإنسان، وهذا الهرمون بدوره يعمل على صرف الطاقة وحرق الدهون في الجسم وعلى جعل النوم هادئا وذلك خلال الليل بأكمله.

وبما أن وظيفة البروتينات هي أنها مادة بناء للجسم من أجل دعم بنية الجسد الذاتية، فإن البروتينات تخضع لعمليات تغيير وتعديل وهدم وبناء داخل الجسم، والطاقة المستهلكة في هذه العمليات البيولوجية تُستَمد بشكل كبير من خلال حرق دهون الجسم.

كما أن 25 بالمئة من محتوى السعرات الحرارية المستمدة من البروتينات يتم استهلاكها وإطلاقها على شكل حرارة أثناء هذه العمليات الحيوية، وبذلك يتم إنقاص المخزون الإجمالي من سعرات الجسم الحرارية.

وبالإضافة إلى ذلك فإن البروتينات تعمل على إشباع الجسم. فعند تناول البروتينات يتم إفراز هرمون اسمه "ببتديد واي واي"، وهذا الهرمون له تأثير مسكّن للجوع.

رفض الوصاية يتحول إلى خصام بين الشباب والمؤسسات الثقافية

تمرد المثقفين الشباب على الفعاليات الحكومية يكشف فشل المسؤولين في مواكبة العصر

ميل إلى العزف البعيد عن الثقافة السائدة

ثورة ثقافية تتفاعل مع نبض الشارع

تتسع الفجوة الثقافية كل يوم بين الشباب العربي ومؤسساته الرسمية. وتعيش بعض الجهات أزمة في إمكانية جذبهم إليها، في ظل إقبالهم على الفعاليات غير الحكومية، وهو ما يشي بتمرد ضمني، ويحمل رسالة تحذير بشأن ضرورة الانتباه لهذه الشريحة والإصلاح السريع، قبل أن يستفحل الانسحاب، وتتلاشى الثقافة الرسمية بكل ما تحمله من أهداف سياسية متنوعة.

مصطفى عبيد
كاتب مصري

❑ **القاهرة** – أضحى تمرد جيل الشباب على كل ما هو رسمي سمة تصاحب المؤسسات الحكومية المعنية بجذبهم واستيعابهم بشتى الطرق. وشكلت الجهات الثقافية الرسمية في مصر إحداها، بعد أن فشلت في خلق جيل جديد يُقبل بكثافة على التجاوب مع أنشطتها.

وتمرُد الشباب على المناسبات الثقافية الحكومية، بات ظاهرة ملحوظة. فقد فرغت الندوات من الحضور الشبابي في وقت تمتلئ فيه أخرى خاصة بهم.

وامتنع الشباب عن شراء الكتب الصادرة عن الجهات والمؤسسات التابعة لوزارة الثقافة في مصر. واتسع التمرد ليشمل الهجوم على الأجيال السابقة التي احتكرت اجتماعات ومؤتمرات وفعاليات الدولة وشكلت النخبة وحدها.

وهناك من فسر الخصام بين الحكومة والشباب، بأنه يتعلق برفض التلقين، بينما هناك من أرجعه إلى عجز أوعية المؤسسات الرسمية عن احتواء الشباب.

وذكرت مسؤولة في وزارة الثقافة المصرية (رفضت ذكر اسمها) لـ"العرب"، واقعة ذات دلالة بالغة، فقد جرى الإعداد لندوات لجذب الشباب في أثناء معرض القاهرة الدولي للكتاب الأخير.

ووضعت الوزارة أجندة تفصيلية، تنوعت عناوينها بين الإبداع الشعبي، والسرد الحديث، والتطرف والتعصب، وأعلن عنها قبل شهر عبر صفحات الشباب والثقافة على مواقع وسائل التواصل الاجتماعي، وفوجئوا باستجابة ضعيفة جدا، انتهت إلى أن الحضور في كل ندوة لم يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة.

ووصل الأمر بالمسؤولة في النهاية إلى دعوة أصدقائها ومعارفها لتعويض غياب المثقفين الشباب وغيرهم، فكان الحوار بين ضيوف المنصة والقاعة شبه صامت.

إحجام وإقبال

يحتشد الشباب بأعداد غفيرة في ندوات غير رسمية، تقام على بعض مقاهي القاهرة الشعبية، وفي أروقة مكتبات خاصة. ويشاركون بإيجابية في ندوات ثقافية تنظمها بعض الأحزاب السياسية، مثل حزب التجمع الاشتراكي.

وفي إحدى المكتبات الخاصة بوسط القاهرة، وفي حفلة توقيع للشاب عمرو الجندي الكاتب المتخصص في أدب الرعب، وقف شباب وفتيات في طابور طويل للدخول إلى قاعة الحفل للحصول على توقيع الكاتب.

وما يجري في الندوات الرسمية يحدث بشكل أوضح مع إصدارات المؤسسات العامة من كتب وروايات ودواوين شعرية.

وقد شكت سهير المصادفة رئيس إدارة النشر بالهيئة العامة للكتاب في مصر من إحجام الشباب على شراء كتب الهيئة رغم أنها بثمن زهيد، وينصرفوا إلى إصدارات دور النشر الخاصة.

وأصبح تراكم المخزون مشكلة كبيرة في المكتبات العامة، نتيجة ضعف الإقبال لوجود قناعة لدى المشترين، بعدم ملاءمة إصدارات الجهات الحكومية مع أذواقهم في القراءة، بينما تجد كتبا صادرة عن دور نشر خاصة رواجا وتحقق طبعات عديدة.

ويرى مثقفون شباب أن المؤسسات الرسمية تقليدية، ولا تواكب التطورات الفكرية للأجيال. ويتقمص القائمون عليها دور الواعظ والمرشد والموجه، وهو مرفوض من جيل تتملكه رغبة متواصلة لكسر المألوف وتجاوز التابوهات.

ويعتقد هؤلاء أن التكرار الممل لثيمات ثابتة من الفعاليات الثقافية التي لا تتبنى قضايا مرتبطة بواقعهم المعيشي، يجعل القطيعة حتمية مع المؤسسات الرسمية، بدءا من وزارة الثقافة وفروعها المتغلغلة في المدن والقرى، وحتى إصدارات الكتب الفكرية والأدبية العامة. وتبدو مقاطعة الثقافة الرسمية ومؤسساتها رد فعل طبيعيا تجاه رؤية الشباب، بأن المسؤولين يتبنون سياسة التلقين والتوجيه في المجال الثقافي. يقول محمود حسن، شاب ثلاثيني، يحضر الكثير من حفلات توقيع الكتب لـ"العرب": "نحن في واد ومؤسسات الثقافة في واد آخر، كيف نعترف بالمؤسسات الحكومية وهي لا تعترف بنا؟ كل ما يطرح عن الحوار مع الشباب لا يتجاوز التصريحات الإعلامية ولأغراض سياسية".

رفض المؤسسات الرسمية والتمرد عليها سمتان عالميتان لدى معظم الشباب في أنحاء العالم، وهناك ظاهرة ناشئة تتمثل في مخاصمة كل ما هو رسمي

صراع أجيال

ويعيش قطاع كبير من الكتاب الشباب في صراع مع الأجيال السابقة التي ترى أنهم يقدمون مادة أدبية رديئة.

ويتهم الشباب تلك الأجيال باحتكار نشر الكتب والندوات الثقافية الرسمية، ما يزيد الفجوة ويبعدهم عن أي مناسبة ثقافية حكومية.

وكشف رحيل الكاتب أحمد خالد توفيق مؤخرا، مدى حب الشباب له وتعلقهم بكتاباته، بينما لم تر وزارة الثقافة أنه يستحق التكريم على مجمل إبداعاته التي تحولت إلى محل تقدير قطاع كبير من محبي القراءة.

ويعتز تجاهل المؤسسات بشيوع اعتقاد لدى فئات عديدة، بينها الشباب، أنه يتم استغلال الثقافة لتجميل وجه النظام السياسي وحشد المزيد من المؤيدين لتصوراته.

وأوضح الروائي أحمد القرملاوي، الفائز بجائزة الشيخ زايد للمؤلف الشاب عام 2018 عن روايته "أيام صيفية"، أن لكل جيل أذواقه الخاصة، ورموزه وكُتابه وأفكاره، مؤكدا لـ"العرب" أن الشباب يتتبع الغريب ولديه اهتمام بالمختلف، والمستحدث من أفكار وطروحات.

ورأى أن تحميل المؤسسات الرسمية وحدها نتاج ذلك "أمر غير عادل في ظل وجود الكثير من المبادرات الحكومية الجيدة لاكتشاف ودعم إبداعات الشباب".

وسعت مؤسسات رسمية لجذب الشباب وتخصيص إصدارات بعينها لهم، وتنظيم مسابقات إبداعية للأعمال الأولى لمن هم دون الثلاثين عاما، ووضع عناوين لافتة عن التطور ومواكبة العصر لكثير من الندوات الثقافية، مع ذلك لا يزال حجم التجاوب محدودا للغاية.

وقال الباحث جمال أبوالحسن، إن رفض المؤسسات الرسمية والتمرد عليها سمة عالمية لدى معظم شباب العالم، وهناك ظاهرة ناشئة تتمثل في مخاصمة كل ما هو رسمي.

وأشار لـ"العرب"، إلى أن رواج مواقع التواصل الاجتماعي دفع الكثير من الشباب إلى أن يجد نوافذ جديدة مغايرة للمؤسسات الرسمية، في الثقافة والسياسة وغيرهما.

وتبدو فكرة التمرد لصيقة بالشباب، وتنامت خلال السنوات الماضية، ما دفع كثيرين إلى البحث عن كل ما هو غير تقليدي، ما يصعّب من عملية التكيف مع المؤسسات الرسمية.

ورفض عماد الغزالي رئيس تحرير جريدة "القاهرة" التي تصدر عن وزارة الثقافة، فكرة مخاصمة الشباب للفعاليات الرسمية، وقال لـ"العرب": "هذا طرح غير صحيح في مجمله ويحتاج إلى ضبط وتدقيق"، لافتا إلى أن معظم جمهور حفلات الأوبرا من فئة الشباب، والكثير من المشاركين في فعاليات المسرح التجريبي شباب، كما أن معرض القاهرة الدولي للكتاب، أحد أنشطة المؤسسات الرسمية، يحظى باهتمام جمهور أجيال مختلفة، في مقدمتها الشباب.

وأضاف "الطرح يصح في ما يخص إصدارات الكتب، وبعض الندوات الفكرية، والسبب عدم اهتمام الجهات الرسمية بالتسويق، وهو صعب لأنه يتطلب مخصصات مالية كبيرة، ومراجعات محاسبية، فضلا عن الحاجة لمتخصصين وفنيين يجيدون التسويق الإلكتروني الذي أصبح طريق نجومية عدد من الكتّاب".

وتلجأ دور النشر الخاصة لعمل حفلات توقيع لكتابها وتنشر إعلانات مدفوعة على إنستغرام وفيسبوك لدعوة أكبر عدد ممكن من الضيوف، ما أدى إلى صناعة نجوم كثيرين من الشباب.

واعترف رئيس تحرير جريدة القاهرة أن دور النشر الخاصة أنجح في صناعة النجوم، مشددا على أنهم يحترفون ذلك، كما أن الاستسهال الملائم لعصر التكنولوجيا، يجعل الشباب أقرب لكتاب معينين يجيدون لفت الأنظار ويحسنون التسويق، بغض النظر عن قيمتهم الأدبية.

ولا يختلف الأمر كثيرا في الجزائر، إذ وصل الشباب المتابعون للميدان الثقافي إلى يأس من برامج وزارة الثقافة التي تتمتع بميزانية ضخمة مقارنة مع ضعف التأثير وتعطل الحركة الثقافية، حين برزت مجموعة من المبادرات الشبابية بثت الحياة.

إعلان تقليدي

عند طرح سؤال عن الملتقيات والندوات التي تنظمها وترعاها وزارة الثقافة والأجهزة التابعة، على أي طالب جامعي أو كاتب مبتدئ أو مواطن مهتمٍّ بالثقافة –في صورها العامة– من الملاحظ أن هناك انفصالا كاملا بين هؤلاء المثقفين وبين تلك النشاطات.

ويقول المتابعون للشأن الثقافي الجزائري إن وزارة الثقافة مازالت تعتمد الطرق التقليدية في الإعلان عن برامجها ومشاريعها، وذلك بنشر الملصقات الإعلانية (ملصقات ورقية) في أماكن محدودة، وهذا يكشف مدى الفجوة بين المسؤولين وبين تكنولوجيا الإعلام الحديثة وتقنيات التواصل مع الجمهور، فمثلا نجد الصفحة الرسمية للوزارة على فيسبوك لا تحظى إلا بعدد قليل من التفاعلات على منشوراتها، كما أن نشر الإعلانات على الموقع الإلكتروني لا يؤدي أي دور في الوصول الإعلامي.

لكن في مقابل الغياب الرسمي عن الفعل الثقافي؛ هناك ثورة ثقافية تتفاعل مع نبض الشارع وتلامس الإرادة الشبابية وتستجيب لمتطلّبات هذه الفئات، وتتمثل في عدة مبادرات أنجزها شباب من مختلف المناطق، دون أي دعم رسمي من قِبَل الوزارة، لا في بداياتها ولا حتى عند استمراريَّتها.

أحمد القرملاوي

> الشباب يتتبع الغريب ولديه اهتمام بالمختلف والمستحدث من أفكار وطروحات و تحميل المؤسسات الرسمية وحدها نتاج ذلك أمر غير عادل

وفي تونس يرى الكثير من الشباب أن الرؤية الثقافية الرسمية غير كفيلة بإصلاح القطاع. ويعتبر البعض أن النشاطات الثقافية بعيدا عن العاصمة ضعيفة، ويعود ذلك إلى سياسة قديمة، تقوم على حصر النشاط الثقافي والاقتصادي في مناطق معينة، دون غيرها، لذلك لا تمثل الشباب ولا تستقطبهم.

وأعربوا أن الوضع الراهن بحاجة إلى ثورة ثقافية حقيقية قادرة على تحقيق التمييز الإيجابي والارتقاء وإيلاء الاهتمام لقضايا الشباب وتمثيلهم، لا سيما أن الجيل الحالي لا يعتبر أن هناك التقاء بينه وبين ما يتم تقديمه في المؤسسات الثقافية الرسمية، التي تعتمد في غالبيتها على رؤى الجيل الأكبر سنا، فيتجه الشباب إلى ملتقيات ومنتديات حرة تعبر عنه.

كما أن المهرجانات الثقافية اليوم أضحت دون إشعاع أو قيمة تذكر بسبب السياسات العشوائية.

ويرى البعض أن انتشار المهرجات الغنائية الصيفية في مختلف أنحاء البلاد، لا يعتبر حدثا ثقافيا، يلبي اهتمامات الشباب وطموحهم لحياة ثقافية غنية، بقدر ما هي أنشطة ترفيهية لا تتعلق بشريحة معينة. وأضافوا أن المبادرات والفعاليات المستقلة التي يقومون بها أكثر تمثيلا لقضاياهم.

القوانين عاجزة عن حماية النساء من الإهانات الذكورية

العنف المعنوي لا يترك آثارا على جسد المرأة ولكنه يدمر نفسيتها

النســاء يقعن ضحايا لأشــكال مختلفة من العنف النفســي تفوق فــي ضررها العنف الجســدي، إلا أن المفهوم العام حول ماهية العنف النفســي مــازال ضبابيا في أغلب المجتمعــات العربية، كما لا تتخذ بشــأنه معظم الدول إجراءات قانونية صارمة تحد من انعكاساته الجسيمة على الضحايا وعلى المجتمع ككل.

يمينة حمدي
صحافية من تونس مقيمة في لندن

تتعرض الملايين من النســاء إلى التعنيف النفســي في وســطهن الاجتماعي والأسري، إلا أن هذا الشــكل من العنف ليس من السهل على الضحايا إثباتــه، في ظل غياب الكدمات الجسدية التي تشكل دليلا ماديا يدين الجناة وينصف الضحايا.

ويمثــل التحقيــر والســخرية والإهانــة والتحرش والشــتائم من أكثر أنــواع العنف النفســي شــيوعا، وإن كانــت لا تتــرك آثارا واضحــة على جســد المــرأة، إلا أنها تخلف أضــرارا نفســية طويلــة الأمد مــن الصعب الشفاء منها.

وتكمــن المشــكلة بالنســبة لبعــض المجتمعــات في الاعتقاد الشــائع بأن تأديب المرأة وتعنيفها أمر طبيعي، وحتى في الدول المتقدمــة يصنّف هذا النوع من الاعتداء على النساء على أنه مجرد حالات شاذة من العنف الأسري، ولا يمكن القياس عليها، لذلك لا تؤخذ ضدها أي تدابير قانونية رادعة، وقلما توجد إحصائيات بشــأنها، فضلا عن قلة الخدمات المقدمة للمعنفات نفسيا.

وتشــير منظمــة الأمــم المتحــدة إلى أن ســبب المشــكلة هو التمييــز الممنهج الذي يمارس ضد المرأة قانونيا وعمليا واستمرار نهج اللامســاواة بين الجنســين فــي معظم المجتمعــات، وأن من بين آثارها إعاقة التقدم في مجــالات عــدة مثل القضــاء علــى الفقر ومكافحة الأمراض المزمنة والسلام والأمن.

الصحبي بن منصور: تعيش المرأة العربية على وتيرة واسعة وعلى إيقاع شبه يومي للعنف النفسي

أماني عبدالرحمن العجلان: جزء من العنف الذي تواجهه المرأة هي نفسها مسؤولة عنه بسبب التزامها الصمت

ورغــم الجوانــب الســلبية الناجمة عما تتعــرض لــه المــرأة مــن عنف نفســي، فإن البعض ممن تحدثــت إليهم "العرب" يرى أن الشــتائم أو الإهانات التي تقــع بين الأزواج أمر طبيعي، ولا تستحق رفع دعاوى قضائية بشــأنها، وأنهــا مجــرد أحــد تجليــات لغة التحاور والمشــاكل التي تحــدث في حياتهم الخاصة.

ويقول آخرون إن الحذر في انتقاء الألفاظ أمر ضروري، لأن المرأة التي تتلقى الإســاءة اللفظيــة مــرارا وتكــرارا في حياتهــا، ليس كالرجل الذي يطلقها ضدها آلاف المرات، وهنا تكمن مشكلة العنف النفسي، فهذه الشتائم أو الإساءات اللفظية تتراكم مع الوقت وتتعاظم، وتســبب أعبــاء معنوية جســيمة للمرأة، ثم ينتهي الأمر بها إلى اختزان الألم في داخلها، ما يدفعهــا إلى ارتكاب أعمــال عنف خطيرة ضد معنفها أو الإقدام على الانتحار.

و"العــبء المعنــوي" هــو ذاك المصطلح الــذي أطلقه علماء النفــس ليصفوا به الجهد الــذي تبذله المرأة للتعامــل مع ما تتعرض له من أذى نفسي من أجل كبح انفعالاتها السلبية والظهور أمام العموم بخلاف ما تشعر.

ولا يقتصــر العنف النفســي على عبارات مسيئة يتلفظ بها البعض، إنما يتجسد أيضا في شــكل ســلوكيات قد لا يعتبرها الكثيرون عنفا، وربما لا يطرأ على بالهم أنها كذلك.

وتواجه المرأة فــي المجتمعات الذكورية انتهــاكات جماعية وفردية تنكل بها نفســيا، كالتزويــج فــي ســن مبكــرة، وحرمانهــا من الميــراث وإجبارهــا على الخضــوع لفحص العذريــة، وإخضاعها للختــان وحرمانها من الدراسة والعمل.

كسر حاجز الصمت

ترى المستشــارة النفسية السعودية نوف شــفلوت أن العنــف النفســي الــذي تتعرض لــه المــرأة متعــدد الأشــكال ومســكوت عنه اجتماعيــا، محــذرة مــن وقع هــذا النوع من العنف على نفسيتها.

وأكدت شــفلوت فــي حديثهــا لـ"العرب" أن المعاملــة السيئة والاعتــداءات اللفظيــة والإهانــات والسلوكات البغيضــة الناجمة عن الحســد والغيرة، يمكــن أن تخلف للمرأة صدمــات نفســية مثــل القلــق والاكتئــاب المزمــن واضطرابات ما بعــد الصدمة، وهذه الاضطرابات ليس من الســهل علاجها وإعادة التأهيل النفسي لكل من تعرض لها.

وشددت شفلوت على أن التعامل العدواني مع المرأة محرم شــرعا ومنبــوذ عرفا ويجب تكاتــف الجهود لوضع حد له، داعية النســاء المعنفات إلــى عدم الصمت على حقهن وتتبع الجناة عدليــا، حتى يردعن كل من تســول له نفسه الاعتداء على أي امرأة مستقبلا.

ومــع أن معظم الــدول العربية ســنت في السنوات الأخيرة قوانين تجرم مختلف أشكال العنف ضد المرأة، إلا أن هذه القوانين مازالت عاجزة عن توفير الحماية اللازمة للنســاء من هذا الشــكل الخفي للعنف والممارس ضدهن على نطاق واسع.

وأكد الدكتور الصحبي بن منصور، مؤرخ تونســي، أن أخطــر أنواع العنــف هو العنف النفسي لأن نقيضه وهو الجسدي لا يستغرق إلا فترة العلاج والنقاهة، بينما العنف النفسي له آثار دائمة، ومن الصعب معالجتها.

وقــال بــن منصــور لـ"العــرب" "تعيش المرأة العربية عامة على وتيرة واسعة وعلى إيقاع شــبه يومي للعنف النفســي، إما داخل الأسرة وإما في العمل والمجتمع. ويعود ذلك إلى أســباب كثيرة منهــا أولا اعتبارها كائنا ضعيفا وتابعا للرجل، وهذه الصورة لا يمكن إنكارها، إلا أنه يقع في الغالب إخفاؤها باسم التحضــر والمعاصــرة، وتلك طبيعة ســلوك المجتمعات الذكورية".

واســتدرك "لكن ذلك لا ينفي وجود حالات تواطــؤ وصمــت مجتمعي تخــدم الرجل رغم ترســانة القوانيــن الحافظة لحقــوق المرأة ولكرامتها وحرمتها الجسدية".

وأضاف "لا يجب أن نغفل طبعا عن مصادر أخرى للعنف النفسي ضد المرأة، مثل التمييز على أساس جهوي أو فئوي أو أيديولوجي أو ثقافي أو اقتصــادي... إلى جانب أن حرمانها من مواطن شغل رغم توفر الكفاءة أو الشهادة العلمية، هو شــكل مــن أشــكال العنف الذي يربك الحالة النفسية للمرأة وتكون له عواقب وخيمة ليس على جسدها فحسب وإنما أيضا على محيطها العائلي".

وأوضح "ما ينبغــي التأكيد عليه في هذا الصــدد هو أن أخطر مصادر العنف النفســي المســلط على المرأة هو المتمثل في ابتزازها والضغط عليها في مراكز العمل، أي التحرّش الجنســي بهــا، إلى جانــب محاولــة تلويث شــرفها عــن طريق نســج الإشــاعات وحبك المكائد المغرضة للنيل من سمعتها إما حسدا وإما انتقاما".

وتابع "الدين الإســلامي انتبــه إلى هذه الآفة فاتخذ ضدها حزمة من الإجراءات العامة والخاصــة، منها ضرورة تجنب ســوء الظن والنهي عن النميمــة والفتنة والتحلي بروح التبين من الخبر الذي يصل من فاســق، حتى لا يصــاب قوم بجهالة فيصبــح المنجر وراء الخبر الكاذب نادما، ولنا في السيرة النبوية خير مثال على العنف النفســي الذي تتعرض

الأعباء النفسية تحرق فؤاد الضحية

لــه المرأة وتتوســع دائــرة أذاه إلى زوجها ووالدها وبقية عشيرتها وأفراد مجتمعها".

وعلــل رأيه قائلا "أقصد حادثة الإفك التي اســتهدفت أم المؤمنيــن عائشــة رضي الله عنها، والتي برأها الله منها في ســورة كاملة بالقرآن الكريم، ولهــذا كان عقاب من يمارس العنف النفســي ضد المرأة تطبيق حدّ القذف عليه، مما يســلبه حقوقه المدنية مثل سقوط شهادته".

وواصل "للأســف ســاءت أخــلاق الناس وصار العنف النفســي مسلطا وبشكل يومي علــى المرأة ســواء مــن خــلال امتهانها في ومضــات الإعلانــات أو مــن خــلال انتهاك خصوصياتهــا، خاصة في مواقــع التواصل الاجتماعــي التــي لا تحكمهــا أي ضوابــط أخلاقية. فكم من صديق أو صديقة ينشر لهذه الفتاة أو المرأة صورا في أجواء فرحة عائلية أو بين أصدقــاء أو بملابس نوم أو حتى في حمام عمومــي... بهدف تشــويه صورتها أو سمعتها والدافع إلى هذا هو بلا شك الانتقام أو الحسد".

ودعــا بن منصــور إلى ضــرورة مقاومة ظاهرة العنف النفســي ضد المرأة عن طريق تكريس الوعي بأهمية الأخلاق والمبادئ التي حــث عليها الله تعالى في القــرآن، بالإضافة إلــى إيجاد أرضية تشــريعية مفصلة ودقيقة تتصــدى لهــذا الصنف مــن العنــف وتتخذ إجراءات ردعية لقمع كل من يحاول المس من حرمة المرأة وشرفها.

صدى أصوات الضحايا

لا توجــد إحصائيــات دقيقــة حول حجم الظاهــرة فــي أغلــب البلــدان، إلا أن صدى أصــوات ضحايا العنــف وصل إلــى مواقع التواصــل الاجتماعي، ومؤخرا انتشــر على تويتــر هاشــتاغ #أنقذو__المعنفة__إيما__ الزهراني، تضامن فيه العشرات من المغردين مع امرأة ســعودية تعرضت للعنف الجسدي واللفظي على يد والدها.

وقالت المغردة عنــود التميمي "لا يوجد مكان في العالم تخــاف فيه المرأة من النظام والقانون أكثر من خوفها من المُعنف".

فيمــا تعاطفــت مغــردة مع إيمــا بقولها "بالأمــس تقــف إيما مــع ضحايــا التعنيف واليوم هــي الضحية وكذلك قــد نكون نحن، مادام القانون متخاذلا ويعطي للذكور السلطة فهذا الشيء لن ينتهي ولن يتوقف، الموضوع صعب جدا بســبب المماطلة في حل مأســاة النساء مع التعنيف وبلاغ التغيب الكيدي".

وغــرد عبدالله بن ســعد آل معيوف قائلا "لا تــزال وزارة العمــل تقــف شــبه مشــلولة في معالجــة قضايا التعنيف! هــذا التعاطي الضعيــف مــع هــذه المشــكلة المجتمعيــة العميقة سيفاقم المشــكلة، ولن يحدث الردع لأصحــاب القلــوب المريضة، يجــب معالجة الخلــل أولا عند الجهات المعنيــة بالتعنيف قبل معالجة مشكلة التعنيف ذاتها".

ورغم أن الســلطات الســعودية أقرت في عــام 2013 قانونــا يمنع كافة أشــكال العنف الجنســي والبدني سواء داخل المنزل أو في مــكان العمل، إلا أن ذلك لــم يحل دون ارتفاع حالات العنف ضد المرأة.

ومع وصول الأمير محمد بن ســلمان إلى منصب ولي العهد، شــهدت الســعودية خلال الســنوات القليلة الماضية قرارات ثورية في مجال حقوق المرأة.

لكن يبدو أن الحلول لا تكمن فقط في ســن المزيــد من القوانين، بــل في وضع حد لنظام الوصاية الــذي لا يزال يمثل عائقا كبيرا أمام تطبيق القانون.

وكانــت الدكتــورة مهــا المنيــف، مديرة برنامــج الأمــان الأســري، قــد أكــدت فــي تصريحات ســابقة لها أن معــدل العنف ضد المرأة في الســعودية متوســط مقارنة ببقية الدول العربية، قائلة "نســبة تعــرض المرأة الســعودية للعنف تقدر بـ40 بالمئة وتنحصر بيــن العنــف الجســدي والســلطة والتحكم والعنف الاقتصادي والعنف النفسي"، ودعت المنيف إلــى إلغاء نظام الوصايــة، باعتباره السبب الرئيسي للعنف ضد المرأة.

وانتقدت منظمات معنية بحقوق الإنســان بشــدة نظام الوصاية، الذي يعطي الولي حق التدخــل في كامــل تفاصيل حيــاة المرأة، ما يجعــل الكثيرات عاجزات عــن اتخاذ قرارات مصيريــة بأنفســهن، وبســبب هــذا النظام تتعــرض العديد من النســاء للإيذاء وللعنف، ويجبرن على تســليم رواتبهن إلى الأوصياء الذكور، أو يمنعن من الــزواج أو يرغمن على الزواج بمن لا يرغبن فيه.

وترى الأخصائية الاجتماعية الســعودية أمانــي عبدالرحمــن العجــلان أن المواقــف الاجتماعية في الســعودية مختلفة في طريقة التعاطــي مع النســاء، بــل ومنقســمة حول مجموعة من القضايا المتعلقة بحقوق المرأة. وهــذا ليس انقســاما في صفــوف المجتمع، بقــدر ما هو تباين في الــرؤى من منطقة إلى أخرى، وحتى من قبيلة إلى أخرى.

وقالت العجلان لـ"العرب" "العنف المادي والنفســي ضــد المــرأة ظاهرة عالميــة، لكن بالنســبة للمجتمــع الســعودي، فالأمر ليس مســتفحلا إلى درجة كبيرة، فقــد اطلعت منذ سنوات على دراسة تؤكد أن نسبة العنف ضد المرأة الســعودية هي دون متوســط المؤشر العالمي، وهذا راجع إلى أن الأغلبية العظمى فــي المجتمع الســعودي تعامل المــرأة بناء على ما جاء في القرآن والسنة وتعتبر نفسها مستوصية بالنساء خيرا".

وأضافــت "أود أن أشــير إلــى أن العنف ضد المرأة يختلف حسب المناطق، فمثلا في بعض المناطق السعودية مكانة المرأة عالية جــدا وحقوقها وكرامتها مصانة، وفي مناطق أخــرى العكــس تماما، فقــد تكــون حقوقها منتهكة ووضعها النفســي مدمرا، وكذلك مثل هذا الأمر قد يختلف مــن قبيلة إلى أخرى من نفــس المنطقة، فمثلا في قبيلــة معينة ينظر إلى المرأة على أنها عار ويحرمونها حتى من الميراث، لكن أحيانا في القبيلة المجاورة لها يتنادى الناس بأسماء أمهاتهم أو أخواتهم".

وأوضحت "النســاء في بعــض المناطق يتعرضن للظلم ويحرمن من أبســط حقوقهن لأســباب تتعلق بالفهــم الخاطئ والمتشــدد للديــن، في حين تعامل المرأة بشــكل عام في أغلب مناطق السعودية بكل تبجيل واحترام".

وتابعت "أكبــر المظالم التي تعرضت لها المرأة السعودية بالسابق هي النظرة السلبية لعملها في المجال الصحي التي سادت بسبب الفكر الصحوي خلال الثمانينات، إذ كان عمل المــرأة كطبيبة أو ممرضة يعتبر عيبا كبيرا، وتحرم بســببه من الزواج، رغم أن كلية الطب كانت مفتوحة للفتيات منذ السبعينات".

وشــددت علــى أن سلســلة الأنظمــة في السعودية ما قبل 15 عاما كانت قاصرة وغير داعمة لحقوق المرأة، وهو ما يجعل الكثيرات لا يتقدمــن بشــكاوى ضد المعنِّــف ويلتزمن الصمت، لأنهن يدركن تماما أن القانون كان لا يقف في صفهن، وتكمن المشكلة الأكبر في أنه من الصعب على المرأة أن تقاضي والدها أو شــقيقها، احتراما للأعراف الاجتماعية، مما يجعلها تتحمل أحيانا أكثر من طاقتها بسبب مــا تتعرض لــه من حيف أســري واجتماعي مضاعف.

واعتبــرت العجــلان أن جزءا مــن العنف المادي والنفســي الــذي تواجهــه المرأة قد تكون هي نفسها مسؤولة عنه بسبب التزامها الصمت إزاء ما تتعرض له من انتهاكات.

قصور في التشريعات

يــرى البعض مــن الخبراء أنــه ليس من الســهل القضاء علــى العنــف الممنهج ضد المــرأة، فــي ظل وجــود ثقافــة التمييز ضد الأنثى والنظرة الدونية لجنسها، علاوة على التواطــؤ المجتمعــي الذي يحصــن الجاني ويبقي المرأة رهينة لهذا العنف.

وأشــارت المحامية الســعودية أمل عمر إلى أن العنف النفســي يمكن أن يترك تبعات نفسية وصحية جسيمة على المرأة، مشابهة لتلك التي يتركها العنف الجسدي وربما أكثر بكثير.

وقالــت عمر لـ"العــرب" "تكمــن خطورة العنف في شــكليه المادي والنفسي في أنهما ينكلان بالمرأة وقد يصل الأمر إلى حد إزهاق روحهــا عمــدا، كمــا هو الشــأن فــي حالات جرائم (الشرف)، وذلك لأن بعض المجتمعات العربية تضمن في قوانينها تبريرات وأعذارا لجرائم الشرف من أجل تخفيف العقوبة على الجناة".

وأضافــت "هنــاك قصور في تشــريعات وقوانيــن البعض من الدول العربية، إذ يغلب عليها التمييز وعدم المساواة بين الجنسين، ما يجعــل المــرأة دائما في موقــع الضعف والرجل في موقع القــوة، ورغم أن تلك الدول قــد صادقت على اتفاقيــة القضاء على جميع أشــكال التمييــز ضد المرأة (ســيداو) إلا أن معظمها تتحفظ على بعض بنودها معلقة ذلك على عادات مجتمعها وخصوصيته وديانته".

واعتبــرت عمــر أن القضــاء عاجــز عن تقديــر تعويــض الضرر النفســي، مؤكدة أن جبــر الضرر يقتصر في الغالــب على العنف الجســدي، في حين أن الضرر النفسي لصيق بالضرر الجسدي حتى وإن لم يتم إثبات ذلك من قبل الجهات المختصة.

ودعت عمر في خاتمة حديثها إلى إصدار قوانيــن وتشــريعات تصــون كرامــة المرأة وتحفظ حقوقها وتحميها من جميع أشــكال العنف، مشــددة علــى ضــرورة تمكينها في جميع المجالات أســوة بالرجل حتى لا تكون دائما في وضع الضعيفة فيتسلط عليها.

لماذا يصبغ الرجل شعره

التحسس من الشيب مسألة شخصية لها أسباب نفسية واجتماعية

يسعى الكثير من الرجال الذين تجاوزوا سن الشباب إلى صبغ شعورهم، ربما لرغبتهم في أن يكونوا أكثر وسامة وشبابا، فحينما يشعر الرجل أنه قد كبر في العمر والشعر الأبيض سوف يكشف عن عمره الحقيقي؛ يحاول إخفاءه ليبدو شابا أو أنيقا أو وسيما أو جذابا، فكل حالة لها أسبابها الخاصة.

أحمد مروان

❏ يقول مصطفى السيد (57 عاما) "أصبغ شعري لكي أبدو شابا، فزوجتي الثانية من جيل أبنائي ولا أريد أن أبدو عجوزا أمامها؛ فأنا أحاول أن أجدد شبابي ولا أجد ضررا في صبغ شعري ما دام القلب شابا. لقد تزوجت في العشرين من عمري بابنة عمي".

ويضيف "قبل سنتين تقريبا تزوجت للمرة الثانية بفتاة كانت تعمل معي عمرها 26 عاما، وهو ما جعلني ألجأ إلى إخفاء الشعر الأبيض. وبقدر ما يروق لزوجتي الثانية مظهري الأكثر شبابا، تنظر إليّ زوجتي الأولى باستخفاف، ولكني أتفهم غيرتهما".

وأفاد منير (60 عاما) "لا أظن أن أحدا على وجه الأرض يستسلم لكبر السن عن رضا تام، ولأن الشعر الأبيض يدل على أن الشباب بدأ في الرحيل، فأنا أحاول أن أخفي معالم الكبر، وأشعر بالارتياح النفسي وأني عدت شابا؛ فالبنات يهربن من الرجل الذي يغزو الشيب شعره، ويُفضلن الشاب الأنيق الذي يحافظ على مظهره".

وتابع "لا أخفيكم سرا إذا ذكرت أن زوجتي تنزعج جدا لأنني أصبغ شعري، وكأنها تريدني أن أبدو مسنا، وكانت دائما تتخلص من علبة الصبغة؛ لذا أرحتها ولم أعد أصبغ في البيت وأصبحت أصبغ عند صالون الحلاقة، ولا أرى عيبا في هذا، ولست مدمنا صبغ شعري، لكنني ألجأ إلى الأمر بين الحين والآخر، ليس لأنني أخجل من الشيب بل حبا في الموضة، وقد بدأ الأمر معي قبل عامين، عندما أقنعني أصحابي بضرورة إخفاء الشعر الأبيض كي لا يؤثر ذلك في نفسيتي".

> من حق الرجل أن يصبغ شعره كما تفعل المرأة تماما لتبدو جميلة. يجب أن نحترم الرغبات الخصوصية ولا نعتبرها خروجا عن المألوف

وقال محمد المنسي (33 عاما) "أنا متزوج منذ عدة سنوات، وأب لثلاثة أبناء، وقد بدأ الشيب يشق طريقه إلى شعري، لكن الأمر لا يزال محتملا، وأعتقد أنني لو صبغت شعري فسيكون السبب مجاراة العصر والبحث عن الشكل اللائق، كما أن الشعر الداكن يعزز ثقة الرجل بنفسه. ومن المحتمل أن أستشير أصدقائي وزوجتي في أمر الصبغة، لكن القرار النهائي يعود لي وحدي".

وأضاف "ما دمت لن أستخدم ألوانا فاتحة ولن أتشبّه بالنساء فأين الخطأ؟ وأنا ضد صبغ الشعر بسبب العمر لأن الغاية منه غش الفتيات الصغيرات، أما إذا لجأ الرجل إلى الصبغة بعلم من زوجته التي تصغره سنا، فهذا يرجع لهما. وعلى العموم فإنّ مثل هذه الأمور قد تكون مقبولة في مجتمعات ومرفوضة في مجتمعات أخرى، ولا يمكن الجزم لأن التحسس من الشيب مسألة شخصية ولها أسباب نفسية واجتماعية".

ولمحمد الشاهد (37 عاما) رأي آخر حيث يقول "من جهتي لا أفكر يوما في إخفاء الشعر الأبيض، لأن الموضوع لا يعني لي شيئا ولا يسبب لي أي إزعاج، أكثر ما يهمني أن زوجتي راضية عن مظهري، وهي لا تهتم بالمظهر، بل على العكس تبدي إعجابها بي باستمرار، وهذا يمنحني الثقة والرضا عن النفس".

ويوضح قائلا "شخصيا أنا ضد الذين يخدعون الناس بالمظاهر الصناعية، كالصبغة والعدسات الملونة والعمليات التجميلية، فهذا شكل من أشكال الكذب الاجتماعي، وهو آفة في غاية البشاعة. إن تلوين الشعر ليس جذابا ولا يوحي بالمصداقية، ويعتبر وصمة عار على رأس صاحبه، وكذبة كبيرة لا يمكن أن يضحك بها إلا على عقول البنات المراهقات".

أين الخطأ

ويشير محمد سيف (45 عاما)، وهو أب لثلاثة أولاد، إلى أنه "من المستحيل أن أفكر في الصبغة، مع أن الشعر الأبيض ظاهر بوضوح، وذلك لأنني غير مقتنع بالأمر ولا بأيّ حال من الأحوال، الرجل عندما يتجاوز سنا معينة تصبح التجاعيد والشعيرات البيضاء جزءا من شخصيته ومكملة لها".

ويضيف "قد يكون من المقبول أن يقدم الرجل على صبغ شعره إذا كسا الشيب مساحات واسعة من رأسه، وهو لا يزال شابا في بداية الثلاثينات، هنا لا يوجد ضرر من الصبغة، لأنها لن تكون أداة للغش، أما أن يلجأ ابن الخمسين عاما مثلا إلى إخفاء الشعر الأبيض بقصد الزواج بفتاة صغيرة، أو للتغرير بالنساء، فهذا غير منطقي، لأن لون الشعر لا علاقة له بالشباب والحيوية، ثم إنه لا يستطيع أن يخدع أي امرأة طويلا، وحين تكتشف أمره، سوف يتحمّل وحده النتائج".

وصرحت نوال علي بأنه "قبل أيام ذهب زوجي إلى الحلاق وقص شعره، وعندما عاد إلى البيت نظر في المرآة وأخبرني أنه لن يلجأ في المرة المقبلة إلى القصة نفسها. وحين سألته عن السبب ذكر أن تخفيف الشعر إلى هذه الدرجة يظهر الشيب في رأسه وهو لا يريد أن يبدو كبيرا في السن".

وتابعت "من الضروري أن نعلم أنّ المرأة والرجل يكبران معا، ومع ذلك فإن الرجل يعتقد أن زوجته هي وحدها التي تكبر، بينما يظل هو شابا وهذا بسبب العقد النفسية التي تربى عليها، فزوجي عمره 40 عاما، أي في عز الشباب، لكنه يخشى بشدة من العمر".

كما أشارت إلى أن الرجال كلما كبروا في السن، كان هدفهم إغراء الصغيرات، بعكس المرأة التي تتطلع إلى الرجل الناضج متى تقدمت في السن، ويبقى الرجل الذي يغطي شعره الشيب يلفت الانتباه ويستحق الاحترام.

ومن جانبه يقول الدكتور عمر خليل أستاذ الصحة النفسية بجامعة عين شمس "يلجأ بعض الرجال أو معظمهم الآن إلى صبغ الشعر وإخفاء الشيب لعدة أسباب ترجع إلى تفاصيل حياتهم، وأعتقد أن هذا الأمر عادي جدا فلماذا نعتبره مشكلة أو ليس من حق الرجل أن يصبغ شعره؟ تلك مسألة شخصية ولا يحق أن نتدخل أو نتساءل عن سبب ذلك".

وأكد قائلا "أنا أشجع الرجل على أن يصبغ شعره كما تفعل المرأة تماما لتبدو جميلة وجذابة، فلماذا نحرم ذلك على الرجل؟ يجب أن نحترم الرغبات الخصوصية ولا نعتبرها خروجا عن المألوف؛ فاليوم يذهب الشباب إلى مراكز التجميل ليبدو مظهرهم ووجوههم وجسدهم في تناسق ورشاقة ووسامة".

طبق اليوم

المعكرونة بالسبانخ والروبيان

* **المكونات:**
- علبة معكرونة (لينغويني).
- كيلوغرام من الروبيان (القريدس) المقشر.
- 3 أكواب من أوراق السبانخ الصغيرة.
- 4 فصوص ثوم.
- ملعقتان كبيرتان من معجون الطماطم.
- كوب من الطماطم الكرزية المقطعة إلى أنصاف ونصف كوب من جبنة البارميزان المبشورة ناعما.
- ملعقة كبيرة من الزبدة ونصف كوب من الزيت النباتي.
- 6 أوراق من الحبق طازجة مفرومة.
- نصف ملعقة صغيرة من بهار الأوريغانو.
- نصف ملعقة صغيرة من الفلفل الأسود.
- بقدونس مفروم للزينة وملعقة كبيرة من عصير الليمون وملح.

* **طريقة الإعداد:**
- يوضع لتر ونصف لتر من الماء مع ملعقتين كبيرتين من الملح في إناء لسلق المعكرونة.
- عندما يغلي الماء توضع المعكرونة ثم تصفى عندما تنضج وتترك جانبا.
- في إناء آخر يسخن الزيت والزبدة، وتضاف إليهما فصوص الثوم. ويقلب المزيج قليلا على نار قوية ويضاف الروبيان.
- يقلب المزيج لدقيقتين ثم تضاف التوابل وملعقة كبيرة من الملح ومعجون الطماطم مع التقليب، ثم تضاف أوراق السبانخ والطماطم وعصير الليمون.
- تخلط المكونات وتضاف المعكرونة ثم الحبق وجبنة البارميزان، يقلب الكل لمدة دقيقتين على نار قوية.
- يوزع البقدونس المفروم في طبق التقديم على خليط المعكرونة والسبانخ والقريدس، والمزيد من جبنة البارميزان بحسب الرغبة.

موضة

أزياء فاخرة بلمسات هندسية

❏ استوحى المصمم إيلي صعب مجموعته الجديدة للخريف والشتاء المقبلين التي قدّمها مؤخرا ضمن فعاليات أسبوع باريس للموضة من مبنى لابيدرا الشهير الواقع في برشلونة الإسبانية، ويتميّز هذا المبنى، الذي شيّد في مطلع القرن الماضي وحمل توقيع المهندس المعماري أنطونيو غاودي، بواجهاته الحجرية المتموجة وشرفاته المصنوعة من الحديد المطاوع، وبتجسيده للعلاقة الحميمة بين الضوء والظل.

واستحضر صعب كل هذه العناصر ليزين بها أزياءه الفاخرة بلمسات هندسية أضفت عليها طابعا فنيا مبتكرا.

تضمّن عرض صعب الذي حمل عنوان "أضواء وظلال" 61 إطلالة وافتتح بمجموعة من الإطلالات السوداء تزيّنت بالتطريزات والمشغولات اليدوية الفاخرة، تلتها في القسم الثاني من العرض مجموعة من الأثواب الطويلة تلوّنت بتدرجات الأحجار الكريمة، فيما غلبت على القسم الثالث منه التدرجات الحياديّة وأبرزها البيج العاري والرمادي الفاتح.

التفت الأوراق والزخارف المعدنيّة حول الإطلالات التي زيّنها الكريستال واللؤلؤ. وقد استعمل المصمم طبعات حصريّة، وتطريزات خاصة، وأقمشة فاخرة مثل البروكار والغازار دون أن يتخلى عن رقة الدانتيل والتول التي يحرص على استعمالها في مختلف مجموعاته.

كما اعتمد صعب بشكل كبير على لعبة الشفافية، واستعان بالضوء ليلعب دورا رئيسيا في تعزيز الشفافية الأثيريّة التي تسرّبت بنعومة عبر طبقات الأقمشة المختلفة والأحجام المنسدلة.

براغماتية العلاقات الافتراضية تنزاح بأهداف الإعلام الاجتماعي

عبدالستار الخديمي
كاتب تونسي

❏ دائما في ظل هيمنة الوسائط الإعلامية على حياتنا الخاصة والعامة، بواسطة منصات التواصل الاجتماعي المتعددة، وأخصّ بالذكر منها منصة فيسبوك أشهرها على الإطلاق وأكثرها منخرطين ومستعملين، تُطرح العديد من القضايا والمواضيع الخلافية التي تصل الآراء فيها حدّ التناقض الصارخ أو المفارقات الغريبة التي تجمع المتناقضات نفسها.

من ذلك أنّ موضوع العلاقات الافتراضية على شبكات التواصل الاجتماعي يتجدّد طرحه باستمرار ومن زوايا متعددة، ولعلّ الزاوية التي كانت نتوءا بارزا وأمرا لافتا هي أن أغلب هذه العلاقات والتي تسمى علاقات صداقة لا علاقة لها إطلاقا بمفهوم الصداقة وما يترتب عن ذلك من التزامات قيمية وأخلاقية بالمفهوم الاجتماعي طبعا، إلا ما ندر، ولا نتحدّث هنا عن علاقات الأقارب والصداقات الفعلية التي تنتجها علاقات الزمالة في الدراسة أو العمل، لأن مثل هذه العلاقات موجودة فعليا في الواقع المعيش وربما يكون دور الفيسبوك أو تويتر أو إنستغرام دافعا لتجديدها أو إحيائها بعد فتور دام سنوات.

الظاهر للعيان وعبر الممارسة أن نسبة عالية ومحترمة جدّا من مشتركي ومستعملي وسائل التواصل الاجتماعي تعقد علاقات افتراضية انتهازية في مجملها، فهناك من يعقدون صداقات فيسبوكية عديدة ويرسلون طلبات الصداقة إلى كل مستخدمي فيسبوك الذين يمكنهم الوصول إليهم عبر أصدقائهم، لتضخيم الرقم لا غير والتباهي بعدد الأصدقاء والمتابعين لصفحاتهم، وهي "هواية" المهووسين بالشهرة والباحثين عن ملء الفراغ.

أما الصنف الثاني من مستعملي وسائط التواصل الاجتماعي فيمتهنون نوعا من "الاستغفال" أو "الاستبلاه" لأصدقائهم الافتراضيين فيتخيّرون أناسا معيّنين من المستخدمين يختلفون من حيث التكوين العلمي والفكري والاجتماعي ومن حيث المراحل العمرية، ويوهمونهم بشكل ما بأن اختيار صداقتهم كان لأجل اختلافات في شخصياتهم أو لقناعتهم بالمعاني القيمية والأخلاقية النبيلة للصداقة ومن منطلق دفاعهم عنها. ولكن الحقيقة تختلف كليا، فمن الذكور من يصطفون أصدقاءهم الافتراضيين -خاصة من النساء- ليس لأجل علمهم أو ثقافتهم أو مواقعهم الاجتماعية أو السياسية، ولكن لأجل ملامح وجوههم وهيئاتهم وصورهم "السيلفي".

على ذكر هذا الموضوع بالذات هناك من يرسل أو ترسل لك اقتراح صداقة ثم بعد تعارف قصير يُطلب منك معروف (مال أو بطاقة شحن)، وتُسرد "مأساة" عناصرها متعددة كاليتم وضيق ذات اليد أو وجود خلاف عائلي أو مشكلات صحية أو غيرها من السناريوهات المؤثرة، والتي تستعمل للتأثير في نفسية المتلقي والسيطرة على عواطفه الإنسانية، إنه نوع من الانتهازية يدخل في إطار "تعليب" العلاقات الاجتماعية وإفراغها من معانيها الروحية والأخلاقية.

وإذا لم يُجْدِ أسلوب الاستعطاف هذا يمرّ هؤلاء إلى مراحل أخرى تتمثل أساسا في الإغراء عن طريق الصور أو المناشير التي قد تكون بإيحاءات جسدية أو جنسية، أمّا غاية كل هذا فلا تتعدى كونها مصلحة مادية تُطلب من أناس "افتراضيين" ويأمل أصحابها في الحصول على مبتغاهم، غير مهتمين بما قد يسببونه من إحراجات للطرف المقابل.

هذا النوع من العلاقات الافتراضية والتي تسمى جزافا "علاقات صداقة" ليست سوى الوجه السيء مما منّت به علينا التكنولوجيا الحديثة، وبات هذا الصنف من العلاقات ينفر مستعملي هذه الوسائط أكثر من توطيد العلاقات الاجتماعية بمعنى "التثاقف" في مفهومه العام والشامل.

لقد انزاح المستعملون لوسائل التواصل الاجتماعي بالأهداف الحضارية والتثقيفية والإخبارية التي من المفروض أن تؤديها هذه الوسائل، فعلى قدر ما امّحت المسافات بين الأفراد والشعوب والأمم وبقدر حجم المنشورات اليومية التي تنشر على صفحات هذه الوسائط وبقدر حجم عدد مشتركيها، إلا أنها حادت أحيانا عن مسارها الإيجابي لتصبح مجرد مضيعة للوقت، فما الذي ينتظره مثلا كبار السن والمثقفون والنخب بصفة عامة من عقد مثل هذه العلاقات؟

لا يمكن عزل ما يجري على صفحات التواصل الاجتماعي عن السياق العام للمسار الثقافي والأخلاقي والحضاري عموما، كل شيء بما فيه الثوابت الأخلاقية والاجتماعية أضحى يخضع لـ"التعليب" و"التشييء" في ظل طغيان البراغماتية -وهي بالتحديد من منتجات الرأسمالية والنظام العالمي الجديد- هذه البراغماتية تطورت لتصبح انتهازية فجّة، أضرت بالثوابت الاجتماعية المترسخة وطال أثرها حتى داخل الأسر التي تفكك البعض منها بسبب ممارسات فيسبوكية "صبيانية" لا فائدة ترجى من ورائها.

وعلى عكس كل هذا فإن للاستعمال الواعي للوسائط الاجتماعية فوائد أسرية واجتماعية جمّة؛ أولا تثقيفي في مجالات العلوم والتقنية والفنون والآداب، من ذلك على سبيل الذكر لا الحصر انتشار منخرطي المجموعات في أعداد محترمة جدّا بالآلاف.

وثانيا إخباري بما أن هذه الوسائط أصبح منسوب الأخبار فيها عاليا جدّا دون اعتبار لصدقيتها أو زيفها وهذا موضوع آخر.

أما ثالثا فهو اجتماعي يتجسّد في ترسيخ الثوابت الأخلاقية ولعل أهمها قيمة الصداقة من أجل التعارف الإيجابي والمثمر دون براغماتية أو انتهازية.

إذا كنا قادرين على استعمال بنّاء للإعلام الاجتماعي فإننا حتما سنستغل الوجه الإيجابي للعلاقات الافتراضية.

الماتادور يخطط لحقبة جديدة بعد خيبة المونديال

إنريكي يتعهد بمواصلة عمل لوبيتيغي مع منتخب إسبانيا

قال لويس إنريكي، المدير الفني الجديد للمنتخب الإسباني لكرة القدم، لدى تقديمه رسميا لوسائل الإعلام، إنه يرغب في مواصلة العمل الذي قدمه جولين لوبيتيغي مع الفريق قبل إقالته الشهر الماضي. وعيّن إنريكي مدربا خلفا لفرناندو هييرو الذي استلم المهمة قبل يومين فقط من بداية مونديال روسيا إثر إقالة المدرب السابق لوبيتيغي المنتقل إلى تدريب ريال مدريد.

❏ **برشلونة (إسبانيا)** – قال لويس إنريكي، المدير الفني الجديد للمنتخب الإسباني لكرة القدم، لدى تقديمه رسميا إلى وسائل الإعلام، إنه يرغب في مواصلة العمل الذي قدمه جولين لوبيتيغي مع الفريق قبل إقالته الشهر الماضي. وتعهّد إنريكي بعملية تقييم وتطوير أكثر من التركيز على إحداث "ثورة" في صفوف الفريق. وكان لوبيتيغي أقيل عشية انطلاق فعاليات بطولة كأس العالم 2018 بروسيا، وذلك بعد الكشف عن اتفاقه مع ريال مدريد الإسباني على تولي تدريب الفريق بعد مونديال روسيا.

وتولى فيرناندو هييرو، المدير الرياضي للاتحاد الإسباني للعبة حينها، تدريب الفريق بشكل مؤقت لكنه سقط مع المنتخب الإسباني في الدور الثاني (دور الستة عشر) للبطولة. وأعلن الاتحاد الإسباني في التاسع من يوليو الحالي عن اتفاقه مع إنريكي على تولي المسؤولية ليصبح الاختبار الأول له مع الفريق في مواجهة المنتخبين الإنكليزي والكرواتي مع بداية فعاليات بطولة دوري أمم أوروبا في سبتمبر المقبل.

وصرّح إنريكي إلى الصحافيين "درسنا وحللنا ما حدث مؤخرا. وما نريده هو تعزيز ما قدمه لوبيتيغي وهييرو من عمل مع الفريق.. عمل الاثنان بشكل رائع، وأشكرهما على كل ما سأحصل عليه". وأوضح "في برشلونة، كان الأمر مماثلا. الفكرة هي تطوير الفريق. الآن، نحتاج لاتخاذ العديد من القرارات ونقرر ما هو الأفضل للمنتخب الوطني".

> الاتحاد الإسباني أعلن اتفاقه مع إنريكي على تولي المسؤولية ليكون الاختبار الأول له بمواجهة المنتخبين الإنكليزي والكرواتي مع بداية فعاليات بطولة دوري أمم أوروبا

وقاد إنريكي فريق برشلونة من 2014 إلى 2017، وفاز بلقبين في الدوري الإسباني وثلاثة ألقاب في كأس إسبانيا إضافة إلى لقب دوري أبطال أوروبا في 2015. وبدا إنريكي بشكل ودود أكثر من الصورة العصبية التي كان عليها خلال توليه تدريب برشلونة الإسباني.

وبعد استعراض مسيرته كلاعب وكذلك كمدرب في السنوات الماضية، من خلال فيلم مصور، رحّب لويس روبياليس رئيس الاتحاد الإسباني بالمدرب الجديد وقدمه لوسائل الإعلام.

وقال روبياليس عن إنريكي "كان المدرب الوحيد الذي تحدثنا إليه. أتمنى له كل الحظ والتوفيق. ونحن في الاتحاد الإسباني سنبذل كل ما بوسعنا لضمان الراحة له من أجل الفريق".

وفي المقابل، أعرب إنريكي عن شكره وامتنانه للثقة التي وضعها فيه مسؤولو الاتحاد الإسباني.

وأعرب عن حرصه على أن يحقق مع الفريق إنجازات كبيرة وأن ينجح في التحديات الهائلة التي تنتظر المنتخب الإسباني في الفترة المقبلة. ويأتي تقديم إنريكي بعد أربعة أيام فقط من نهاية المونديال الروسي الذي ودّعه المنتخب الإسباني مبكرا رغم خوضه البطولة كأحد أبرز المرشحين للفوز باللقب.

وقال إنريكي "سنواصل الحفاظ على أسلوب لعبنا مع تعزيزه وتقويته والعمل على تحسينه. علينا تطوير الأداء الدفاعي للفريق. علينا اللعب بشكل أكبر في العمق وصنع المزيد من الفرص وهو ما أراده لوبيتيغي وهييرو". والآن، ستكون أمام إنريكي ستة أسابيع لاختيار قائمته الأولى مع الفريق والتي سيعلنها في 31 أغسطس المقبل استعدادا لمباراتيه أمام إنكلترا وكرواتيا في الثامن و12 سبتمبر المقبل.

أكد مدرب منتخب اسبانيا الجديد أنه لن يقوم بإجراء ثورة على أداء "لاروخا" على الرغم من ثلاث خيبات متتالية في البطولات الكبرى. وقال إنريكي "لن تكون هناك ثورة، إنها كلمة لا أحبذها كثيرا. يجب أن يكون هناك ثمة تطوير، ستكون هناك تغييرات بالطبع". وأضاف "بكل صراحة يجب ألا يكون لديكم أي شك على الإطلاق، سنواصل اللعب بأسلوبنا، أن نكون أسيادا عندما تكون الكرة بحوزتنا".

لن يقوم بثورة

وتابع "يجب أن ندافع بطريقة أفضل، أن نتلقى شباكنا أهدافا أقل، أن نلعب أكثر في العمق ومحاولة خلق المزيد من الفرص". ولم تتخط إسبانيا الدور ثمن النهائي في آخر ثلاث بطولات شاركت فيها، حيث خرجت من دور المجموعات في مونديال البرازيل 2014، وثمن النهائي في مونديال روسيا 2018، وفي الدور ذاته من كأس أوروبا 2016.

ووعد إنريكي بـ"تغيير هذه الوضعية"، مشيرا إلى ما حققه مع فريق برشلونة عندما استلم تدريبه عام 2014 بعد سنة لم يحرز فيها الفريق الكتالوني أي لقب. ويذكر أن إنريكي نجح في موسمه الأول مع برشلونة في قيادته إلى ثلاثية نادرة (الدوري والكأس المحليان ودوري أبطال أوروبا).

وتابع في هذا الصدد "وصلت إلى برشلونة بحالة مماثلة، والفكرة هي أن نتطور، سوف أتبع نفس الأسلوب الهجومي، ويجب أن نحسن بعض الأشياء التكتيكية". وواصل "الآن نشرع في بناء جيل جديد للمنتخب، لن تكون هناك ثورة بل تحسين وتطوير، أريد الإعلان عن القائمة الأولى لي بشكل سريع، سيكون هناك الكثير من المفاجآت".

وأضاف "سأقوم باستدعاء بعض اللاعبين الذين لم يأتوا للمنتخب من قبل، وآخرين انضموا إليه في عدة مرات، وهناك من يأتون باستمرار ويجب أن نواصل استدعاءهم". وعن جيرارد بيكيه، أوضح "لقد أظهر جودته مع المنتخب الإسباني، سنتحدث معه لنأخذ أفضل قراراته، ولكن علينا تقبّل قراره مهما كان". وتابع "أندريس إنييستا بمثابة أخ لي، كنت أود أن أدربه مجددا هنا، لكنه قرر الاعتزال الدولي وأنا أحترم قراره". وعن الانتقادات التي وجهت له، علق "لم أقرأ الانتقادات، لا أرفض أي شيء. أنا مدرب للإسبان وما يهمني هو تحقيق النجاح، في هذا العمر لا يمكنك أن تكون مناهضا لكل شيء".

وحول سيرجيو راموس، قال إنريكي "لا توجد مشكلة معه، لا استبعد أي شخص، ولكن هناك تغييرات، من الواضح أنني سأتفق مع قادة المنتخب و سأ تحد ث مع راموس".

وأردف "هناك تغييرات عديدة من قبل الاتحاد الإسباني، واللاعبون أيضا ينتمون إلى تلك التغييرات".

وعن تقنية الفيديو، أوضح "تساعد الحكام على تجنب الأخطاء، كما أنها تضيف بعض العاطفة للمباريات، أعتقد أنها ستفيد كرة القدم كثيرا". وتابع قائلا "لن أدلي بأي تصريح يملك طبيعة سياسية، أنا فخور بأن أكون كيف أنا ومن أين جئت". وعن علاقته بالإعلام، يقول "أنا قريب جدا وأحاول أن أكون محترفا قدر الإمكان، أنا لطيف وأتمنى أن تكون علاقتي جيدة بالصحافة". واختتم المدير الفني الجديد للمنتخب الإسباني حديثه قائلا "رحيل لوبيتيغي جزء من الماضي، لن أتحدث عما حدث، كل ما أحاول فعله هو إخراج أفضل نسخة من الجميع، ليس لدي أي مشكلة مع أي لاعب، أرغب في التركيز على الجوانب الإيجابية في الفريق، لدي مجموعة عمل رائعة وقوية، وسنعمل على اختيار اللاعبين الأفضل والقادرين على تمثيلنا، وليس هناك أي مشكلة مع سيرجيو راموس على عكس ما يشاع".

أكد فيسنتي ديل بوسكي، المدير الفني الأسبق للمنتخب الإسباني، أن إسبانيا تمتلك العديد من المدربين الجيدين، ومن بينهم لويس إنريكي، مدرب "لاروخا" الجديد. وقال ديل بوسكي، في تصريحات خلال الزيارة التي قام بها إلى بلدة لانوسيا "محظوظون لامتلاكنا كوادر جيدة من المدربين الوطنيين، ولويس إنريكي أحدهم".

وأوضح أن المدرب الجديد للمنتخب الإسباني امتلك "خبرة تدريبية في ناد كبير بحجم برشلونة"، مضيفا أن تدريب المنتخب يعتمد على "التدريب الجيد، وإقامة علاقات طيبة مع جميع اللاعبين".

وعن رأيه في وضع المنتخب في الآونة الأخيرة قال ديل بوسكي إن "لاروخا" مرّ بعامين جيدين للغاية، بعد تركه لتدريب الفريق، بخلاف ما حدث مؤخرا في المونديال. وأكد أنه لا يوجد فريق مفضل بالنسبة إليه، من المتنافسين في نهائي مونديال 2018، قائلا "الأمر سيان بالنسبة إليّ أيا كان الفائز"، مشيدا بـ"القوة الاستكشافية" للمنتخب الفرنسي في مواجهة "خبرة وموهبة" نظيره الكرواتي.

وساهم لويس إنريكي أثناء حمل قميص فريق ريال مدريد في فوز هذا الأخير على برشلونة بخماسية نظيفة سنة 1995، إذ سجل إنريكي هدفا في تلك المباراة، فيما تألق التشيلي إيفان زامورانو وأحرز هاتريك مع "الميرنغي".

لاعب مخضرم

ويعتبر لويس إنريكي ثالث لاعب يدافع عن قميص برشلونة وريال مدريد، وانتقل إلى "البلوغرانا" قادما من "الميرنغي" سنة 1995، إذ وقع مع الفريق الكتالوني عقدا لمدة خمس سنوات.

وتسلق لويس إنريكي قبل توليه مهمة الإشراف على تدريب سيلتا فيغو بعضا من أصعب الجبال في إسبانيا باستعمال دراجته الهوائية فقط. إنريكي رياضي يتمتع بلياقة بدنية عالية للغاية، فقد جرى مدرب برشلونة السابق الماراثون في فلورنسا سنة 2007 في أقل من ثلاث ساعات، كما شارك في ماراثون الرمال سنة 2008، والذي يعد واحدا من أصعب السباقات في العالم، حسب نفس المصدر. وبدأ لويس إنريكي، المدير الفني الجديد لمنتخب إسبانيا، مهام عمله الجديدة مبكرا في محاولة اللحاق بلاعب مانشستر سيتي إيريك لابورت من أجل إقناعه باللعب للاروخا بدلا من المنتخب الإنكليزي. لابورت ظهر خلال الموسم الماضي بشكل مبشّر، فقد اعتمد عليه المدير الفني بيب غواردیولا في الكثير من المباريات الهامة حيث أبلى بها بشكل حسن مما جعل هناك تركيز من الصحافة الإسبانية للحاق باللاعب لأنه سيكون مستقبل الدفاع للمنتخب.

وفي المقابل يعلم إنريكي تماما صعوبة المهمة مع المنتخب الإسباني خاصة في ظل تواجد الثنائي سيرجيو راموس وجيرارد بيكيه، فقد تعرضا للكثير من الانتقادات في كأس العالم الأخيرة بروسيا بسبب أخطائهما المتكررة.

ومن جانبه يحاول الاتحاد الإنكليزي إقناع لابورت بتمثيل المنتخب ليكون أمام المدير الفني تعدد في الاختيارات بدلا من تواجد والكر في مركز لا يجيد فيه الدفاع وهو ما عرّض الإنكليز لبعض الأخطاء في كأس العالم. وأشارت صحفية "المونديو ديبورتيفو" إلى أن هناك اتصالات حالية بين إنريكي واللاعب من أجل المفاوضات على تمثيل منتخب لاروخا دون وجود أي تأكيد على موافقة اللاعب.

هي إذن مهمة للإنقاذ أكثر منها للتطوير، هذا ما سيقوم به المدرب لويس إنريكي، الذي تولى مسؤولية تدريب المنتخب الإسباني، بعد خروج "الماتادور" من دور الستة عشر لمونديال روسيا 2018. وجاء العقد مع إنريكي حتى يونيو 2020، في إشارة إلى أن الاتحاد الإسباني يريد أن يختبر قدرات مدرب برشلونة السابق، قبل أن يمنحه عقدا طويل الأمد ويعهد إليه بمهمة تغيير وجه الكرة الإسبانية. وكشف لويس روبياليس، رئيس الاتحاد الإسباني، أن إنريكي كان راغبا جدا في تولي المهمة، وأنه رفض عددا من العروض المغرية وقبل بتدريب المنتخب الإسباني براتب يقل عن نصف الذي عرضه عليه أحد الأندية الكبرى.

> إنريكي قاد فريق برشلونة من 2014 إلى 2017 وفاز بلقبين في الدوري الإسباني وثلاثة ألقاب في كأس إسبانيا، إضافة إلى لقب دوري أبطال أوروبا في 2015

تتشابه ظروف منتخب إسبانيا مع الفترة التي تم فيها تعيين أنريكي مدربا لبرشلونة، فهل سيواصل العمل بسياسته في ظل التطلع إلى دمج لاعبين شباب في قائمة المنتخب؟ من هو الحارس الأول؟ عانى ديفيد دي خيا من انتقادات لاذعة قبل وأثناء المونديال، بسبب تراجع مستواه وتسببه في أكثر من خطأ في المباريات التي شارك بها، ما قد يدفعه لإحداث بعض التغييرات في هذا المركز وإشراك الحارس كيبا أريزابالاغا.

وشهد الموسم الأخير لأنريكي في برشلونة الكثير من المشاكل بينه وبين اللاعبين خاصة الكبار منهم، وعلى سبيل المثال كاد جوردي ألبا يرحل عن البارسا، وربط مصيره بمستقبل المدرب وقتها، فهل سيتكرر ذلك في المنتخب؟

وبغض النظر عن اللاعبين الشباب، سينتظر الجميع موقف أنريكي من بعض اللاعبين الكبار الغائبين عن قائمة المنتخب في الفترة الأخيرة مثل خوان ماتا وألفارو موراتا وبيدرو وخافي هيرنانديز وسيرجي روبيرتو. تمتع المدربان السابقان للمنتخب فيسينتي ديل بوسكي وجولين لوبيتيغي بعلاقة رائعة مع الإعلام الإسباني، بينما اعتاد أنريكي على خوض الصراعات مع الصحافيين، فكيف سينجح في تحسين علاقته معهم؟

ويخوض منتخب إسبانيا مبارياته في أكثر من ملعب، وهو أمر له إيجابياته وسلبياته، ولكن السؤال الأكثر رواجا هو هل يلعب المنتخب تحت قيادة أنريكي في ملعب واحد لضمان الاستقرار وتفادي كثرة التنقلات؟ وفي سياق متصل استقال ألبرت سيلاديس من تدريب منتخب تحت 21 عاما، وسيكون لأنريكي صوت في اختيار خليفته.

أنريكي.. يجلس على قمة الهرم التدريبي الإسباني

سيمينيا تخوض مواجهة مزدوجة لتحطيم رقم كراتوكفيلوفا

ملكة سباق الـ800 متر تحوّل حضورها البدني القوي من نعمة إلى نقمة

رفعت العداءة الجنوب أفريقية كاستر سيمينيا عدد انتصاراتها المتتالية في سباق 800 متر إلى 38، بفوزها مساء الجمعة في الجائزة الكبرى لموناكو، المرحلة العاشرة من الدوري الماسي لألعاب القوى.

معركة داخل المضمار وخارجه

❑ **موناكو (فرنسا)** – اقتربت العداءة الجنوب أفريقية كاستر سيمينيا من تحطيم الرقم القياسي العالمي العائد للتشيكية يارميلا كراتوكفيلوفا، بفوزها، الجمعة، ضمن لقاء موناكو لألعاب القوى في سباق 800 متر للمرة الـ38، لكنها ترزح تحت ضغوط متزايدة تعود إلى إنتاج قواعد التستوستيرون، أو هرمون الذكورة، لدى الرياضيات التي يفرضها الاتحاد الدولي لألعاب القوى، والمتوقع أن تؤثر على مسيرتها في المضمار.

وقدّمت سيمينيا أداء لافتا، الجمعة، على مضمار لويس الثاني في إمارة موناكو، وبدت مصرة على كسر الرقم القياسي العالمي البالغ 1:53:28 دقيقة الذي يعود تسجيله إلى 26 يوليو 1983 في مدينة ميونيخ الألمانية من قبل كراتوكفيلوفا.

> بطلة الأولمبياد مرتين والعالم ثلاث مرات احتفظت بسجلها خاليا من الخسارة في سباق الـ800 متر، منذ خروجها من الدور نصف النهائي لبطولة العالم 2015 بالعاصمة الصينية بكين

وقبل 600 متر من خط الوصول، كانت سيمينيا (27 عاما) في الطريق الصحيح لكسر الرقم القياسي، إلا أنها أنهت السباق مسجلة 1:54:60 دقيقة.

"لقد كنت رائعة!"، قالت سيمينيا، وتابعت "فقط عانيت في الأمتار الـ100 الأخيرة"، وأضافت "لقد كان شهرا طويلا بالنسبة لي خضت فيه العديد من السباقات، وأنا بحاجة للراحة، وأشعر بذلك من خلال جسدي".

وتابعت "أردت النزول تحت حاجز 1:54:00 دقيقة، وربما أفعل ذلك في المرة المقبلة.. أريد الحفاظ على مستواي الحالي، ولم أفكر تاليا بالرقم العالمي".

واشتهرت كراتوكفيلوفا (67 عاما)، بطلة العالم في سباقي 400 و800 متر عام 1983، بقوة عضلاتها، ووجهت إليها اتهامات باستعمال المنشطات، لكنها أثبتت براءتها على الدوام، وعزت نجاحها إلى استعانتها بفيتامين "بي 12".

والشيء عينه تعاني منه سيمينيا، التي سلطت عليها الأضواء بسبب حضورها البدني القوي.

وتخوض الجنوب أفريقية مواجهة حاليا مع الاتحاد الدولي لألعاب القوى، على خلفية قراراته الجديدة بشأن نسبة التستوستيرون لدى الرياضيات.

واحتفظت سيمينيا، البطلة الأولمبية مرتين في (2012 و2016) وبطلة العالم ثلاث مرات (في 2009 و2011 و2017)، بسجلها خاليا من الخسارة في سباق 800 متر، منذ خروجها من الدور نصف النهائي لبطولة العالم 2015 في العاصمة الصينية بكين.

وفي مواجهتها مع الاتحاد الدولي لألعاب القوى، انتقلت سيمينيا خارج المضمار، وتحديدا إلى محكمة التحكيم الرياضي الـ"كاس" ومقرها مدينة لوزان السويسرية، ومن المحتمل أن تكون سيمينيا التي تم إعدادها بقوة، هي أفضل رياضية تتأثر بهذه اللوائح.

ويصنف الرياضيون مثل سيمينيا على أنهم "مفرطون في التشاؤم"، وأنهم سيضطرون إلى خفض مستويات هرمون التستوستيرون لديهم كيميائيا ليكونوا قادرين على المنافسة، الأمر الذي يعتبره عداء الـ800 متر تمييزيا وينتهك قوانين الاتحاد الدولي لألعاب القوى والميثاق الأولمبي.

ورحبت العديد من الرياضيات بالقواعد المقترحة من الاتحاد الدولي لألعاب القوى، إلا أن البعض منهن احتججن وتحدثن عن وجود تمييز.

وتسببت القوة البدنية الهائلة للعداءة الجنوب أفريقية البالغة من العمر 27 عاما وصوتها الأجش، الذي تزامن مع الكشف عن معاناتها من "فرط الإندروجين" في شكاوى من منافسات يقلن إنها تحصل على أفضلية تجعل المنافسة معها أمرا مستحيلا وتحديا بالغ الصعوبة.

وجاء في بيان صادر عن الاتحاد في موناكو، الجمعة، "إننا لم ولن نقوم بحرمان السيدات من المشاركة في مسابقات ألعاب القوى".

وأضاف البيان "في الواقع، كان الاتحاد أحد أبرز المدافعين عن رياضة المرأة منذ قرن تقريبا، وللمرأة تاريخ طويل في المنافسة وهي على قدم المساواة مع الرجال في الوصول إلى نيل جوائز مالية في مسابقاتنا، في وقت لا تزال فيه العديد من الرياضات الأخرى تفرض تمييزا في هذا المجال".

وشدّد البيان على أنه "خلافا للادعاءات التي وردت في خطاب مفتوح كتبته مؤسسة الرياضة النسائية في الولايات المتحدة، لا تسعى قاعدة تصنيف النساء الجديدة للاتحاد الدولي لألعاب القوى إلى منع أي امرأة من التنافس في ألعاب القوى".

وبموجب القوانين الجديدة "ستكون النساء ذوات الاختلافات في التطور الجنسي مؤهلات للتنافس على مسافات تتراوح بين 400 متر وميل واحد (1609 أمتار)، إذا اتخذن تدابير لضمان أن مستويات هرمون التستوستيرون لديهنّ تعمل بنفس الوتيرة لدى بقية النساء".

وكان الاتحاد الدولي أعلن نهاية أبريل الماضي إدخال قواعد جديدة اعتبارا من الأول من نوفمبر المقبل، تستهدف الرياضيات اللواتي يفرزن كميات زائدة من الإندروجين، وحدد المستوى الأقصى لمعدل هرمون التستوستيرون الذكوري عند عداءات المسافات المتوسطة من 400 متر إلى الميل، بخمسة نانومول في ليتر الدم الواحد من أجل السماح لهنّ بالمشاركة.

وأعاد القرار العداءة الجنوب أفريقية بالزمن إلى الوراء حين اضطرت للابتعاد عن المضمار بسبب قانون من هذا النوع، وستكون سيمينيا مضطرة لتناول أدوية مخصّصة لتخفيض معدل هذا الهرمون إذا ما أرادت المشاركة في مونديال الدوحة المقرر في 2019.

وتابع بيان الاتحاد الدولي "سيكن مؤهلات للاختيار في التنافس بين مسابقات الذكور وتلك المخصصة لثنائيي الجنس، والاختيار يعود لهنّ".

وحتى البتّ في المسألة، تواصل سيمينيا خوض معركة مزدوجة، إحداها مع الـ"كاس" لكسر قرارات الاتحاد الدولي، والثانية على المضمار لتحطيم الرقم التاريخي العائد لكراتوكفيلوفا.

إيطاليا تتزين.. السيدة فتحت الباب

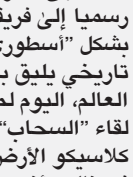

مراد البرهومي
كاتب وصحافي تونسي

❑ بالعودة إلى موضوع انتقال البرتغالي كريستيانو رونالدو إلى نادي يوفنتوس الإيطالي قادما من ريال مدريد، ربما يمكن أن نختصر هذا الحدث بكلمتين فقط، إذ يصح القول إنها "صفقة القرن"، هي صفقة زلزلت الأرض وجعلت الجميع يتطلع إلى إيطاليا لمتابعة تفاصيل هذا الاتفاق الحاصل بين "السيدة العجوز" و"صاروخ ماديرا".

لقد غطى خبر انتقال رونالدو إلى اليوفي على كل الأخبار والأحداث الرياضية الأخرى، عشية نهائي المونديال، تم تأكيد الخبر، إذ أعلن ريال مدريد أن نجمه الأول بصدد الرحيل إلى إيطاليا بعد تسع سنوات من العطاء والتتويجات مع الفريق الملكي.

لبعض الوقت تناسى الجميع الموعد المرتقب في نهائي المونديال الأخير بين فرنسا وكرواتيا لتشرئب الأعناق نحو إيطاليا الغائب الأبرز عن المحفل العالمي، فالجميع كان على موعد مع صفقة تاريخية بطلها رونالدو الذي أحدث عند قدومه إلى ريال مدريد قادما من مانشستر يونايتد "ثورة" حقيقية في الدوري الإسباني وتسبب في حدوث "حرب" ثنائية القطبين مع غريمه في برشلونة ليونيل ميسي.

وكان الحدث الجلل بمجرد التأكد من صحة خبر قبوله التحوّل إلى اليوفي بمثابة "تسونامي" كروي ضرب كل الأرجاء، وأنسى المغرمين بالكرة العالمية منافسات المونديال الروسي.

انتهى المونديال، وانتقل رونالدو رسميا إلى فريقه الجديد، لقد تم تقديمه بشكل "أسطوري" في لقاء صحافي تاريخي يليق بأحد أفضل اللاعبين في العالم، اليوم لم يعد المجال للحديث عن لقاء "السحاب" بين رونالدو وميسي في كلاسيكو الأرض ضمن منافسات "الليغا"، فرونالدو أنهى من تلقاء نفسه الصراع المستعر واختار أن يحيي "أرضا جدباء" مرت بسنوات عجاف.

يصح القول إن رونالدو بدا أشبه بمزارع كفء ومجتهد سيقلب تلك "الأرض الإيطالية القاحلة" ويبعث فيها الحياة، لن يعرقله التقدّم في السن، لن ترهبه صعوبة التجربة، فمجرد الاسم يكفي كي "يتدفق الدم من جديد في جسم" الكرة الإيطالية.

هي "ضربة معلم" بأتم معنى الكلمة، تلك التي قامت بها السيدة العجوز، لقد ظفرت بقلب أحد قطبي الكرة العالمية، كانت "صدر هذه السيدة" الوجهة المفضلة للاعب أراد خوض تحدّ جديد، لهذا اللاعب البرتغالي الذي يرنو لكتابة صفحة جديدة في مسيرته التاريخية، فيا حظك الجميل أيتها السيدة.

ربما أنكر البعض "هذا التسرّع" من قبل القائمين على الفريق الإيطالي في مسألة حسم صفقة الارتباط بلاعب اقترب من سن "اليأس"، لاعب شارف على سنته الرابعة والثلاثين، والأكثر من ذلك أن هذه "السيدة العجوز" دفعت الغالي والنفيس من أجل إرضاء فارسها الجديد، لقد تم دفع أكثر من 100 مليون يورو لنيل المراد وضم رونالدو في صفقة خيالية، هي الأكبر إلى حد الآن في تاريخ الكرة الإيطالية.

لكن ما حصل قبل التقديم الرسمي لرونالدو بقميص اليوفي يشبه الخيال، ما حصل كان خرافيا ولا يصدق، لكم أن تتصوروا كم جنت هذه "السيدة" بمجرد التأكد من قدوم النجم البرتغالي، لقد أحرزت أسهم اليوفي في البورصة صعودا صاروخيا يشبه ذلك الصعود الذي حققه "صاروخ ماديرا" في أغلب مراحل مسيرته، الأكثر من ذلك أنه تم بيع قمصان تحمل الرقم 7 واسم رونالدو خلال أيام قليلة بإجمالي مرابيح ستغطي جانبا من تكاليف هذه الصفقة.

وهذه الصفقة التي جعلت السيدة تتجمل وتتزين تأهبا لاستقبال "العريس الجديد"، ستكون فوائدها كبيرة وجمة، ربما يصح تشبيه رونالدو بتلك "الدجاجة التي تبيض ذهبا" فعائدات الإشهار والبث التلفزيوني تضاعفت بشكل قياسي قبل أول ظهور رسمي لرونالدو مع الفريق، سيزداد ثراء اليوفي وسيغدو الفريق أكثر قوة، سيواصل الهيمنة محليا وسيحلم أيضا بالحصول على لقب دوري الأبطال الذي بات عصيا على الفريق وكل الفرق الإيطالية منذ ما يزيد عن 7 سنوات.

لكن قدوم حامل القميص رقم 7 سيغير المشهد، سيزيد المكان ألقا وتتضاعف البهجة في المكان، ستصبح إيطاليا محط أنظار متابعي الكرة العالمية سواء كانوا من عشاق رونالدو أو هواة لكرة "النجوم".

اليوم يحق للطليان أن يتفاءلوا خيرا بصحوة متوقعة للكرة الإيطالية، بمقدورهم أن يتوقعوا الخروج من أزمة السنوات السبع العجاف، فالدوري الإيطالي سيزدهر وسيصبح مثلما كان في السابق ممتعا بوجود نجم بقيمة رونالدو.

السيدة فتحت الباب، أما بقية القوم فإنهم أصبحوا أكثر من أي وقت مضى متأهبين ومتحمسين لتقوية الصفوف وعقد صفقات مدوية، ففي حضرة "الدون" يجب على الجميع أن يتجمل، يتعين على إيطاليا بأسرها أن تتزين استعدادا لمستقبل أفضل.

الباب بات مفتوحا والأمل سيصبح كبيرا من أجل نفض الغبار عن الكرة الإيطالية التي عانت طويلا من الأزمات المالية الحادة، لكنها اليوم بدأت تتعافى، لقد وفر المستثمرون ضمانات مالية تساعد على الاستثمار في سوق نجوم الصفوف الأمامية، سيسير بلا شك نجوم آخرون على خطى رونالدو، سيأتي إلى إيطاليا لاعبون رائعون آخرون مثلما كان يحصل في الماضي.

ستكون إيطاليا الفائزة الأكبر، الفائدة لن تقتصر على اليوفي فقط، بل إن ذلك المنتخب الإيطالي الذي تعثر وسقط بشكل مروّع، سيعود قويا مهابا، سيستفيد بكل تأكيد من وجود رونالدو الذي سيضفي هو ومن سيسير على دربه على الدوري الإيطالي إشعاعا كبيرا سينير إيطاليا ويجعلها أكثر زينة وجمالا.

فيتل أول المنطلقين في ألمانيا

❑ **هوكنهايم (ألمانيا)** – وقع البريطاني لويس هاميلتون بطل العالم ضحية مشكلة هيدروليكية في سيارته مرسيدس، السبت في الفترة الأولى من التجارب الرسمية لجائزة ألمانيا الكبرى على حلبة هوكنهايم والتي خطف فيها متصدر ترتيب السائقين الألماني سيباستيان فيتل (فيراري) المركز الأول.

وفي نهاية الفترة الأولى، فقد هاميلتون لفترة وجيزة السيطرة على سيارته التي توقفت بعد تعرضه لضرر محتمل إثر السير خارج الحلبة.

واضطر بطل العالم أربع مرات إلى دفع سيارته نحو المرآب بمساعدة العديد من المفوضين، قبل أن يستسلم ويعود على متن دراجة نارية.

وسينطلق هاميلتون (33 عاما) الذي كان يعاني من الرشح السبت، من المركز الرابع عشر الأحد، إذ سجل وقتا كافيا لدخول الفترة الثانية، إلا إذا تعرض لعقوبة بسبب تبديل علبة غيار السرعات.

وعلق هاميلتون على التجارب "كان أمرا صعبا، لكنها تحدث وكل ما يمكنك القيام به أن تستجمع أفكارك وتعيش لتقاتل في اليوم التالي".

وكان هاميلتون مدّد عقده الخميس مع مرسيدس لعامين إضافيين حتى 2020 في صفقة مقدرة بـ52 مليون دولار أميركي في الموسم الواحد، ثم سار على خطاه زميله الفنلندي فالتيري بوتاس الذي سيبقى عاما إضافيا حتى نهاية 2019.

ويتصدر فيتل ترتيب بطولة العالم بفارق 8 نقاط عن هاميلتون الذي فشل في احتلال المركز الأول على لائحة الانطلاق على زميله في التجارب في هوكنهايم منذ 2008.

وسينطلق فيتل، بطل العالم أربع مرات بين 2010 و2013، من المركز الأول للمرة الخامسة والخمسين في مسيرته، وتقدم فيتل الذي ولد على بُعد 40 كيلومترا من حلبة هوكنهايم، الفنلندي بوتاس (مرسيدس) وزميله الفنلندي كيمي رايكونن.

وقال فيتل، الذي سجل 1:11:212 دقيقة في اللحظات الأخيرة، "في اللفة الأخيرة كنت أملك طاقة إضافية، ونجحت في استخراج الأفضل من سيارتي".

وتابع "مازلت أملك الكثير من الأدرينالين، رؤية كل هذه الأعلام الألمانية في المدرجات أمر رائع.. سيكون الانطلاق هاما، لأننا سنكون قريبين جدا على صعيد إيقاع السباق".

مشكلة هيدروليكية تعيق هاميلتون

المأذونات الشرعيات ينافسن الرجال في المغرب

تمكنت مغربيات من الفوز بمقاعد، في سابقة هي الأولى من نوعها في المغرب، تخوّل لهن ممارسة مهنة مأذون شرعي والتي ظلت إلى حدود اليوم حكرا على الرجال دون النساء، بعد اجتيازهن اختبارات المهنة جنبا إلى جنب مع الرجال.

طاولة العدل تشهد على تفتح المغربيات على المهنة

❏ **الرباط** – كشفت نتائج مسابقة التوظيف في مهنة مأذون شرعي (العدول) بالمغرب، أن النساء تمكن من الظفر بأكثر من 37 بالمئة من إجمالي مقاعد الناجحين، في أول مرة يسمح للنساء بالولوج إلى هذه المهنة.

ووفقا لما أورده موقع وزارة العدل مؤخرا، فإن "النتائج النهائية الخاصة بمباراة ولوج خطة العدالة برسم سنة 2018، والتي أسفرت عن نجاح 800 متبار، منهم 299 من النساء بنسبة 37.38 بالمئة، و501 من الذكور بنسبة 62.62 بالمئة"، ويعتبر هذا الامتحان الأول من نوعه تقدمت له النساء لمهنة العدول، التي كانت حكرا على الرجال.

وقرر العاهل المغربي الملك محمد السادس في يناير الماضي، بعد استشارة المجلس العلمي الأعلى (أعلى مؤسسة دينية رسمية) السماح للمرأة، لأول مرة بالعمل في مهنة "عدل" التي تعنى بتحرير عدد من العقود أبرزها عقود الزواج والطلاق وقسمة الإرث والمعاملات التجارية والمدنية.

وإثر هذا القرار شهد مايو الماضي تجمع المئات من الشباب والشابات أمام كلية الآداب في الرباط في مشهد مألوف عادة في المغرب، لكنها المرة الأولى التي تحضر فيه النساء للخضوع لمباراة تولي مهنة "مأذون شرعي".

وأوضحت إلهام (25 سنة) مرشحة قادمة من مكناس (وسط) لاجتياز المباراة "لم يخطر ببالي أن أصبح يوما ما مأذونة شرعية، لكن عندما صدر القرار اعتبرته فرصة لأجرّب حظي بما أنني درست الحقوق".

وقالت رفيقتها سارة (25 سنة) من مكناس أيضا "كان قرارا منصفا، ويعبّر عن تقدم ملموس نحو المزيد من المساواة بين النساء والرجال".

وتنافست المرشحات على وظيفة مأذونين شرعيين "بناء على الاستحقاق ودون أي تمييز إيجابي لصالح النساء"، وفقا لمسؤول بوزارة العدل أشرف على المباراة.

وأشارت كريمة (25 سنة) إلى أنها لم تفكر قط في ممارسة هذه المهنة لولا فتح باب توليها أمام النساء، وقالت الشابة المقيمة بالرباط "درست القانون الخاص وأنوي اجتياز كل مباريات المهن القضائية مثل المحاماة أو التوثيق، وعندما سنحت فرصة مباراة المأذونين الشرعيين أردت اقتناصها".

وتمارس النساء في المغرب جميع المهن القضائية باستثناء مهنة المأذون الشرعي، ويعمل تحت وصاية القضاة في مختلف محاكم البلاد. وظلت المطالبة بفتح المهنة أمام النساء تصطدم بالاعتراضات المستندة إلى التأويل التقليدي للدين.

ويخول الدستور المغربي الملك حصرا سلطة البت في القضايا الدينية بصفته أميرا للمؤمنين بناء على آراء المجلس العلمي الأعلى والذي أصدر فتوى المأذونات الشرعيات دون أن ينشر نصها بعد.

ولم تستبعد بشرى (32 سنة)، من مدينة أبي الجعد (وسط) أن تواجه المأذونات الشرعيات صعوبات وتحفظات في بيئة محافظة "لأن القرآن ينص على شهادة امرأتين مقابل شهادة رجل، لكن تطور المجتمع أتاح الاجتهاد الفقهي بما يسمح للنساء بممارسة هذه المهنة".

وتتوقع بشرى التي درست القانون الخاص أن "المجتمع سيكون متفهما، لأن النساء يشتغلن بجدية أكثر وإنتاجيتهن في العمل أفضل".

وقالت إلهام إن "الناس سينظرون إلينا من منظور الشرع، وطبيعي أن تظهر التحفظات في البداية، لكن عندما يلاحظون أننا نعمل بجد ستزول التحفظات عنا".

الشرطة تبحث عن بريطاني قتل نورسا لسرقته بطاطا

❏ **لندن** – قالت شرطة مقاطعة سومرست جنوب بريطانيا، إنها فتحت تحقيقا بحق شخص قتل صغير طائر نورس، الثلاثاء الماضي، بذريعة أنه "سرق بطاطسه المقلية".

وذكر بيان صادر عن شرطة سومرست، أنها تلقت بلاغا بقيام شخص، الثلاثاء الماضي، برمي طائر نورس على الحائط ما أدى إلى مقتله.

وأوضح البيان، أن المطلوب ذكر في العقد السادس من العمر.

وطلبت الشرطة المساعدة من سكان المقاطعة للعثور عليه وتسليمه للشرطة.

وقالت شاهدة عيان تدعى راشل بير، إنها رأت الشخص عندما أمسك ساقي الطائر أثناء قيامه بالتقاط البطاطس المقلية التي كانت بيديه، ثم رماه بعنف على الحائط.

ووصفت الجمعية الملكية لمنع القسوة على الحيوانات في بريطانيا، الواقعة بـ"الصادمة ولا يمكن القبول بها". ووفق قانون "الحياة البرية والريف" في بريطانيا، يعد قتل طائر النورس أو إلحاق الضرر به جريمة يعاقب عليها القانون.

وفرض مجلس منطقة ديفون الشرقية، التي تضم منتجعات شهيرة مثل إكسموث وسيدموث، العام الماضي، غرامة 100 دولار على من يطعم هذه الطيور.

وقال إيان تشوب عضو المجلس، "أصبحت طيور النورس معتادة على أن يقدم لها الناس الطعام وستهاجمهم إن لم يفعلوا".

تايلور سويفت تقف أمام كاميرا السينما بدور قطة لعوب

❏ **لوس أنجلس** – ذكرت وسائل إعلام متخصصة أن الاختيار وقع على النجمة الأميركية تايلور سويفت للمشاركة في فيلم مقتبس عن مسرحية (كاتس) أو (القطط) الموسيقية، وهو ما سيكون أكبر دور سينمائي تلعبه نجمة موسيقى البوب حتى الآن.

وقالت مجلة فارايتي ومجلة هوليوود ريبورتر إن سويفت البالغة من العمر 28 عاما وصاحبة أغنية؛ لوك وات يو ميد مي دو (انظر لما جعلتني أفعله)، ستشارك في بطولة الفيلم مع المغنية والممثلة جنيفر هدسون الحائزة على أوسكار ومقدم البرامج الحوارية جيمس كوردن والممثل البريطاني المخضرم إيان مكيلين.

عرضت مسرحية "القطط" للمؤلف آندرو لويد ويبر لأول مرة في لندن عام 1981، وهي مقتبسة من كتاب لقصائد تي.إس إليوت. وعرضت المسرحية التي تحتل المرتبة الرابعة بين المسرحيات التي عرضت لأطول فترة مرارا في أنحاء العالم.

ولم ترد شركة وركينغ تايتل فيلمز، التي ستنتج النسخة السينمائية من المسرحية، على طلبات للتعقيب على النبأ.

لعبت سويفت أول دور تمثيلي في عام 2010 من خلال مشاركتها في الفيلم الرومانسي الكوميدي فالانتاينز داي (عيد الحب). وهي حائزة على جائزة غرامي عشر مرات وحقق ألبومها ريبوتيشن (شهرة)، أعلى مبيعات في عام 2017.

وقالت مجلة هوليوود ريبورتر نقلا عن مصادر قريبة من الإنتاج إن من المتوقع أن تلعب هدسون دور غريزابلا وهي الشخصية التي تغني الأغنية الشهيرة ميموري (ذكريات)، في العرض المسرحي.

وأضافت أن سويفت مرشحة لدور القطة الحمراء اللعوب بومبالورينا بينما سيلعب مكيلين دور زعيم القطط المسن أولد ديوترونومي.

ومعروف عن سويفت حبها للقطط، وهي غالبا ما تنشر عبر وسائل التواصل الاجتماعي صورا لهرتيها أوليفيا وميريديث.

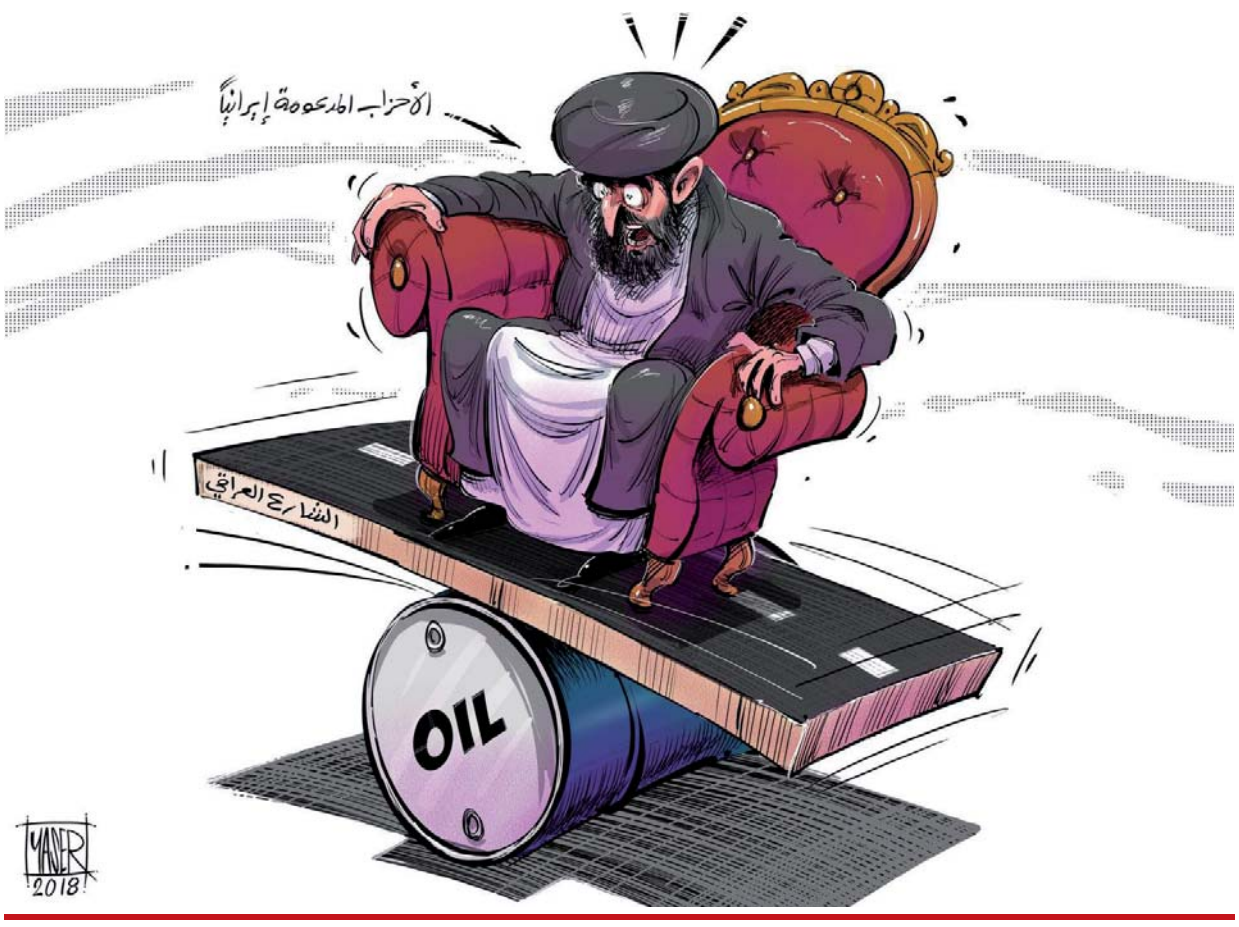

أستراليا تنشئ أول مقبرة تحت سطح البحر

❏ **كوينزلاند (أستراليا)** – يدرس أعضاء المجلس المحلي في غولد كوست بولاية كوينزلاند (شمال شرق أستراليا) اقتراحا فريدا من نوعه، يتمثل في إنشاء أول مقبرة تحت الماء في العالم.

ومن المتوقع أن تتحول المقبرة في حال الموافقة عليها إلى نقطة جذب سياحية لعشاق الغوص، كما أنها ستوفر مكانا لدفن الأشخاص الذين أمضوا حياتهم في أعالي البحار.

ووفقا لموقع ذا ويست الأسترالي، فإنه بدلا من وسائل الدفن التقليدية، سيتم تأمين هياكل تحت الماء يتم تصنيعها بمواد صديقة للبيئة لدفن الأموات.

وقد استلهمت هذه الفكرة من نصب نيبتون التذكاري في ولاية فلوريدا الأميركية، وهو عبارة عن شعاب اصطناعية، تحتوي بقايا الآلاف من الأشخاص. واُستوحيت تصاميم الشعاب من مدينة أتلانتيس الغارقة، وهي تتضمن تماثيل وأعمدة ومقاعد وقبابا ومنصات.

وبحسب الموقع الأسترالي، قال توم تيت عمدة غولد كوست، إن تزايد أعداد السكان جعل من الضروري العثور على مواقع دفن بديلة.

وأوضح تيت "المدن الكبرى في أستراليا والعالم تفتقر إلى مواقع للدفن. ونظرا لحب الأستراليين للمحيط، فإن فكرة الدفن تحت الماء يمكن أن تكون قابلة للتطبيق".

صباح العرب

عدلي صادق

بالخط الأحمر

❏ عاش العم الحاج محمود معظم حياته يرتاب في هدايا المناسبات أو يخشاها، مثلما يخشى الجندي الكمائن. فهو لا يرى الهدية، ودادا وكرما. دأب الرجل على التمنع في استلام "النقوط" في أي مناسبة، ثم انسحب ذلك عفويا على الأعطيات الصغيرة، التي يقابلها هي الأخرى بالصدود، وإن اضطر إلى استلامها مع إلحاح المهدي وتواضع الهدية، فإنه يضمر ردها المستطاع إلى الطرف الآخر، في إهاب أعطية منه في أقرب مناسبة، لا سيما إن كانت فاكهة أو حلوى!

كان طبعه لافتا يُجانب ما جرت عليه العادة من التهادي. وفي أخريات أيامه، سألتُه مستقصيا عن سبب هذا الاستنكاف الغريزي والتلقائي، عن تقبل الهدية، وهو رجل كريم في بيته، والنبي عليه السلام تقبل الهدية الحميدة بنفس راضية!

قال لي إن فلانا جاءنا في مناسبة زواج عمك فلان، مهنئا بشوال كامل "أبوخط أحمر" من السُكّر (والشوال هو كيس من الخيش كانت تعبأ فيه الحبوب ويعبأ فيه السُكر، ويُرسم في منتصفه خط أحمر، كإعلان عن صعوبة تجاوز العبوة القصوى). وبعد سنوات، اقتنص المهنئ زمن الحرب (العالمية الثانية) لكي يعلن عن زفاف ابنه، بينما المواد التموينية التي تنقلها السفن لم تعد تصل، بسبب انقطاع المواصلات البحرية التجارية وانشغال المراكب بالمواصلات العسكرية وخطورة النقل البحري. فكيف آنذاك، للحاج حسين والد الحاج محمود أن يرد شوالا من السُكّر، بينما أصبح شرب كوب من الشاي أمنية صعبة التحقيق، وعزّت الهريسة وسائر الحلوى؟

مع الحركة الحثيثة لأهل العريس الجديد في التحضير للمناسبة، كانت ثمة حركة أخرى موازية للمدينين بشوال سُكر ذي خط أحمر، تسعى لجمع ما تيسر من الكيلوغرامات، لعلهم يُعبئون شوالا. ولم يكونوا سينجحون في جمع ثلاثة عشر كيلوغراما، لولا التعاون على مضض، من جدتي الحاجة معزوزة المولعة بالتخزين. وكان ما عندها من السُكّر على شكل قوالب ثقيلة شبيهة بمقذوفات المدافع، اعتراها الاصفرار لطول زمنها، وطُحنت. لكن ثلاثة عشر كيلوغراما تمثل في تلك اللحظة ثروة نادرة، حملها الحاج محمود في قُعر شوال، وامتطى حماره متجها إلى مضارب العرس. وقبل أن يصل إلى موضع المهنئ الأول، هتف: يا عم، جئت لك بالنقوط، ثلاثة عشر كيلو سُكّر. فرد والد العريس بصوت عال: عد إلى أبيك يا بني، إن لنا عليكم شوالا بخط أحمر، وليس كيلوغرامات!

عندئذ أحس الفتى الذي هو نفسه الحاج محمود، بفداحة الثمن، مثلما هو حال الدول التي تعيش على الأعطيات!